مجلة مجمع اللغة العربية بالشارقة

العدد الحادي عشر - يوليو 2024 م

وقفةٌ مع المجلسِ الأعلى

للُّغَةِ العربيَّةِ بالجزائر

وقفةٌ مع روايةِ

«رائحة الزنجبيل» لصالحة غابش

دارُ المخْطُوطَاتِ بالشَّارِقَةِ

نَفَائِسُ وَنَوَادِرُ

من المُعجَم التّاريخيِّ:

رِحلةٌ مع الجَذْرِ « ر ج ع »



مبنى دار المخطوطات بالشارقة

نسخة بي دي إف (PDF)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ
ءَا۠عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ
وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ
عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾

[فصلت ٤٤]

صدق الله العظيم

إطلالَةٌ عَلى مَوْضوعاتِ العَدَدِ الحادي عَشَر

في إطلالتها الجديدة، تتألَّق مجلَّة مجمع اللُّغَةِ العربيَّة بالشارِقة؛ إذ تنثر بين طيّاتها دُررًا فريدة من المقالات والأخبار في مُختلف علوم العربيَّة وفروعها، تنتظم في عقد سلسلتها المباركة. فعلى مدار الأعداد الماضية، سعَت المجلَّة إلى التَّمكين للعربيَّة وترسيخ دعائمها، بإتاحة المجال أمام الباحثين والأُدباء للإفادة والاستفادة، فكانت منارةً يسطع نور المجمع من خلالها على جمهور القُرّاء من مختلف الأذواق والمشارب.

في أخبار المجامع، يتضمّن هذا العدد خبر افتتاح قاعة اللغة العربية والثقافة العربية في جامعة الفارابي، تلبيةً لتوجيهات صاحب السّمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، ضمن اتّفاقيّة تعاون وقّعها الطرفان سعيًا لإعانة الطلاب غير العرب في دراستهم للعربيّة. كما قدّم المجمع دورة مهارات المراسلات الإداريّة لعدد من موظّفي بعض الدّوائر الحكومية في الإمارة، في إطار الخدمات التي يقدّمها المجمع إلى أبناء المجتمع المحلّي.

وضمن مجالس المجمع اللّغويّة، شهد عدد من المثقّفين واللغويين والمعلّمين المجلس اللغويّ التاسع الذي استضاف اللغويّ الهنديّ الدكتور أبا صالح أنيس لقمان في جلسة حواريّة حول كيفيّة تعلّم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، ومناقشة سبل الارتقاء بمستويات محبّيها من أبناء العرب وغيرهم.

ويتضمّن العدد إطلالــــةً على المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر وجهوده الطيّبة في خدمة العربية، ويسرد قصّته الملهمة منذ تأسيسه، وأهمّ منجزاته اللغويّة.

كذلك، سلّط الباحث عبد الله المذكوري الأضواء على فهرس دار المخطوطات الإسلامية بالشارقة: تحت عنوان: نفائس ونوادر محتويات الدار.

ونقرأ في باب نظرات في البيان القرآني، موضوع العلاقة بين القرآن والقراءات، ومقال أسرار دلالة السياق في الخطاب القرآني، وبحثًا مهمًّا عن الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم للأستاذ الدكتور محمود إسماعيل صالح.

وفي اللغويّات، يجدُ القارئ مقالاً عن الفصاحة النبويّة، سلّط فيه الكاتب إبراهيم سند إبراهيم الضوء على الجوانب اللغوية في أحاديث نبيّنا صلى الله عليه وسلم.

أمّا المعجميّات، فلدينا موضوع "نظرة في بعض الخيارات المنهجية للمعجم التاريخي للغة العربية" ناقش فيه الكاتب محمد خاين بعض الخيارات المنهجية في إعداد المعاجم التاريخية. وكذا مقال بعنوان رحلة مع الجذر (ر ج ع) في المعجم التاريخي للغة العربية، وآخر حلّل قضيّة المعجم العربي ورهان تطوير اللغة بيّن فيه الكاتب أنس ملموس دور المعاجم في تطوير العربية وتحديثها.

وفي باب الكتب والدراسات، خصّصنا في هذا العدد وقفة مع كتاب "سر صناعة الإعراب" لابن جنّي حيث تناول الدكتور معتز وسام المحتسب دراسة عن الكتاب وتأثيره في علم النحو. ويطالع القارئ مقالاً بعنوان «فن القول بين المبنى والمعنى وضرورة الإبانة» عرض فيه الكاتب حاتم السروي لكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري نقدًا وتحليلاً، مبيّنا أثره في الدّرس البلاغي.

أمّا أعلام العربية، فنجد مقالًا لإبداعات الشاعرين التّجاني يوسف بشير ومحمد محمد علي، يناقش أبرز أعمال الشّاعرين، وأثرهما في الأدب العربي. كما تناول الدكتور أحمد غوثم امّمد العالم ابن الأمين الشنقيطي بوصفه علمًا من أعلام العربية، مع ذكر نبذة عن حياته وأعماله العلميّة وإسهاماته.

وفي الأدب والنقد، يجد القارئ مقالاً عن صورة النّاقة في شعر ذي الرمة، وعالج الكاتب فواز الشعّار موضوع الغربة في الشعر العربي: حنين وحسرة وأشواق، كما درس الكاتب علي إبراهيم كردي قضيّة اللغز في شعر الأمير أبي الربيع الموحدي.

وثمّة موضوعات أخرى طريفة، نسأل الباري جلّ وعلا أن تنال اختياراتنا القبول لديكم، ونسأله مزيدا من التّوفيق في خدمة اللغة العربيّة وآدابها.

هيئة التّحرير

مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

مجلّة أدبيّة لغوية تصدر عن

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

السّنة الثّانية – العدد الحادي عشر – يوليو 2024 م

مجلّة أدبية لغوية تعنى بقضايا اللغة العربية وآدابها

المراسلات

هاتف : 400 60 51 6 971+

فاكس : 401 60 51 6 971+

ص.ب : الشارقة ، 1973

shj_ala www.alashj.ae

Sharjah.ala info@alashj.ae

مجمع اللغة العربية بالشارقة

امسح الرمز

لزيارة موقع مجمع اللغة العربية

لمشاركاتكم ومقترحاتكم يرجى التواصل على البريد الإلكتروني

Magazine@alashj.ae



12

إطْلَالةٌ على المَجْلِسِ الأعْلَى للّغةِ العربيّةِ بالجزائرِ وجُهُودِه في خِدْمَةِ اللُّغةِ العربيَّةِ

مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة



06

افتِتاحُ قاعَة اللغَةِ العربيّةِ والثّقافَة العربيّة في جامِعَةِ الفارابيّ

في إطار اتفاقية التعاون الموقعة بين مجمع اللغة العربية بالشارقة وجامعة الفارابي الوطنيّة، شهد معهد الدراسات الشّرقيّة وقسم اللغة العربية في الجامعة حفل افتتاح قاعة اللغة العربية والثقافة العربية يوم 17 مايو 2024



08

مَجْمعُ اللّغةِ العربيّةِ بالشّارِقة يعرِّف موظفي الجهات الحكوميّة مهارات «المُراسَلات الإداريّة»

في إطار جهوده لتعزيز مكانة اللّغة العربيّة ودعم استعمالها في شتّى مناحي الحياة، نظّم مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة دورة تدريبيّة متخصصّة حول «المراسلات الإداريّة».

المحتويات

أخبار المجامع

10 مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة يستضيف الدكتور أبا صالح أنيس لُقمان في مَجْلِسه اللغويِّ التّاسع

24 فِهْرِسُ دَارِ المخْطُوطَاتِ بِالشَّارِقَةِ نَفَائِسُ وَنَوَادِرُ

نظراتٌ في البيانِ القرآنيّ

32 الإِعْجَازُ اللُّغَوِيُّ للقرآنِ الكريمِ

40 العَلاقَةُ بينَ القُرآنِ والقِراءاتِ

44 ضَيْفٌ عَلَى النُّورِ

48 مِنْ أَسْرَارِ دِلالةِ السّيَاقِ في الخِطَابِ القُرآنيِّ

لغويات

56 لُغَةُ الشُّعراءِ بينَ زيْغِ الإعرابِ وقُبْحِ الزِّحافِ

60 مُشْكِلاتٌ في حَوْسَبَةِ اللّغةِ العربيّةِ

66 الفَصَاحَةُ النَّبويّةُ

مُعجَميّات

72 نَظْرَةٌ في بَعضِ الخياراتِ المَنْهَجيَّةِ لِلمُعْجَمِ التّاريخيِّ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ

76 المعجمُ ورهانُ تطويرِ اللّغةِ

82 من المُعجمِ التّاريخيّ للّغةِ العربيّة.. رحلةُ معَ الجذرِ (ر ج ع)

كُتُبٌ ودِراساتٌ

92 وقفةٌ معَ الأعْمالِ الفائزةِ في جائزةِ الشّارقَةِ للدّراساتِ اللّغويّةِ والمُعجَميّةِ «الدورة الرابعة 2021»



94

سِرُّ صِناعةِ الإعرابِ لابنِ جِنّي



98

عَرْضُ كتابِ «أَسْرَارُ الحَكَوَاتيِّ: جَمَاليَّاتُ الحَكْيِ وَذَخَائِرُ السِّيَرِ الشَّعْبِيَّةِ»

تُمثّلُ السّيرةُ الشّعبيةُ عالَمًا إبداعيًا فسيحًا، وذلك لِما امتلكتْه من خصوصيّاتٍ ومزايا فنيّةٍ وشكليّةٍ ومضمونيّةٍ..........



106

وَقفَاتٌ مَعَ إِبْدَاعِ شاعِرَيْنِ: التّجاني يوسف بشير ومحمّد محمّد علي

تسعَى الورقةُ إلى تعريفِ القُرّاءِ الكرامِ بالشّاعرَيْنِ السُّودانيّيْنِ التّجاني يوسف بشير، ومحمّد محمّد علي................



116

ابن الأمين الشنقيطي.. من أعلام العربية في عصر النهضة

لقد حمَل علماءُ باديةِ شنقيط لواءَ الحركةِ العلميّةِ العربيّةِ، فكانت لهم فتوحاتٌ علميّةٌ ومعرفيّةٌ............



124

الغُرْبَةُ في الشِّعْرِ العَرَبيِّ.. حَنينٌ وحسرةٌ وأشواقٌ

تردّدَ مفهومُ الغُربةِ في الشّعرِ العربيِّ، عبرَ عصورهِ الأدبيّةِ، لالتحامِ الشّعرِ بواقعِ أُمّتِه، وارتبطَ في المعاجمِ العربيّةِ بالمكانِ والبُعدِ عنه؛ فيُقال: الغَرْبُ، أي: الذّهابُ والتّنحّي، والغَرْبُ هو الابتعادُ عن الوطنِ...

Government of Sharjah حكومة الشارقة

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

مَجمَعُ اللّغة العَربيّة بالشّارقة في الصّحف

في مقرّه الجديد الّذي افتتح بمكرمة صاحب السّمو حاكم الشّارقة

مجلس اللّسان العربيّ بموريتانيا يناقش سبل تنسيق العمل وبناء الشراكات في خدمة اللّغة العربيّة

•• الشارقة-الفجر

في إطار جهوده لتعزيز اللغة العربية والحفاظ على هويّتها وثقافتها، استضاف مجلس اللّسان العربيّ بموريتانيا، الذي افتتح بمكرمة من صاحب السمو الشّيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، ندوة بعنوان: "تنسيق العمل وبناء الشّراكات في خدمة اللّسان العربيّ"، بمشاركة 20 جهة من الهيئات والمؤسسات والجمعيّات الّتي تعمل على دعم وتطوير اللّغة العربية في موريتانيا والعالم العربي.وتناولت النّدوة موضوعات متعدّدة تتعلّق بالتّحدّيات والفرص التي تواجه اللغة العربيّة، والمشاريع والبرامج والأنشطة التي تقوم بها الهيئات المشاركة في النّدوة لتعزيز مكانة اللغة العربيّة وتنمية قدرات متحدّثيها ومتعلّميها، ... الخبرات والمعارف والمقترحات بين المشاركين، ومناقشة أفضل الممارسات المتبعة لإثراء أساليب تعليم اللغة العربيّة، وابتكار البرامج والأدوات التي تساهم في تيسير تعلّمها وتعليمها، بما يتلاءم مع التطوّرات التّقنيّة والمعرفيّة المتقدّمة.

وناقشت النّدوة الطّرق والوسائل المناسبة لتحسين التّواصل والتّفاعل والتّعاون بين الهيئات العاملة في مجال اللّغة العربيّة، والّتي تضمّ أعضاء منسقيّة "سدنة اللغة العربيّة"، الّتي تضمّ العديد من الهيئات من أجل تمكين اللّغة العربيّة، وتهدف إلى تنسيق الجهود والمشاريع المشتركة بين الهيئات المختلفة في خدمة اللّسان العربي، إذ جاءت النّدوة بهدف استعراض وتحليل الإنجازات والمبادرات الّتي تمّ تنفيذها خلال "شهر اللغة العربيّة"، الذي يوافق شهر ديسمبر من كل عام. يشار إلى أنّ المقر الجديد لمجلس اللّسان العربيّ تمّ افتتاحه في العاصمة الموريتانية نواكشوط بمكرمة من صاحب السّمو الشيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، الرّئيس الأعلى لمجمع اللغة العربيّة بالشّارقة، وبرعاية فخامة الرّئيس محمد ولد الشيخ الغزواني، رئيس الجمهوريّة الإسلاميّة الموريتانيّة، ويضمّ المجلس نخبة من العلماء ويتولّى مهمّة النّهوض بلغة الضّاد في موريتانيا وخارجها.





«مجلّة مجمع اللّغة العربيّة» تضيء على الاستدامة اللّغويّة

الشارقة (الاتحاد)



رصدت «مجلّة مجمع اللّغة العربيّة» بالشّارقة في عددها الثّامن موضوعات متنوعة تتعلّق باللّغة العربيّة وآفاقها وتحدّياتها، مؤكّدة مكانة الشّعر في الثّقافة العربيّة والإسلاميّة، وأهمّيّة البلاغة والإيجاز في النّظم الشّعريّ، كما أضاءت المجلّة على أهمّيّة الاستدامة اللّغويّة كمفهوم يهدف إلى حماية اللّغة العربيّة، والحفاظ على هُويّتها وسلامتها وتنوّعها.

وفي افتتاحيّة العدد الثّامن، أكّد الدّكتور امحمد صافي المستغانمي، الأمين العامّ لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، تحت عنوان «الشّعر في أعين العرب» أنّ الشّعر ديوان العرب وسجل مآثرهم، وأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلم كان متذوّقاً للشّعر، عالماً بما يحويه من حكم صائبة وتوجيهات سديدة، حيث يقول عليه الصّلاة والسّلام: «إنّ من البيان لسحراً، وإنّ من الشّعر لحكمة».

وتناول العدد الثّامن من المجلّة إطلاق صاحب السمو الشيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، 31 مجلّداً جديداً من المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، والتي تغطّي 6 أحرف، هي «الرّاء والزّاي والسّين والشّين والصّاد والضّاد»، ليصبح العدد الكلي للحروف التي تم تحريرها حتى الآن 15 حرفاً، من الهمزة إلى الضّاد، وليرتفع عدد المجلدات المنجزة من المشروع إلى 67 مجلداً.

وتحت عنوان «الشّارقة تحتضن أوّل مؤتمر للمستشرقين»، تناولت المجلّة فعاليات «مؤتمر الشّارقة الأوّل لدراسات اللّغة العربيّة في أوروبا: واقع وآفاق»، الذي نظّمه المجمع برعاية كريمة من صاحب السمو الشيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، الرّئيس الأعلى لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، في دارة الدّكتور سلطان القاسمي.

وحول «الاستدامة اللّغويّة»، كتب الدّكتور علي عبدالقادر الحمادي، موضّحاً أنّ الاستدامة اللّغويّة يراد بها أن تبقى اللّغة خالية من التّلوث اللّغويّ ومهدّدات الانقراض، أو ضمور عناصرها الحيويّة، آمنة من المكوّن الدّخيل على المكوّن الأصيل، مشيراً إلى أنّ إتقان المؤلّفين للتّدقيق اللّغوي يعدّ واحداً من عناصر الاستدامة اللّغويّة التي ينبغي التركيز عليها.

وفتحت المجلّة في عددها الثّامن الباب أمام أقلام عدد من الباحثين والأكاديميّين للكتابة في موضوعات بحثيّة ومقالات معرفيّة متخصّصة في الدّراسات النّحويّة، والمعجميّة والأدبيّة، والقرائيّة.

أبرزت إطلاق 31 مجلّداً جديداً من «المعجم التّاريخيّ» تغطّي 6 أحرف

www.alkhaleej.ae

الملف

المعجم التاريخي للعربية..



موسوعة شاملة تحول في تاريخ وحاضر ثقافتنا

مناقشة تطوير مهارات المعلمين

■ الشارقة: «الخليج»

أكدت الدكتورة سوسن المكي، مؤسسة «معهد المستقبل في باريس»، أن المعلم ينجح بامتياز عندما ينظر إلى كل طالب على أنه «مشروع عبقري»، ويعطيه القيمة الإنسانية الحقيقية، ويتحمل مسؤولية رعايته، وصقل مواهبه، ودعم مهاراته، ومساعدته على الاستفادة منها مدى الحياة.



■ امحمد المستغانمي يكرم سوسن المكي ■

جاء ذلك خلال محاضرة علمية نظمها مجمع اللغة العربية، ضمن فعاليات «المجلس اللغوي الثامن» تحت عنوان «معلم اللغة العربية الناجح.. الإعداد والأساليب»، بحضور الدكتور امحمد صافي المستغانمي، الأمين العام لـ«مجمع اللغة العربية بالشارقة»، ونخبة من الأكاديميين ... والجمهور، وممثلي وسائل الإعلام ...

الجلسة إلى أن «مجمع اللغة العربية بالشارقة» نظم «المجلس اللغوي الثامن» بهدف تحفيز المعلمين والمعلمات، والتمكين للسان العربي في نفوس أبناء الجيل، واستقطاب الكفاءات اللغوية التي يتمتع بها العالم العربي والإسلامي.

واستعرضت الدكتورة سوسن المكي مختلف المفاهيم النظرية والأنشطة والتطبيقات العملية التفاعلية التي تساعد المعلمين والمعلمات ...



أخبار المجامع

- افتِتاحُ قاعَــة اللغَةِ العربيّــةِ والثّقــافَة العربيّــة في جامِعَــةِ الفارابيّ
- مجمع اللّغة العربيّــة بالشّــارقة يعــرِّفُ موظفي الجهــات الحكـوميّة مهــارات «المراسلات الإداريّة»
- مجمع اللّغة العربيّــة بالشّارقة يستضيف الدكتور أبا صالح أنيس لقمان في مجلسه اللغوي التاسع
- إطْـلَالةٌ على المَجْلِـسِ الأعْلَى للّغــةِ العـربيّةِ بالجزائـرِ وجُهُــودِه فــي خِـدْمَةِ اللُّـغـةِ العـربيَّـةِ

تنفيذاً لتوجيهاتِ حاكمِ الشّارِقة

افتِتاحُ قاعَة اللغَةِ العربيّةِ والثّقافَة العربيّة في جامِعَةِ الفارابيّ



صورة تذكاريّة أمام مبنى جامعة الفارابي

في إطار اتفاقية التعاون الموقعة بين مجمع اللغة العربية بالشارقة وجامعة الفارابي الوطنيّة، شهد معهد الدراسات الشّرقيّة وقسم اللغة العربية في الجامعة حفل افتتاح قاعة اللغة العربية والثقافة العربية يوم 17 مايو 2024 في حضور أكاديميّ مكثّف ووسط أجواء طلابيّة وعلميّة متميّزة. ويأتي افتتاح قاعة اللغة والثقافة العربية تنفيذاً لتوجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الاعلى حاكم الشارقة الرئيس الأعلى لمجمع اللغة العربية بالشارقة، الذي وجه بإنشاء القاعة لتضاف إلى سلسلة المبادرات والمكرمات التي يدعم بها سموه كافة مجالات الثقافة والعاملين بها ويعيد من خلالها للغة العربية ألقها وبهجتها، ويعزز من مكانتها وانتشارها بين الأمم.

حضر الحفل رئيس جامعة الفارابي الوطنية الأستاذ الدكتور جانسييت وعميدة كلية الدراسات الشرقية الاستاذة

تحتوي القاعة على لافتات ولوحات فنّيّة تروي تاريخ دولة الامارات العربية المتحدة وترسخ جسور التواصل والتقارب بين ثقافتي الدولتين







جانب من افتتاح قاعة اللغة العربيّة في جامعة الفارابي

الدكتورة نتاليا وعدد كبير من أساتذة الكلية وعدد من الضيوف المهتمين بالشأن اللغوي، وحضرها من ناحية مجمع اللغة العربية بالشارقة، الدكتور امحمد صافي المستغانمي الأمين العام للمجمع وماجد الهولي منسق العلاقات العامة، كما حضر الحفل الدكتور محمد كامل المعيني وأحمد الجروان ممثلين عن المعهد الدولي للدبلوماسية الثقافية.

وألقى الدكتور المستغانمي كلمة في الحفل ذكر فيها الجهود التي تبذلها إمارة الشارقة في السّعي للتمكين للسان العربي وذكر جملة الإجراءات والخطوات العمليّة التي نفّذها المجمع بالتنسيق مع كلية الدراسات الشرقية قبل التوصل إلى إنشاء هذه القاعة العلمية العربية الشارقيّة بامتياز التي تضمّ جميع الوسائل الحديثة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وأحدث الأثاث وهي

> **المستغانمي: "إنّ الشارقة أصبحت موئلًا للثقافة العربية ومحجًا للغويّين ومقصدًا لأهل العلم والفنّ يأتونها من كل فجٍّ عميقٍ"**

مزوّدة بمكتبة لغوية متخصصة، خصّص فيها القائمون جانبًا كاملًا لكتب صاحب السمو حاكم الشارقة وإصدارات المجمع. كما تحتوي القاعة على لافتات ولوحات فنّيّة تروي تاريخ دولة الامارات العربية المتحدة والعلاقات الدولية القوية التي تجمع بين الدولتين وترسخ جسور التواصل والتقارب بين الثقافتين.

كما قال المستغانمي: "إنّ الشارقة أصبحت موئلًا للثقافة العربية ومحجًا للغويين ومقصدًا لأهل العلم والفنّ يأتونها من كل فج عميق، وأصبح المدّ الثقافي والإشعاع اللغوي الشارقيّ يزداد انتشارا وذيوعًا يوما بعد يوم في شتى البقاع والأصقاع"، وأضاف المستغانمي: "وافتتاح القاعة اليوم هو تجسيد عملي للتعاون المثمر بين مجمع اللغة العربية بالشارقة وجامعة الفارابي الوطنية، وهو خطوة تتلوها خطوات تدعم وتسهّل عملية تعليم العربية للناطقين بغيرها"، وليس هذا بغريب عن النهج الثقافي الذي رسمه صاحب السمو الدكتور سلطان بن محمد القاسمي الذي يبذل الغالي والنفيس من أجل التمكين للسان العربي وما أمر المعجم التاريخي الذي يتولاه سموه عن الناس ببعيد.

مَجْمــعُ اللّغــةِ العربيّــةِ بالشّـــارِقــة يعــرِّف موظفي الجهـات الحكوميّــة مهارات وأَساليب «الـمُراسَلات الإداريّة»

في إطار جهوده لتعزيز مكانة اللّغة العربيّة ودعم استعمالها في شتّى مناحي الحياة، نظّم مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة دورة تدريبيّة متخصصّة حول «المراسلات الإداريّة»، شارك فيها، على مدى يومين في مكتبة المجتمع، 20 موظّفًا وموظّفة من كوادر مختلف مؤسسّات حكومة إمارة الشّارقة.

واختتمت الـدّورة محاضراتها يوم الخميس 16 مايو 2024 بحضور كلّ من سعادة محمّد حسن خلف، المدير العامّ لهيئة الشّارقة للإذاعة والتّلفزيون، عضو مجلس أمناء المجمع، والدّكتور امحمّد صافي المستغانمي، الأمين العامّ للمجمع، اللّذين سلّما المشاركين في الدّورة شهادات الحضور والمشاركة.

وقدّم الدّورة كلّ من **الأستاذ الدّكتور الأخضر الأخضري، والدّكتور بهاء الدّين عادل دنديس**، الباحثَين في مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، اللّذين استعرضا أسس صياغة المراسلات الإداريّة ومهاراتها بأسلوب علميّ وعمليّ، حيث تضمّنت الـدّورة تدريبات على كتابة الرّسائل الرسميّة، مع التّركيز على الأساليب البيانيّة والبلاغيّة التي تُضفي الاحترافيّة على المحتوى المكتوب، بالإضافة إلى تعريف المشاركين بأهمّ قواعد النّحو والإملاء التي يجب استصحابها عند كتابة الرّسائل الإداريّة، لضمان الدّقة والوضوح في المراسلات الإداريّة، إلى جانب استعراض نماذج عمليّة للرّسائل المكتوبة بشكل احترافيّ.



جانب من الدّورة التدريبية

> **تضمّنَت الدورة تـعريف المشـــاركين بأهمّ قـواعـد النّحو والإملاء التي يجـب استصحابها عند كتابة الرّســائل الإداريّـــة، لضمان الدّقة والوضوح في المراسلات الإداريّة**

المراسلات من أركان النّجاح في العمل الحكوميّ

وفي تصريحه حول الـدّورة، أكّد الدّكتور امحمّد صافي المستغانمي، الأمين العامّ لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، أهمّية هذه المبادرة التي تأتي تجسيدًا لرؤى وتوجيهات صاحب السموّ الشّيخ الدّكتور سلطان بن محمّد القاسميّ، عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، الرئيس الأعلى لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، في ترسيخ مكانة اللّغة العربيّة كركيزة أساسيّة في البناء المجتمعيّ والمؤسّسي، مشيرًا إلى أنّ

الدّورة تعكس الحرص على أن تكون العربيّة لغة العِلم والمعرفة والإدارة.

وقال المستغانمي: «المراسلات الإداريّة الاحترافيّة تُعدُّ جسرًا للتّواصل الفعّال والبنّاء، وتُمثّل أحد أهمّ مقوّمات النّجاح في العمل الحكوميّ؛ فالرّسالة المكتوبة بدقّة وإتقان تفتح آفاقًا واسعة للتّعاون بين الجهات الحكوميّة، وتطوير عملها، وتُعزّز كذلك من فرص الإبداع والتميّز في ميدان العمل. واللّغة العربيّة، بجماليّاتها وغناها، تُعدُّ أداة قويّة للتّأثير، وهي تُمكّن الرّسالة من الوصول إلى عقل المتلقّي وقلبه بسلاسة ووضوح».

معارف تسهم في التّطوّر المهنيّ

وأعرب المشاركون في «دورة المراسلات الإداريّة" عن تقديرهم للمعارف التي اكتسبوها والتي ألقت الضّوء على جوانب متعدّدة من فنّ المراسلات الإداريّة وتاريخها، كما أشادوا بالطّرح العلميّ الرّصين الذي قدّمته الجلسات، لافتين إلى أنّها فتحت أمامهم آفاقًا جديدة للتميّز في مجال عملهم.

علّق يوسف أحمد، مدير مكتب الوثائق بالمجلس الاستشاريّ لإمارة الشّارقة، قائلًا: «كانت الدّورة غنيّة بالمعلومات والمهارات العمليّة التي تُعدّ ضروريّة لأي موظّف يسعى للتميّز؛ إذ أتاحت لنا فهمًا أعمق للبروتوكولات والمفردات المستخدمة في المراسلات الإداريّة، مما يُسهم في رفع مستوى الكفاءة المهنيّة لدينا».

من جانبه، أضاف محمّد السّيد إبراهيم، موظّف في المكتب التّنفيذيّ لرئيس دائرة الشّؤون الإسلاميّة بالشّارقة: «الدّورة قدّمت لنا مفاهيم ومصطلحات لغويّة جديدة وأساسيّة، وأكسبتنا القدرة على التدقيق في استعمال اللّغة واختيار الكلمات بعناية، كما أنّها أبرزت أهمّيّة أن تكون الرّسالة الاحترافيّة متكاملة المضمون والشّكل، مما يُعزّز من قوّة تأثيرها وحضورها».

وفي الختام، أكّد المنظّمون أنّ الدّورة حقّقت أهدافها بنجاح، وأنّها ستكون خطوة مهمّة نحو تعزيز الكفاءة اللّغويّة والإداريّة للموظّفين، وتمكينهم من استخدام اللّغة العربيّة بطريقة تليق بمكانتها كلغة علم وثقافة وإدارة، كما وأعربوا عن أملهم في تطوير برامج علميّة أخرى تساهم في الارتقاء المهنيّ لموظّفي حكومة الشّارقة، بالارتكاز على تعزيز مختلف المهارات المرتبطة بإتقان قواعد العربيّة ومعرفة أساليب استعمالها.



تكريم المشاركين في الدورة



تكريم المشاركين في الدورة



مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

يستضيف الدكتور أبا صالح أنيس لُقمان

في مَجْلِسهِ اللغويِّ التّاسِع

استضاف مجمع اللغة العربية بالشارقة، مساء يوم الخميس 30 مايو 2024 «المجلس اللغوي التاسع»، الذي ناقش دور اللغة العربية الفصحى في العصر الحديث تحت عنوان "اللغة العربية الفصحى بين الاكتساب والممارسة»، ناقلاً تجربة الدكتور أبي صالح أنيس لقمان، رئيس إدارة البحوث والترجمة في مؤسسة سدرة لدمج ذوي الإعاقة، الذي شارك الحضور تجربته العملية في مجال تعزيز استخدام اللغة العربية الفصحى في الحياة اليومية، بحضور الدكتور امحمد صافي المستغانمي، الأمين العام لمجمع اللغة العربية، وجمع من المتخصصين والطلاب من غير الناطقين بالعربية.

القراءة أساس إتقان العربية

وفي مستهل الجلسة، شدد الدكتور امحمد صافي المستغانمي على أهمية الممارسة اليومية في تعلم اللغة العربية الفصحى وتقويم مسار الإنسان نحو الإتقان. وقال: «لطالما كانت البادية مصدراً جوهرياً للغة العربية الأصيلة، حيث كان القدماء يرسلون أبناءهم إلى الصحراء ليتعلموا اللغة العربية السليمة، تماماً كما فعل الإمام الشافعي الذي أمضى ستة عشر عاماً في قبيلة بني هذيل، واستفاد من تلك التجربة في فهم اللغة والشريعة».

وأضـاف: «تُعدّ القراءة في عصرنا الحالي بمثابة الإقامة في البادية بالأمس؛ فتنشئة الأجيال على حب القراءة والمعرفة تُعتبر أساساً لإتقان اللغة العربية؛ إذ لا يمكن لمن لا يملك المعرفة أن ينقلها، ولا يستطيع الناشئة ممارسة اللغة ببراعة دون الغوص في أعماق القراءة الواعية. والحفظ هو خزان المعرفة الذي لا ينضب، والقراءة تضمن تكوين مستودع غني لدى الطالب يضمن له معرفة الأساليب والعبارات، وهكذا، تصبح القراءة مفتاحاً يُضاف إلى الممارسة اليومية ويعززها، مما يُمكّن الطالب من إتقان اللغة وتوظيفها بكفاءة».

الفصحى أداة التفكير

وحذر الدكتور أبو صالح لقمان من تحول اللغة العربية الفصحى إلى لغة غريبة عن الأطفال، وكأنها لغة أجنبية، مؤكداً أنها مسألة ذات تبعات خطيرة؛ لأن ذلك يهدد جوهر الهوية الثقافية ويعوق النمو الفكري.

وردَّ لقمان على من يقول إن الغاية من اللغة هي التواصل، وهو حاصل بالعامية، فقال: «اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، لأن التواصل واحد من عشرات الغايات للغة، وقد يتحقّق بالإشارة مثلاً، أما اللغة في الحقيقة فهي أداة التفكير، والفصحى هي الأساس المتين الذي يمكّن الإنسان من التعبير عن أعمق المعاني والأفكار. ونحن لا نطالب بالتوقف عن الحديث بالعامية

في التواصل اليومي، لكن اللغة العربية الفصحى، بتاريخها العريق ومكانتها العلمية، قادت العرب إلى الريادة في مختلف المجالات العلمية لقرون عديدة، ولا تزال تُعتبر من أرقى اللغات على مستوى العالم، ولا ينبغي علينا إهمالها».

وأضاف: «استشراف المستقبل والتقدم في مجالات البحث العلمي يتطلب إتقان اللغة العربية الفصحى بقواعدها الدقيقة وأساليبها الراقية، والأبحاث العلمية، في كافة اللغات، تُكتب دوماً بلغة فصحى تُعبر عن الدقة والعمق في المعرفة، مما يُسهم في تطوير الفكر الإنساني وتعزيز الحوار العلمي البنّاء».

تعزيز العربية الفصحى كواقع

وحـول الوسائل والأساليب التي تضمن حضور العربية الفصحى في المجتمعات، قال الدكتور لقمان: «تتبوأ دولة الإمارات العربية المتحدة مكانة رائدة في المناهج التعليمية المتقدمة، ومبادرات خدمة العربية، مثل وثيقة اللغة العربية وميثاقها، والمطلوب هو أن نعزز استخدام الفصحى واقعاً عملياً على المستويات الأكاديمية وفي الخطابات الرسمية والمراسلات الحكومية. وفي تجربتي الشخصية، حرصت على التحدث بالفصحى مع طلابي، حتى الصغار منهم، ورغم الضحك في البداية والاندهاش في بداية الأمر حيث كان الطلاب يعجبون من الحديث باللغة الفصحى فقط حتى في الشؤون العادية، فإن النتائج الإيجابية على تحصيلهم الأكاديمي كانت واضحة، ومن الضروري الالتزام بالفصحى، ولو لساعة واحدة يومياً، لضمان استمرارية هذا التراث اللغوي الغني».

الفصحى تميز المثقف الحقيقي

وحول تجربته مع العربية، أوضح الدكتور لقمان أنه نشأ في بيئة لا يتحدث الناس فيها بالعربية. وقال: «كانت القصص القرآنية بمثابة مفتاح لفهم اللغة العربية بالنسبة لي، حيث أتاحت لي التعرف على سياق وأساليب اللغة المتنوعة، مثل الاستفهام الإنكاري والتعجبي. ومن خلال التكرار المستمر للآيات والحوارات العامة، تشربت بناء الجملة العربية وأتقنت تطبيق القواعد النحوية في حياتي اليومية».

وتابع: «يواجه الطلاب الأجانب غير الناطقين بالعربية تحدياً عندما يأتون إلى البلاد العربية؛ إذ يكتشفون أن السكان المحليين لا يستخدمون الفصحى في التواصل اليومي، وهذا الواقع يُبرز الحاجة إلى تعزيز استخدام الفصحى في الأوساط الثقافية والرسمية، وهو ما يُميز المثقفين في جميع اللغات، لا العربية وحدها».

امحمد صافي المستغانمي: "القراءة بمثابة الإقامة في البادية بالأمس، فتنشئة الأجيال على حبّ القراءة والمعرفة تُعدّ أساسًا لإتقان اللغة العربيّة"

المُثقّف الحقيقي هو الذي يستخدم الفصحى بطلاقة ولا يكسر قواعد إعرابها



صورة جماعيّة للمشاركين في المجلس اللغويّ التّاسع

إطْلَالةٌ على المَجْلِسِ الأعْلَى للّغةِ العربيّةِ بالجزائرِ وجُهُودِه في خِدْمَةِ اللُّغةِ العربيَّةِ

مِن بين المُؤسّساتِ العربيّةِ التي تعملُ على ترقيةِ اللُّغةِ العربيّةِ وتطويرِها؛ المجلسُ الأعلى للّغةِ العربيّةِ في الجزائر، الذي تأسّس في: 28 سبتمبر1998م، وعلى مدى أكثرَ من خمسٍ وعشرين سنةً؛ قدّمَ خدماتٍ كثيرةً للُّغةِ العربيّة، وفي شتّى المجالاتِ، وترمي هذه الورقةُ إلى تسليطِ الضّوءِ على بعضِ الجوانبِ التي تتّصلُ بخدمتِه للّغةِ العربيّةِ من خلالِ الإنتاجِ العلميِّ الذي صدرَ عنه، كما تهدفُ إلى تقديمِ دراسةٍ وصفيّةٍ لبعضِ النّماذجِ المختارةِ منَ الأعمالِ التي صدرت عنِ المجلسِ الأعلى للّغةِ العربيّةِ في الجزائر، وقد وفّرَها المجلسُ الأعلى للقُرّاءِ والكُتّابِ. وهي كثيرةٌ ومتعدّدةٌ ومتنوّعةٌ، ومن بينِها: أعمالُ الموسمِ الثّقافيِّ، والمُلتقياتُ وأعمالُ النّدواتِ والأيّامُ الدّراسيّةُ، والكُتُبُ المطبوعةُ؛ التي طبعَها المجلسُ لشخصياتٍ علميّةٍ وعلماءَ أسهمُوا في خدمةِ اللُّغةِ العربيّةِ.



د. محمد سيف الإسلام
دكتور في كلية الآداب واللّغات، جامعة عنّابة، الجزائر

وهناك كُتُبٌ كثيرةٌ ترجمها المجلسُ إلى اللُّغةِ العربيّةِ، بالتّعاونِ مع أساتذةٍ أَكْفِيَاءَ ومُترجمِين مُتميّزِين، بالإضافةِ إلى بعضِ الأعدادِ منَ المجلّاتِ الرّصينةِ التي يُصدرُها المجلسُ الأعلى للّغةِ العربيّةِ بالجزائر.



مقرّ المجلس الأعلى للغة العربيّة بالجزائر

أَوّلًا: التّعريفُ بالمجلسِ الأعلى للّغةِ العربيّةِ في الجزائرِ ومهامِه:

في28 سبتمبر1998م أُسِّسَ المجلسُ الأعلى للّغةِ العربيّةِ في الجزائر، من أجلِ وضْعِ جُملةٍ مِنَ المسائلِ المُلائمةِ لتعميمِ استعمالِ اللُّغةِ العربيّةِ، والنّهوضِ بنشاطاتٍ متنوّعةٍ خدمةً للُّغةِ العربيّةِ، ورغبةً في المُضيّ بها إلى الأمام، وهو من بين الهيئاتِ العُليا التي تعملُ على الإشرافِ على تمكين اللغة العربيّةِ في الجزائر، وتعميمِ استعمالِها، ومن بين ما جاء في المرسومِ الرّئاسيِّ الذي يتضمّنُ صلاحيّاتِ المجلسِ الأعلى للّغةِ العربيّةِ وتنظيمَهُ









جانب من ملتقيات وندوات المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر

وعَمَلَهُ، والمؤرّخ في: 17ربيع الأوّل عام:1419هـــــ/الموافق لـــ11يوليو سنة:1998م؛ فإنَّ المجلسَ الأعلى للّغة العربيّة، هيئةٌ وطنيّةٌ، تتمتّعُ بالشّخصيّةِ المعنويّةِ والاستقلالِ الماليِّ، ويُتابعُ تطبيقَ كلِّ القوانين الهادفةِ إلى تعميم استعمالِ اللّغة العربيّةِ وحمايتِها ونشر استعمالها وتطويرِه، ويُقوِّمُ أعمالَ الهيئاتِ المُكلّفةِ بتعميم استعمالِ اللّغةِ العربيّة وترقيته وتطويرِه، ويُسْهِمُ في إعدادِ واقتراحِ العناصرِ العمليّةِ الّتي تُشكِّلُ قاعدةَ وضعِ برامجَ وطنيّةٍ في إطار السّياسةِ العامّةِ لبرامج تعميمِ استعمالِ اللّغة العربيّةِ، ويُقدّمُ آراءَ واقتراحاتٍ فيما يَخُصُّ التّدابيرَ التّشريعيّةَ التّنظيميّةَ الّتي تدخلُ ضمْنَ صلاحيّاتِه، ويدْعمُ التّنفيذَ الفعليَّ للبرامج الوطنيّةِ و/أو البرامج القطاعيّةِ المُتعلّقةِ بتعميم استعمالِ اللّغة العربيّةِ، ويُرقّي استعمالَ اللّغةِ العربيّةِ ويَحميها في الإداراتِ والمرافقِ العُموميّةِ، ويَحرصُ على سلامتِها، ويدرسُ ويُبدي رأيَه في مُخطّطاتٍ وبرامجِ العملِ القطاعيّةِ الخاصّةِ بتعميم استعمالِ اللّغة العربيّةِ، ويتأكّدُ منِ انسجامِها وفعاليتِها، ويتلقّى، لهذا الغرضِ منَ الإداراتِ والمؤسسّاتِ والهيئاتِ العموميّةِ كلَّ المعلوماتِ، والمُعطياتِ

في 28 سبتمبر1998م أُسِّسَ المجلسُ الأعلى للّغةِ العربيّةِ في الجزائر، من أجل وضْعِ جُملةٍ من المسائلِ المُلائمةِ لتعميمِ استعمالِ اللُّغةِ العربيّةِ

والإحصائيّاتِ الّتي تتعلّقُ بمهامِّه ونشاطِه، ويُبدي المجلسُ مُلاحظاتِه، ويُبلّغُ معاينتَه إلى الجهاتِ المعنيّةِ إذا لاحظ تأخّرًا في تطبيق البرامج المُحدّدةِ، أو تقصيرًا في

تنفيذ القوانين أوِ الأعمالِ المُقرّرة، ويرفعُ بذلك تقريرًا إلى رئيس الجمهوريّة، ويُقدّمُ تقريرًا سنويًّا إلى رئيس الجمهوريّةِ حول عمليّةِ تعميم استعمالِ اللّغة العربيّةِ، ويجبُ أن يعملَ المجلسُ على تطبيق التّشريعِ والتّنظيمِ المتعلّقَيْن بتطبيق استعمالِ اللّغة العربيّةِ في الإدارات، والمؤسّساتِ، والهيئات العموميّةِ، ومختلفِ الأنشطة؛ لاسيّما الاقتصاديّةِ والثّقافيّةِ، والاجتماعيّةِ، ويُمكنُ أن يُبادرَ بالعلاقة مع المؤسّساتِ المُختصّة بكلّ دراسةٍ أو بحثٍ، يهدفُ إلى تمكين اللّغةِ العربيّةِ وتعميم استعمالِها، ومن أجل ذلك يمكنُه الاستعانةُ بالمؤسّسات الوطنيّةِ أوِ بالشّخصيّات العلميّة، وفي هذا الإطارِ يقومُ المجلسُ على الخصوصِ بما يأتي:

* يعملُ على تعبئةِ الكفاءاتِ العلميّةِ والتّقنيّةِ لتمكينِها من إنجازِ الدّراساتِ والأبحاثِ واقتراحِ البرامجِ الّتي تُساعدُ على ازدهـارِ اللّغة العربيّة، ويُنظّمُ النّدواتِ، والمُلتقياتِ، والأيّامَ الدّراسيّةَ حول موضوعِ استعمالِ اللّغةِ العربيّةِ في مختلف المجالاتِ، ويسهرُ على استغلال نتائجها ونشرِها بكلّ الوسائل، ويستغلُّ جميعَ الدّراساتِ والأبحاثِ المُنجزة في الجزائر أو في الخارج الّتي ترتبطُ بمهامّه.

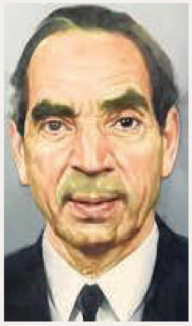
ويتولّى المجلس كذلك:

* تَوْجيـهَ عمـلِ المؤسّسـاتِ، والهيئـاتِ، والقطاعـاتِ الّتـي تُمـارسُ أنشـطةَ الثّقافـةِ، والإعلامِ، والتّربيـةِ، والتّكويـنِ في تطويـر وتعميمِ اسـتعمال اللّغـة العربيّة، وتقويـمَ وتدريـسَ آثـارِ الأعمـال التـي تُبـادرُ بها مختلـفُ الهيئـاتِ والإداراتِ إلى اللّغـةِ العربيّـة وإبداءَ رأيـه في كلّ مشروعٍ يمكـنُ أن تكونَ لـه آثـارٌ على عمليّة تعميمِ وترقيةِ اسـتعمالِ اللُّغـة العربيّـةِ، وتقديمَ المُلاحظاتِ التّقويميّـةِ إلى القطاعاتِ المُكلّفةِ بإنجـاز برامـجِ تعميـمِ اسـتعمالِ اللّغـة العربيّـةِ(1).

المجلس هو من بين الهيئاتِ العُليا التي تعملُ على التّمكين للغةِ العربيّةِ في الجزائر وتعميم استعمالها


د.محمد العربي


د. عبدالرحمن صالح


د.عبدالملك مرتاض


د. صالح بلعيد

وقد وصفَ الدّكتور عبد الملك مرتاض رَحِمَهُ اللهُ؛ أوّلُ رئيسٍ للمجلسِ الأعلى للّغة العربيّة بالجزائر، هذا المجلسَ بالقول: «لقد نصّبَ رئيسُ الجمهوريّة(2) هذا المجلسَ برئيسه وأعضائه السّتّةِ والثّلاثين، بصورةٍ رسميّةٍ بناءً على القوانينِ الجزائريّةِ التي توجِبُ تعميمَ استعمالِ اللّغة العربيّةِ في المحيطِ، ومؤسّساتِ التّعليم، والإدارةِ يوم السّبت 28 سبتمبر 1998. وانطلق هذا المجلسُ من عدمٍ، وقد بذل أعضاءُ المجلسِ جهودًا خارقةً تحت إشرافِ رئيسِه فَأُسِّسَتْ مكاتبُه الإداريّةُ، وموقعٌ للإنترنت، ومكتبةٌ. كما أسّس المجلسُ مجلّةَ «اللّغة العربيّة» التي صدرَ منها، في السّنوات الثّلاث الأولى خمسةُ أعدادٍ تناولتْ قضايا متخصّصةً في مسائل اللّغةِ العربيّةِ، ونهضَ بموسمَيْن ثقافيّين، ونظّم عدّةَ ندواتٍ وطنيّةٍ ودوليّةٍ منها ندوةٌ دوليّةٌ ناقشتْ موضوعَ: «مكانةُ اللّغةِ العربيّة بين اللّغاتِ العالَميّة» في نوفمبر 2000م، وقد طُبعت أعمالُ هذه

(1) مرسـوم رئاسـيّ رقم:98-226مـؤرّخ فـي:17 ربيـع الأوّل عام:1419هـ/المُوافـق لـ11يوليـو سـنة:1998م، يتضمّـن صلاحـيّات المجلس الأعلـى للّغـة العربيّـة وتنظيمـه وعملـه، مجلـة اللُّغـة العربيَّـة، مجلـة فصلية يُصدرهـا المجلـس الأعلـى للّغـة العربيّـة بالجزائـر، العـدد:01، ذو الحجة1419هـــ/ مـارس1999م، ص:221 ومـا بعدها.

(2)رئيس الجمهورية الجزائرية خلال سنة:1998م، هو المجاهد الأمين زروال.





النّدوة في كتابٍ خاصٍّ. كما طُبعت كلُّ أعمالِ النّدوات والمواسمِ الأخرى، ووقع تكريمُ الطّلابِ السّبعةِ الأوائلِ الذين حازوا أَعْلَى العلاماتِ في اللّغة العربيّةِ في شهادةِ البكالوريا تكريمًا سخيًّا... ورُصِدت مسابقةٌ وطنيّةٌ لأحسنِ ثلاثةِ كتبٍ مؤلّفةٍ باللّغة العربيّة وتتناولُ موضوعاتٍ علميّةً دقيقةً، ووزّعتِ الجوائزُ على الفائزين بعد الاحتكامِ إلى لجنةٍ أُسِّسَتْ لهذه الغاية...»(3).

وقد أشار الدّكتور صالح بلعيد؛ رئيسُ المجلسِ الأعلى للّغة العربيّةِ إلى مهامٍّ المجلسِ الأعلى للّغة العربيّةِ خلال عدّةِ مناسباتٍ، كما حدّدها دستور2016م في النّقاط الثّلاث، وهي:

1. العملُ على ازدهار اللّغةِ العربيّة.
2. العملُ على تعميمِ استعمالِ العربيّةِ في العلوم وفي التكنولوجية.
3. العملُ على التّرجمة إلى العربيّة.

ويذهبُ الباحثُ الدكتورُ صالح بلعيد في تحليله لهذه النّقاط الثلاث، إلى أنها تبدأ بكلمة (العمل) مكرّرةً ثلاثَ مرّاتٍ، وهي مهامٌّ كبيرةٌ تحتاج إلى أرمادةٍ من البَحَثَةِ والمؤسّساتِ ومراكزِ البحوث، والوزاراتِ، والجمعيّاتِ وكلِّ الفاعلين في البحوث العلميّةِ والأدبيّةِ والتّربويّةِ والثّقافيّةِ والقانونيّةِ والتّقنيّةِ...وهي نقاطٌ تحملُ مضامينَ كبيرةً، وتحتاجُ إلى تفعيل الرّأي، وحُسن التّدبير، والتّخطيط اللّازم على الآمادِ الثّلاثة(4)، ويُنبِّهُ الدّكتور صالح بلعيد إلى أنّ إستراتيجيّةَ المجلس الأعلى للّغة العربيّة، في تطويرِ اللّغة العربيّة، تُستخلصُ من مهامِّه الدّستوريّة، كما تُسايرُ برامجَ الحكومة، ولهذا الغرضِ فَقَدْ قُسِّمَتْ على الآمادِ الثّلاثة وَمِنْها: المدى السّريعُ الَّذي يتعلّقُ البحثُ العلميُّ فيه بازدهارِ اللّغة العربيّةِ، وَأَمَّا بالنّسبةِ إلى المشاريعِ التي اقتُرحت في هذا المجال فهي:

* مشاريعُ الازدهارِ اللُّغويِّ في الماضي: منهجيّـاتُ الازدهـارِ وَآليّـاتُ البحـوثِ التّطبيقيـةِ في المجـال.
* مشاريعُ الانغماسِ اللّغويِّ.
* المواطنـةُ اللّغويـةُ في الماضي وفي الحـاضر وفي المسـتقبل.
* مشـاريعُ الانسـجامِ والتّكاملِ اللّغويِّ بين اللُّغـاتِ الوطنيّة.
* مشاريعُ تطويرِ البحوثِ التّربويّةِ.
* مشاريعُ ترقيةِ الدّوارجِ إلى لغةٍ وُسطى.
* مشـاريعُ في مُحاربـة آفـةِ التّلـوّث اللّغـويّ/ الهـجينِ اللّغـويِّ.
* مشاريعُ في المختصراتِ اللّغويّةِ العلميّةِ.
* مشاريعُ في تطوير لُغةِ الإعلام.
* المشـاريعُ النّاجحـةُ: تجربـةُ البلـدان المفتوحـة ــــ تجربـةُ الأندلس.
* التّواصـلُ الحضـاريُّ بين اللّغـات:

---

(3) د.عبـد الملـك مرتـاض: اللغـة العربيـة في القـرن الحـادي والعشريـن، في المؤسسـات التعليميـة في الجمهوريـة الجزائريـة، الواقـع والتحديـات واسـتشراف المسـتقبل، محـاضرة ألقاهـا بمجمـع اللغـة العربيـة الأردنـي بعمّـان يـوم : الثلاثـاء 7 جمـادى الأولى 1426هــ– 14 حزيـران 2005م، ص:4.

(4)د.صالح بلعيد: مناسبة وكلمة، الجزء:02، منشورات المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر، 2018م، ص:25.



سعادة عبد الله العويس مع وزير الثقافة الجزائريّ



جانب من ندوة لغويّة

تكامـلٌ لا تصـادمٌ.

* البحوثُ اللّسانيّةُ البرمجيّةُ.

* مشروعُ الحضارةِ العربيّةِ في موضعِ النّقدِ .

* اللّغةُ والمجتمعُ، وآليّاتُ النُّموِّ اللُّغَوِيِّ

* التّعدّدُ اللّغويُّ والتّنميَةُ البشريّةُ.

* التّكامـلُ اللّغويّ بين اللّغـاتِ الوطنيّةِ والرّسميّةِ.

* الخُططُ المرحليّةُ في البحثِ اللّسانيّ

* مشاريعُ في التّصويبِ اللُّغويِّ

* إنجازُ معاجمَ وأدلّةٍ مُتخصّصةٍ(5).

أمّا المدى المتوسّطُ؛ فقد أشار الدكتور صالح بلعيد؛ إلى أنّه يقعُ التّركيزُ بقوّةٍ فيه على الجوانبِ التّقنيّةِ، وهناك مشاريعُ في الصّناعةِ المُعجميّةِ، ومشاريعُ في اللّسانيّاتِ الحاسوبيّةِ، ومشاريعُ في التّهيئةِ اللّغويّةِ، ومشاريعُ في التنوّعِ اللّغويّ وآلياتِ التّعدّدِ اللّغويِّ، ومشاريعُ في المعاجمِ الموحّدةِ: الطاقاتِ المتجدّدةِ، العلومِ القانونيّةِ، السياحةِ، الصّناعةِ التّقليديّةِ، لغةِ الفلاحةِ، الصّناعاتِ الميكانيكيّةِ، ومشاريعُ في بناءِ المناهجِ التّربويّةِ المُعاصرةِ، ومشاريعُ في اللُّغاتِ المُتخصّصةِ، ومشاريعُ في حُسنِ استعمالِ لُغةِ الإعلامِ، ومشاريعُ في إنجازِ المدوّناتِ الصّغيرةِ، ومشاريعُ في الأطالسِ اللّغويّةِ في الجزائر، ومشاريعُ في الحوسبةِ اللّغويّةِ، والبرمجيّاتِ العربيّةِ الذّكيةِ، وآلياتِ تطويرِ المدوّنات، والمُحتوى الرّقميِّ بالعربيّةِ، ووضْعِ أرضيّاتٍ لرقمنةِ المكتباتِ والمشاريعِ الخاصّةِ، ورقمنةِ بواباتِ الوزارات مُسايرةً للبيومترية، والتّشبيكِ الرّقميّ بين المؤسّسات(6).

أمّا المدى الطّويلُ؛ فقد ذكر الدكتور صالح بلعيد أنَّ التّركيزَ فيه يكونُ على المشاريعِ الطّويلةِ، ومن بين المشاريعِ الكبرى التي أشار إليها؛ البرامجُ الحاسوبيّةُ الشّاملةُ، ومشروعُ الذّخيرةِ اللُّغويّةِ، ومشروعُ المُعجمِ التّاريخيِّ للّغةِ العربيّةِ، ومشروعُ موسوعةِ الجزائر، ومشروعُ حوسبةِ النّصوص بالعربيّةِ بـدءًا من عصر النّقائش، ومشاريعُ بخصوص حلِّ المُضايقات التّقنية في الكتابة العربيّةِ، ومشروعُ معلمةِ الجزائر في المخطوطاتِ، ومشروعُ وحداتِ المُعجماتيّةِ النّمطيّةِ الموحّدةِ، ومشروعُ أرضيّةِ الجاحظِ(7).

كما قدّم الباحث الدكتور صالح بلعيد جملةً منَ الأفكارِ والرّؤى العميقةِ في ميدان خدمةِ المجلسِ الأعلى للّغةِ العربيّةِ للبحثِ العلميِّ، وقد وسمَها في العديدِ منَ المناسبات بـ: «أفكارُ المجلسِ الأعلى للّغةِ العربيّةِ في البحثِ العلميِّ»، ووصفَها بأنّها: «عبارةٌ عن مقترحاتٍ، أو أفكارٍ عامّةٍ في اختصاصِ المجلسِ المفترضةِ ونعملُ على إشراك المعنيَيْن لتحقيق الانسجامِ داخلَ مؤسّساتِ البحثِ في علوم اللُّغةِ والإنسانيّاتِ للدولة الجزائرية؛ وباعتبارِ المجلس هَيْئَةَ اقتراحِ أفكارٍ، نرومُ التّعاونَ العلميَّ وتبادلَ المصالحِ المرسلةِ وبناءَ

(5)د.صالح بلعيد: مناسبة وكلمة، الجزء:02، ص:27 وما بعدها.

(6)د.صالح بلعيد: المرجع نفسه، ص:28 وما بعدها.

(7)المرجع نفسه، ص:29.

فِرقِ بحثٍ تشاركيّةٍ للوصولِ بالبحثِ العلميِّ إلى المرغوب. ويشملُ منهجَ عملٍ تنسيقيٍّ مع الوزاراتِ والمؤسّساتِ التي يُهمُّها الأمرُ»(8).

ومن بين الأفكارِ التي قدّمها الدكتور صالح بلعيد؛ رئيسُ المجلسِ الأعلى للّغةِ العربيّةِ بالجزائر:

* يُشرفُ المجلسُ الأعلى للّغةِ العربيّةِ علميًّا على مخابرِ اللُّغاتِ داخلَ الأقسامِ العلميّةِ في جميعِ الجامعاتِ الوطنيّةِ، ويقومُ بالتّعاون والتّنسيقِ في ما بينَها.

* يقومُ المجلسُ بتوحيدِ الرُّؤى اللّغويّةِ المُستخلصةِ منَ التَّوْصِيَاتِ والنّتائجِ الحيويّةِ القابلةِ للتّنفيذِ بما لا يتعارضُ مع سياسةِ الدّولةِ، ويوفّرُ لها آليّةَ تنفيذٍ وبرامجَ إعدادٍ.

* يقومُ المجلسُ بالإشرافِ على تطويرِ المناهجِ التّربويّةِ الخاصّةِ باللُّغةِ العربيّةِ؛ ممَّا يتطلّبُ عُضويّةَ المجلسِ في لجنةِ تطويرِ مناهجِ التّربيةِ والتّعليمِ.

* يُخصّصُ المجلسُ فريقَ عملٍ مُختصٍّ في تدقيقِ وتمحيصِ وإجازةِ المنهجِ المُقدّمِ لكلِّ مرحلةٍ دراسيّةٍ واعتمادِ الكتابِ المدرسيِّ.

* يُتابعُ المجلسُ إشرافَه على مناهجِ تعليمِ اللّغةِ العربيّةِ بما في ذلك المرحلةُ الجامعيّةُ، وهذا يتطلّبُ أيضًا عضويةَ المجلسِ الأعلى للّغة العربيّةِ في المجلسِ العلميِّ للبحوثِ الجامعيّةِ.

* يُشرفُ المجلسُ علميًّا على البحوثِ العلميّةِ اللّغويّةِ، ويُعطِي رأيَه الاختياريَّ في مدى نجاعةِ الأبحاثِ الجامعيّةِ(9).

قــدّم البــاحث الدكتــور صــالح بلـعيد جمـلـةً منَ الأفكــار والــرّؤى العميقةِ في ميدانِ خدمةِ المجلسِ الأعلى للّغةِ العربيّةِ للبحثِ العلميِّ

ومن بين الــرُّؤى الأخــرى التي أشار إليها الباحثُ الدكتور صالح بلعيد؛ تمثيلُ المجلسِ الدّولةَ في جميعِ المراكزِ والمعاهدِ والمؤسّساتِ والمنظّماتِ والمجالسِ العليا والجمعيّاتِ الخاصّةِ باللُّغةِ العربيّةِ على المستوى المحلّيِّ والعربيِّ، وعلى المجلسِ أن يفتحَ قنواتٍ للتّواصلِ والاستماعِ للمُهتمّين بالبحثِ العلميِّ، ولكلٍّ من يُقدّمُ اقتراحاتٍ تخصُّ مَجالَ تطويرِ اللّغةِ العربيّةِ، ويُؤدِّي دورَ الوسيطِ اللّغويِّ بين جمعيّاتِ المجتمعِ المدنيِّ مُستخدمًا جميعَ وسائلِ التّواصلِ الاجتماعيِّ وتكنولوجيا المعلوماتِ، وعلى المجلس أن يُحفّز الكُتّابَ الشّبابَ إِلَيْهِ، ويتبنّى نتاجَهم اللُّغويَّ والأدبيَّ والمعرفيَّ؛ حيث إنّ لغةَ الشّباب هي لغةُ العصر، وضرورةُ دخولِ المجلسِ الأعلى للّغة العربيّة بِوَصْفِهِ شَرِيكًا فاعلاً في







تكريم نخبة من الشخصيات العلمية اللغوية المرموقة

(8)د.صالح بلعيد: مناسبة وكلمة، الجزء:01، منشورات المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر، 2018م، ص:264.

(9)د.صالح بلعيد: مناسبة وكلمة، الجزء:01، ص:265.

إعداد البرامجِ التّعليميّةِ للقنواتِ الفضائيّةِ والإذاعيّةِ، والإشرافِ على لغةِ نشرةِ الأخبارِ والأفلامِ الوثائقية، ولاسيّما في أَثْناءِ الانتقالِ منَ الأعمالِ المكتوبةِ إلى الأعمالِ المسموعةِ والمرئيّةِ، وإقامةِ دوراتٍ تدريبيّةٍ، وبرامجَ تثقيفيّةٍ لُغويّةٍ لإذكاء روحِ الوطنيّةِ، وترسيخِ مبدأ التّسامحِ، وتحقيقِ مبدأ تكافؤِ الفرص، والحرصِ على إنجازِ دراساتٍ ميدانيّةٍ مَسحيّةٍ لمُعالجة مواطنِ الضّعفِ إملاءً ونُطقًا وصياغةً، والاهتمام بلُغة المناطقِ النّائية والوعرةِ والجبليّةِ، والعملِ على تطويرِ الأداءِ اللُّغوي السّليم، والاهتمامِ بالمخطوط الجزائريِّ وتوفيرِه، وجمعِ أرصدته المُصطلحيّةِ في مختلف العلوم، وجعْلِه في الشّابكة؛ بُغيةَ تحقيقِ ما لم يُحقَّقْ، والاستفادةِ من جميع الخبراتِ الوطنيّةِ دون مُحاصَصةٍ أو مُجاملةٍ(10).

ثانياً: قراءة في نماذجَ مُختارة من أعمال المجلس الأعلى للّغة العربيّة

في الجزائر:

1 - أعمال الموسم الثقافي: مُدونة المُحاضرات المُلقاة عام:2000م أنموذجاً

صدرت هذه المدوّنةُ منَ المُحاضرات عن منشوراتِ المجلسِ الأعلى للّغة العربيّة بالجزائر، عام: 2000م، وقد ضمّت مجموعةً منَ الدّراساتِ المُتميّزةِ التي أنجزَها نخبةٌ منَ الأساتذة والباحثين المُتميّزين، وقد تولّى تقديمَها إلى القُرّاء الدكتورُ عبد الملك مرتاض رَحِمَهُ اللهُ؛ أوّلُ رئيسٍ للمجلس الأعلى للّغة العربيّة بالجزائر، ومن بين ما جاء في تقديمِه للكتاب: «... والمجلسُ الأعلى للّغة العربيّة حين قرّرَ تنظيمَ موسم ثقافيٍّ امتدَّ على مدًى قريبٍ من ثمانيةِ شهور، وأسهمَ فيه قريبٌ من عشرين مفكّرًا وجامعيًّا من أعضاء المجلسِ ومن خارجِه؛ كان يُمكن أن يسقطَ فيما سَقَطَ فيه كثيرٌ من الهيئات التي تُنظّم مُحاضراتٍ، وتُقيمُ ندوات؛ ثمّ لا ترعوي أن تذرَ الآثارَ الفكريّةَ التي أُلقيت على مسامع النّاسِ في ظلام الأدراجِ إلى أن يأكلَها التّرابُ، ويُهرّئها الغبارُ؛ فتضيعَ كما يضيعُ الشّيءُ الدُّونُ.

وحتّى يَتَجَانَفَ المجلسُ لِلْوُقوعِ في هذه المثلبةِ قرّرَ أن يطبعَ نصوصَ المحاضرات التي أُلقيت في موسمه الثّقافيّ للعام: 1999-2000م؛ وذلك على الرّغم من أنّ زهاءَ خمسٍ منها لم نُرد إعادةَ نشرها احترامًا للقارئ، لأنّنا كنّا اضطُررنا إلى نشرِها في العدد الثّاني من مجلّة (اللّغة العربيّة). وإنّا إذ نسعدُ بأن نزفَّ هذا العملَ إلى القُرّاء والهيئاتِ الرّسميّةِ والثّقافيّةِ فإنّه لا يفوتُنا أن نُزجيَ الشّكرَ العارمَ إلى كلِّ السّادةِ المُحاضرين، الأعضاءِ في المجلسِ وغيرِ الأعضاء، ممّن لبَّوا دعواتنا، وتجشّموا منَ العناءِ ما تجشّمُوا ابتغاءَ الإسهامِ في ترقية اللّغةِ العربيّةِ، ومُقاربةِ قضاياها»(11).

كما احتوى كتابُ: (أعمالُ الموسم





جانب من ملتقيات وندوات المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر

(10)د.صالح بلعيد: مناسبة وكلمة، الجزء:01، ص:266.

(11)د.عبد الملك مرتاض: التقديم، أعمال الموسم الثقافي مُدوّنة المُحاضرات المُلقاة عام:2000م، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2000م، ص:1 وما بعدها.

الثقافي: مُدوّنة المُحاضرات المُلقاة عام:2000م)، على العديد منَ الأبحاثِ والدّراسات المُتنوّعة، ومن بينها دراسةُ الباحثِ الدكتور عمار السّاسي، عن: (اللّسان العربي والقرنُ الجديدُ دراسةٌ لغويّةٌ في المفهومِ والخصائصِ وَالدّلالة)، ودراسةُ الدكتور حلام الجيلالي عن: (أثرُ العولمةِ في اللّسانِ العربيِّ، الواقعُ والتَّحَدِّيَات)، وبحثُ الدكتور التّيجيني بن عيسى (الأسماءُ والألقابُ في الجزائر، دعوةٌ إلى دراستها دراسةً لغويّةً دلاليّةً وحضاريّةً).

المُلتقياتُ وأعمالُ النّدواتِ والأيامُ الدّراسيةُ:

نهضَ المجلسُ الأعلى للّغة العربيّـةِ بالجزائر بتنظيـمِ العديـدِ مـنَ النّـدواتِ والأيّـامِ الدّراسـيّةِ والملتقياتِ الوطنيّةِ والدّوليّةِ، حيث تميّز"عمـلُ المجلـسِ الأعلى للغـة العربيـة، بمحـاورةِ اختصاصيِّـي اللُّغـةِ العربيّـةِ عـن طريـق الاتّصـالِ بهـم على مُسـتوى اللّقـاءاتِ العلميّـةِ المتمثّـلةِ في النّـدواتِ الفكريّـةِ واللّقـاءاتِ الدّوريّـةِ التـي يُنظّمُهـا بُغيـةَ التّحـاورِ في موضوعـاتٍ علميّـةٍ ذاتِ العلاقـةِ بترقيـةِ اللُّغـةِ العربيّـةِ»(12)، ومن أبـرزِ النّـدواتِ والأيّـامِ الدّراسـيّةِ والمُلتقياتِ الوطنيّـةِ والدّوليّـةِ التـي نظّمهـا:

أ-النّـدوةُ الدّوليـةُ: (مكانةُ اللّغةِ العربيّة بين اللّغات العالميّة) في نوفمبر 2000م.

طُبعت نصوصُ أعمالِ هذه النّدوة ضِمْنَ منشوراتِ المجلسِ الأعلى للّغة العربيّةِ بالجزائر، سنة: 2001م، وقدِ استُهلّت أعمالُ هذه النّدوة بالكلمةِ الافتتاحيّةِ التي دبّجها الأستاذُ الدّكتور عبد الملك مرتاض؛ رئيسُ المجلس الأعلى للّغة العربيّة آنذاك خلالَ تنظيم النّدوة ومن بين الدّراساتِ التي قُدِّمَتْ ضِمْنَ أعمالِ ندوةِ (مكانةُ اللّغة العـربيّةِ بين اللّغاتِ العالميّةِ):

* دورُ اللُّغة العربيّةِ في الإشعاعِ الحضاريِّ، للدكتور أحمد مطلوب.
* شجاعةُ العربيّةِ وأوهامُ النّقاءِ، للدكتور سعيد السريحي.
* اللُّغةُ العربيّةُ في إيران ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً، للدكتور فكتور الكك.
* موقعُ العربيّةِ بين اللّغاتِ البشريّة، للدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي.
* اللُّغةُ العربيّةُ وعاءُ الوِجدان القوميِّ والرّكيزةُ التّوحيديّةُ في الثّقافةِ العربيّةِ، للدكتور عبد الرؤوف فضل الله.
* اللّغةُ العربيّةُ بين العَوربةِ والعولَمةِ، للدكتور تمام حسان.
* شروطُ عالَميّةِ اللُّغة وكيفيَّةُ توفيرِها لُغتنا العربيّةِ، للأستاذ علي القاسمي.
* اللّسانيّاتُ العامّةُ وواقعُ اللّغةِ العربيّة، للدكتور أحمد يوسف.
* الدّرسُ اللُّغويُّ في العربيّةِ بين التّراثِ والمُعاصرة، للدكتور رمضان عبد التواب.





جانب من ملتقيات وندوات المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر

(12)د.صالح بلعيد: مقاربات منهاجية، منشورات دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م، ص:124.



* تحدّياتُ اللّغةِ العربيّةِ في الألفيّةِ الثّالثةِ، للدكتور صالح بلعيد.
* التّوصيفُ: مُقاربةٌ في حوسبةِ العربيّةِ، للدكتور نهاد الموسى.
* هذه العربيّةُ: واقعٌ وآفاقٌ، للدكتور عبد الجليل مرتاض.

ب-أعمالُ ندوةِ (تيسيرُ النّحو) المنعقدة في:24-23أبريل2001م، بالمكتبة الوطنية الجزائرية:

نُظّمَتْ هذه النّدوةِ في رحابِ المكتبة الوطنيّة الجزائريّة، وقدِ استُهلّت بكلمة الدكتور عبد الملك مرتاض؛ رئيسِ المجلس الأعلى للّغة العربيّة آنذاك، وقد تعدّدت الأفكارُ والرُّؤى التي طُرحت ضمْنَ فعاليّاتِ هذه النّدوة .

ومن بين الأبحاثِ التي أُلقيت ضمْنَ ندوةِ تَيسير النّحو:

* النّحوُ العربيُّ في مرحلتِه الأولى صناعتُه وتعليمُه، للأستاذ محمد بن حمو.
* العاملُ النّحويُّ عند النُّحاةِ الأوائلِ، للأستاذ إدريس حمروش.
* قضايا النّفيِ والإثباتِ في العربيّةِ مُقاربةٌ ملفوظيّةٌ، للأستاذ صالح خديش.
* النّحوُ العربيُّ والتّقعيدُ الأوّليُّ المبسّطُ على أيّام النُّحاة الأوائلِ، للأستاذ محمد فلاق عريوات.
* شكوَى مُدرّسِ النّحو من مادّةِ النّحو، للأستاذ صالح بلعيد.
* تعليميّةُ النّحوِ، للأستاذ قاسمي الحسني محمد مختار.

ج-اللُّغةُ العربيّةُ في تكنولوجيا المعلوماتِ تطوُّرٌ واعدٌ وتطويرٌ مُتواصلٌ، وقائعُ النّدوة الدّوليّةِ في: 28-29/12/2002م:

صدرت أعمالُ هذه النّدوةِ الدّوليّةِ عن منشوراتِ المجلسِ الأعلى للُّغة العربيّةِ سنة: 2005م، وقد تولّى تقديمَ أعمالِها إلى القُرّاء الدّكتورُ محمد العربي ولد خليفة؛ رئيسُ المجلسِ الأعلى للّغة العربيّة بالجزائر آنذاك.

وقد أشار الدّكتور محمد العربي ولد خليفة في تقديمِه إلى محاورِ النّدوة:

1. دورُ الشّبكاتِ الدّوليةِ للمعلوماتِ في نشر اللُّغة العربيّةِ وترقيتِها.
* التّجارةُ الإلكترونيّةُ باللُّغةِ العربيّةِ.
* الشّبكاتُ البنكيّة الإلكترونيَّةُ باللّغةِ العربيّةِ.
* التّدريسُ الإلكترونيّ باللّغة العربيّةِ.
* الجامعةُ الافتراضيّةُ والتّعليمُ الإلكترونيُّ بالعربيّة.
* شبكاتُ التّعليم.
2. تصميمُ مواقعِ الإنترنيت باللّغة العربيّة: مواقعُ ثقافيّةٌ، فنيّةٌ، تقنيّةٌ، ترفيهيّةٌ إشهاريّةٌ.
3. تطويرُ البرمجياتِ باللُّغة العربيّةِ.
4. العلاجُ الآليُّ للّغةِ العربيّةِ.
5. دورُ الحاسوبِ في التّرجمةِ الآليةِ من و إلى اللُّغة العربيّةِ.
6. بنكُ المُعطياتِ والتّوثيقُ ا لإ لكتر و نيّ .
7. التّنميطُ والتّقييسُ الإلكترونيُّ.

وقد احتوى كتاب: (اللُّغة العربيّة في تكنولوجيا المعلوميات تطوُّرٌ واعدٌ وتطويرٌ مُتواصلٌ، وقائعُ النّدوة الدّوليةِ في: 28-29/12/2002م)، على مجموعة منَ الأبحاث والدّراساتِ الرّصينةِ، ومن بينها:

- اللُّغةُ العربيّةُ في مجالِ التّشبيكِ الإلكترونيِّ، للدكتور محمد بدران منَ الأردن.
- صياغةُ النّظريّةِ الخليليّةِ الحديثةِ وَفْق القواعدِ التّركيبيّةِ المُوجَّهةِ بالرّؤوس، للدكتور عبد المجيد عشيت .
- دراسةٌ مقارنةٌ بين أشكالِ الحروفِ العربيّةِ والحروفِ الإنجليزيّةِ، للدكتور محمد يونس عبد السميع الحملاوي.
- معاييرُ تصميمِ وإنتاجِ البرمجيّاتِ للتّدريسِ الإلكترونيِّ باللّغةِ العربيّة، للدكتور إبراهيم حمدان من المملكة العربية السعودية، والأستاذ محمد

العناوسة من الأردن.

- مشروعُ برنامج إلكترونيٍّ لاقتحامِ المؤسّساتِ التّربويّةِ في ترقيَةِ وتطويرِ اللّغةِ العربيّةِ، للدكتور عبد المالك بوحجرة.

ومن أبرزِ التّوصيَاتِ التي خرج المشاركون بها في النّدوة الدّوليّةِ عن (اللُّغةُ العربيّةُ في تكنولوجيا المعلوميّات تطوُّرٌ واعدٌ وتطويرٌ مُتواصلٌ):

ضرورةُ الاستفادة من خبراتِ وتجاربِ البلدان التي سبقتْنا في هذا المجالِ، والتي تمكّنت من استخدام لغتها القوميّةِ في مجالات العلومِ والتّكنولوجيا.

- تشجيعُ التّنسيقِ وتكثيفُ التّعاون مع وزارةِ التّعليم العالي والبحثِ العلميِّ والبريدِ وتكنولوجيا الإعلام والاتّصالِ وكلِّ المؤسّساتِ ذاتِ العلاقة.
- الاستفادةُ منَ الوسائلِ الحديثةِ لتمكينِ اللُّغةِ العربيّةِ من أخذِ المكانةِ اللّائقةِ بها في شبكاتِ المعلوماتِ بصفةٍ عامّةٍ وشبكةِ الإنترنيت بصفةٍ خاصّةٍ.
- إنشاءُ فوجِ عملٍ من باحثين وخبراءَ في تكنولوجيا المعلوماتِ وتطبيقاتِها باللُّغةِ العربيّةِ بالتّنسيقِ مع المجلسِ الأعلى للّغة العربيّةِ لوضعِ برامجَ عمليّةٍ وميدانيّةٍ.
- ضرورةُ عقدِ النّدوةِ بشكلٍ دوريٍّ، مرّةً كلَّ سنتين، تُتَنَاوَلُ فيها مَحَاوِرُ مُحَدَّدَةٌ لإحداثِ تراكمٍ حقيقيٍّ في المسألة اللُّغويّة وتكنولوجيا المعلوميات، يمتدّ أثرُها وفائدتُها لسائر أقطارِ الوطن العربيِّ، بغرض تمكينِ الجزائر أن تكونَ مركزًا علميًّا عربيًّا لهذه الغايةِ.



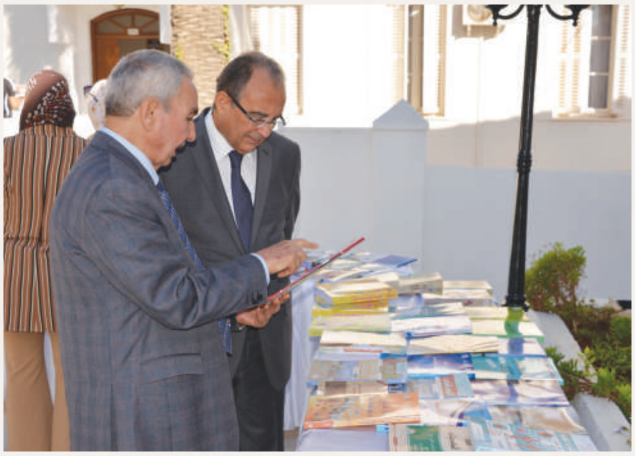
د-مُساهمةُ اللُّغة العربيّة في التّواصُل والتّضامن والوحدة بين أقطارِ المغرب العربيِّ، المُنظمةُ في: 29-30 جوان 2003م:

صدرت أعمالُ هذه النّدوةِ المغاربيّةِ المُتميّزةِ عن منشوراتِ المجلسِ الأعلى للّغةِ العربيّةِ بالجزائر، عام: 2003م، وقد لخّصتِ المُقدّمةُ الطّابعَ الذي اتّخذته النّدوةُ حين وصفَتْها بالقول: «انْصَبَّتِ المُحاضراتُ التي أُلقيت في هذه النّدوة في الاتّجاه الذي يبحثُ واقعَ اللّغةِ العربيّةِ في بلدانِ المغربِ العربيِّ على أساسِ أنّها اللّغةُ الرّسميّةُ؛ باعتبارها لسانًا اتّفقت عليها الجماعةُ المغاربيّةُ، وهي اللّسانُ الأساسُ ولغةٌ موحّدةٌ وجامعةٌ ومُتقبلةٌ للألسن التي كانت قبلَها، فقد ساعدتِ العربيّةُ على تجميع المجموعاتِ البربريّةِ الأمازيغيّةِ في إطارٍ حضاريٍّ يتجاوزُ الأعراقَ والأجناسَ، ولذلك أصبحتِ العربيّةُ لغةً موحِّدةً وموحَّدةً وليست لغةً أُحاديّةً، ولذا احتلّت وضعًا مُتميّزًا، كما نالت مكانةً أساسًا في تحديدِ معالمِ الشّخصيّةِ الوطنيّةِ وفي هُويّة الشّعبِ المغاربيِّ بأكملِه»(13).

ومن بين الأبحاثِ التي تضمّنها كتابُ: (أعمالُ ندوةِ مساهمةِ اللّغةِ العربيّةِ في التّواصلِ والتّضامنِ والوحدةِ بين أقطارِ

(13) من مُقدمة كتاب: أعمال ندوة مساهمة اللغة العربية في التواصل والتضامن والوحدة بين أقطار المغرب العربي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2003م، ص:9.







المغربِ العربيّ):

* دورُ اللّغـةِ العربيّـةِ في تعزيـز مسيرةِ بنـاءِ وحـدةِ المغـربِ العربـيِّ الـكبيرِ، للأسـتاذ السـعيد مقـدم.

* اللّغـةُ العربيّـةُ أداةُ التّوحّـد والبنـاءِ والإسـهامِ الحضـاريِّ، للأسـتاذ محمـد المختـار العربـاوي.

* وحـدةُ المغـربِ العربـيِّ مـن خلال نصـوصٍ أساسـيّةٍ للحركـةِ الوطنيّـةِ والثّـورةِ الجزائريـة، للأسـتاذ محمـد لحسـن زغيـدي.

* موقـعُ اللُّغـةِ العربيّـةِ في المشروعـاتِ والمؤسّسـاتِ الثّقافيّةِ المغاربيّـةِ، للدكتور صـالـح بلعيد.

* التّضامـنُ المغاربيُّ: حتميّـةٌ تاريخيّةٌ، للأسـتاذ علي تابليت.

* من قضايـا التّرجمة بالمغـربِ العربيِّ، للدكتـور محمد رشـاد الحمزاوي.

* المغـربُ العربـيُّ والرّوابـطُ اللّغويّةُ عبرُ العصـورِ، للدكتـور عبد الجليـل مرتاض.

* المُتطلّباتُ الأساسيّةُ لتأهيلِ اللُّغةِ العربيّةِ لتحقيقِ التّواصلِ والتّضامنِ والوحدةِ بين الأقطارِ المغاربيّةِ، للدكتور علي القاسمي.

خاتمة:

إنَّ جهودَ المجلسِ الأعلى للّغةِ العربيّةِ الرّصينِ الحصينِ في الجزائر واضحةٌ في مجالِ خدمةِ اللّغة العربيّةِ، والسّعيِ إلى تطويرِها؛ حتى تواكبَ مُقتضياتِ العصرِ ومُستجدّات الحياةِ، وهي جهودٌ متميّزةٌ تستحقّ الإشادةَ والتّنويهَ، وهو يحتلُّ مكانةً راقيةً على مستوياتٍ متعدّدةٍ، وقد ركّزَ المجلسُ الأعلى للّغةِ العربيّةِ في السّنوات الأخيرةِ جهودَه على تحدّياتِ الرّقمنةِ باللُّغة العربيّةِ؛ إذ يُجمعُ الدّارسون ـ أو يكادون ـ على أنَّ خدمةَ اللُّغةِ العربيّةِ تظلُّ مرهونةً بمواكبةِ تحدّياتِ العصْرِ؛ التي تَنضوي تحت لواءِ امتلاكِ سُلطةِ المعرفة بمفهومِها المعاصر، وقوامُها التّقنياتُ الحديثةُ، وثورةُ المعلوماتيّةِ، والذّكاءُ الاصطناعيُّ، والاتّصالاتُ بالدّرجة الأُولى، إذ تزدادُ

(14)محمـود فهمـي حجازي:المعجمـات العربيـة وموقعهـا بين المعجمـات العالميـة، مجلـة الحـرس الوطنـي، العـدد:357، ذو الحجة1436هـ–سـبتمبر2015م، ص:18.

أهمّيةُ وجودِ اللُّغة العربيّةِ على الشّبكاتِ الحاسوبيّةِ مع توجّهِ المجتمعِ نحوَ مجتمعِ المعلوماتِ، ونحوَ الاقتصادِ الذي أساسُهُ المعرفةُ، والذّكاءُ الاصطناعيُّ، وهناك عدّةُ مؤشّراتٍ توضّحُ المحتوَى في أيّ لُغةٍ منَ اللّغاتِ، إذ ينتشرُ المُحتوى الرّقميُّ العربيُّ على الإنترنت كانتشارِ أيِّ لُغةٍ أخرى على مختلفِ المجالاتِ، ومن بين المجالاتِ التي يتوجّبُ أن يزدادَ فيها المحتوَى الرّقميُّ العربيُّ: الأعمالُ بما فيها مواقعُ الشّركات، ودليلُها، ودليلُ المصانع، والبنوكِ، والنّشرُ: وتندرجُ تحت إطارِه المجلّاتُ، والدّورياتُ العلميّةُ، والإذاعــاتُ، والتّلفزيونات، والحكومةُ الإلكترونيّةُ: وفيها مواقعُ الــوزاراتِ، والمؤسّسات العامّةُ، والبوّابةُ الحكوميّةُ، والعلمُ والتّكنولوجيا: الجامعاتُ، ومراكزُ البحوث، والمكتباتُ مثلُ: الكتابِ الإلكترونيّ، والصّحةِ، والسّياحةِ، والتّسلية، وغيرِها(14)، وهذا ما جعل المجلسَ الأعلى للّغة العربيّةِ في الجزائر يُركّزُ جهودَه على هذه القضايا المهمّة جدًّا ولاسيما في السّنوات الأخيرة،

ركّزَ المجلسُ الأعلى للّغة العربيّةِ في السّنوات الأخيرةِ جهودَه على تحدّياتِ الرّقمنة باللُّغة العربيّةِ؛ نظرًا لأنَّ خدمةَ اللُّغة العربيّة تظلُّ مرهونةً بمواكبةِ تحدّياتِ العصْرِ

حيث يؤكّدُ الدكتور صالح بلعيد؛ رئيسُ المجلسِ الأعلى للّغةِ العربيّةِ، خلال عدّةِ مناسباتٍ ضَرُورةَ الاستثمارِ في الذّكاء الاصطناعيِّ، واللّغةِ العربيّةِ وتكنولوجيا التّحوّلِ الرّقميِّ؛ ويعتقدُ أنَّ السّبيلَ الأقربَ إلى ردْمِ الفجوةِ الرّقميّةِ يكونُ من خلالِ الخروجِ منَ التّبعيّةِ اللّغويّةِ، ويكونُ من خلالِ استعمالِها وتمكينِها في العلوم، ولابدَّ من تدريسِ العلوم بها وفيها؛ لمُواجهةِ هذا الاتّساعِ، ومُسايرةِ ركبِ الحضارةِ والمُستجدّاتِ العلميّةِ والفكريّةِ بالعربيّةِ، والعربُ يحتاجون أكثرَ من أيِّ وقتٍ إلى التّماهي في الرّقمنة، بملامحِ التّنميةِ البشريّةِ المُستديمةِ مُمثّلةً في الجوانبِ الاقتصاديّةِ والتّكنولوجيّةِ والابتكارِ، وعمادُ هذا كلِّه تمكينُ المُجتمع العربيِّ مِن اكتساب المعارفِ العلميّةِ واستثمارِها بالعربيّةِ، ويقترحُ الدكتور صالح بلعيد أَنْ تُنْشَأَ المُؤسّسةُ العربيّةُ للمُحتوى الرّقميّ، فَتَكُونَ قيمةً مُضافةً تدعيميّةً لمُؤسّساتِ جامعةِ الدّولِ العربيّةِ، ومُهمّتُها اقتراحُ برامجِ عملٍ للتّغييرِ التّكنولوجيّ وتجسيدِ مشاريعَ كبرى في الرّقمنةِ، وإنشاءِ المُدوّنة اللّغويّةِ العربيّةِ، والحقيقةُ أنَّ السّعيَ إلى النّهوضِ باللُّغة العربيّةِ، وتطويرِها لا يُمكنُ أن يَتحقّقَ إلّا من خلالِ وضْعِ خططٍ تدريسيةٍ مُنظمةٍ، والتّحفيزِ إلى التّطوُّعِ اللّغويِّ، والتّشجيعِ عليه، وتحقيقِ وسائلَ ومناهجَ كفيلةٍ بنشرِ روحِ المبادرةِ والابتكارِ لخدمةِ اللُّغةِ العربيّةِ.





جانب من أنشطة المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر

فِهْرِسُ دَارِ المخْطُوطَاتِ بالشَّارِقَةِ نَفَائِسُ وَنَوَادِرُ

د. عبد الله المذكوري
باحث في المخطوطات

منذ 2013 م ظهر تقليدٌ سنويٌّ في عدّةِ مدنٍ عربيةٍ يحمل اسمَ «يَوْمُ المخْطوطِ العَرَبيّ"، ويُقام في الرابع من أبريل / نيسان، ويستمرُّ في الغالبِ طيلةَ هذا الشّهر، وذلك للتَّوعيةِ بتراث الأمَّةِ وتاريخِها الغَنيِّ، وتشجيعِ الأبحاثِ العلميَّةِ والأكاديميَّة، ومِنْ ثَمَّ الحفاظُ على هذا التُّراثِ الثّمين من التّلف والضَّياع.

وشعارُ هذا اليَوْمِ في هذهِ السَّنةِ في دورتِه الثانِيَةَ عَشْرَةَ: تُراثُنا المخطوطُ وَمُقَوِّمَاتُ التَّواصُلِ الحضاريِّ.

وبادئَ بدءٍ نشيرُ إلى أنَّ لفهارسِ المخطوطاتِ أهميَّةً كبيرةً في إبرازِ المخطوطات النّفيسة والنّادرة، والتي تحمل في طَيَّاتها معالمَ التَّميُّزِ الحضاريِّ للأمّةِ الإسلامية بما تحويه من علومٍ ومعارفَ أفادت الإنسانيةَ جمعاءَ.

لذا يجبُ إبرازُها وتسليطُ الضّوء عليها، لأنّ هذا الأمر يخدِمُ الباحثين والمهتمِّينَ بتحقيقِ المخطوطاتِ، من النّاحية الحضاريّة، والتاريخيّة، والمعرفيّة، والجماليّة، ويُسهّل عليهم الوصول إليها، والاستفادة منها، وهذا أمرٌ سارَ عليه مُحَقِّقُونَ كبارٌ، وعلماءُ أجلّاءُ أمثالُ: أحمد تيمور باشا، ومحمد العابد الفاسي، وحمد الجاسر، وعبد العزيز الميمني...

ولم أجدْ من خلال تتبّعي بحثًا علميًّا محكّما تناولَ نفائس فهرس دار المخطوطات، وأقربُ ما وجدتُ رسالةُ دكتوراه للباحثةِ أسماءَ الكِنْديِّ، بعنوان: مخطوطاتُ الطِّبِّ وَالصَّيْدَلَةِ بدارِ المخْطوطاتِ الإسلاميَّةِ بالجامعةِ القاسميَّةِ في إمارةِ الشَّارقَةِ وأهمِّيَّتُها للدِّراساتِ التَّاريخيَّةِ دراسةٌ تحليليَّةٌ مقارِنَةٌ، أصدرته الجامعة القاسمية، 2023 م.



دارُ المخطوطات بالشَّارقة

افْتتَحَ صاحبُ السّمو الشيخ الدكتور سلطانُ بن محمد القاسمي حفظه الله تعالى عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم إمارة الشارقة، دارَ المخطوطاتِ الإسلاميَّةِ بالجامعة القاسميّة، يوم الخميس 16 ذو الحجة 1438هـ الموافق 7 سبتمبر 2017 م.

وحَرَصَ سموه الكريمُ وبمتابعة شخصيّةٍ منه حفظه الله تعالى أن يكون مبنى الدّار من المباني العالمية بدولةِ الإمارات، والذي تتوافر فيه جميع وسائلِ حفظ التراث المخطوط والعناية به.

حيث أُنشئ المبنى على طراز إسلاميٍّ يستلهم أصالةَ الماضي، وروحَ الحاضر، مكوّن من طابَقَيْنِ: الطَّابَقِ الأوّلِ: ويضمُّ المعرضَ



الدائمَ للمخطوطات النادرة، ومجلسًا لاستقبال كبار الضيوف والزوار، ومسرحًا يسعُ قرابة 50 شخصًا، وقاعةً خاصَّةً لحفظ المخطوطات الأصلية، ومعملاً لتجليد المخطوطات، وغرفةً خاصَّة بتعقيم المخطوطات، وغرفةً خاصة بتصوير المخطوطات، ومختبرًا لمعالجة المخطوطات وترميمها، ومكتبة للمصادر والمراجع، وغرفة خاصة بالمفهرسين.

أما الطَّابَقُ الثَّاني فيضُمُّ مكتبا خاصًّا للتحقيق والنشر، ومكاتب إدارية، وقاعة خاصة بالمجلات والدوريات، وقاعة خاصة بالاطِّلاع على المخطوطات (ورقـيًّا أو إلكترونيًّا)، ومطبخًا.

وفي إطار حرص سموه الكريم على جمع التّراث الإنساني وصونه، ونشر علومه، والمحافظة عليه صدر مرسومٌ أميريٌّ بتاريخ الثلاثـاء 26 صفر 1445 هـ الموافق: 12 سبتمبر 2023 م بانفصال دار المخطوطات الإسلامية عن الجامعة القاسمية، ويكون مسماها: دار المخطوطات، بحيث تكون مؤسسةً علميَّةً تتمتع بالشخصيَّةِ الاعتباريَّةِ، وبالأهليَّةِ القانونيَّةِ الكاملِةِ.

وتهدف إلى تحقيق جملة من الأمور، منها:

1 - جمعُ وحفْظُ المخطوطاتِ المختصَّةِ بالتراثِ الإسلامي والعالمي، والعنايةُ بها، وصيانتُها، وترميمُها.

2 - إتاحةُ ما تحويهِ الـدَّارُ من مخطوطاتٍ، ووثائقَ نادرةٍ ونفيسةٍ ليطلع عليها العلماء والباحثون، بغية التعرف على ما تتضمَّنُهُ من إنتاجٍ فكريٍّ، وثقافيٍّ، وأدبيٍّ، وعلميٍّ.

3 - نشر التراث العالمي الذي يتعلق بتاريخ العلوم، وإسهاماتها في تراث الإنسانية.

وسُطِّرَ لها مجموعةٌ من الاختصاصاتِ، منها:

1 - جمعُ المخطوطاتِ، وحفظُها، والعنايةُ بها، وتنظيمُها وَفق أفضلِ الممارساتِ والوسائلِ الحديثَة.

2 - صيانةُ وترميمُ مُقْتَنَيَاتِ الدار من مخطوطاتٍ ووثائق.

3 - وضعُ المعاييرِ التفصيليّة الخاصة

حَـرَصَ سمـوه الكـريمُ وبمتابعة شخصيّةٍ منه حفظه الله تعالى أن يكون مبنى الـدّار من المباني العالمية بدولةِ الإمارات

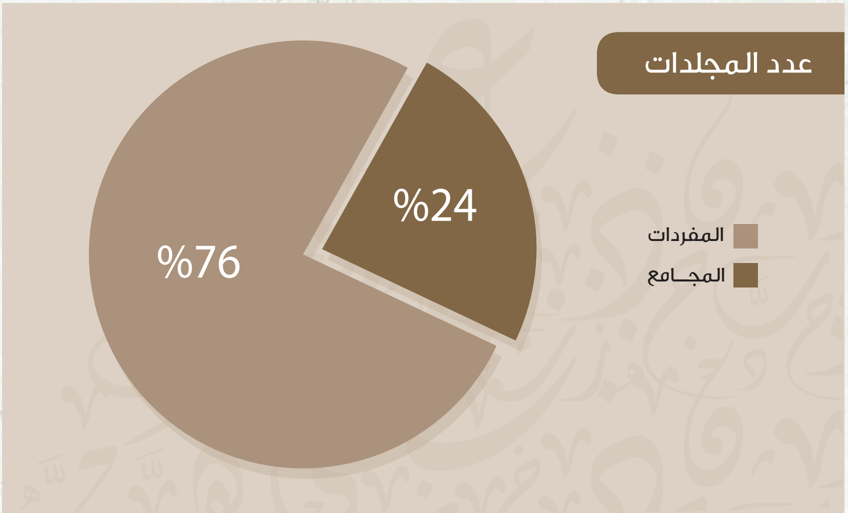
إنَّ لفهارسِ المخطوطاتِ أهـمـيَّـةً كـبـيـرةً فـي إبـرازِ الـمـخـطـوطـات النَّفيسة والـنَّـادرة، الـتـي تحمل في طَيَّاتها معالمَ التَّميُّزِ الحضاريِّ للأمّة الإسلامية

بالمخطوطات، وصيانتُها، وحفظُها، وترميمُها، وتصنيفُها وترقيمُها وتقييمُها بما يَكْفُلُ المحافظةَ عليها.

4 - تنظيمُ النَّدواتِ، والمؤتمراتِ العلميَّة، والـــدوراتِ التدريبيَّة المتخصِّصَةِ في مجال المخطوطات.

5 - تقديمُ الخِدْماتِ المعلوماتية لجمهورِ الباحثين والمطالعين، وإتاحةُ مُقْتَنَياتِ الدَّارِ للاطِّلاع عليها، والاستفادةِ منها وَفق الضَّوابط التي يعتمدها رئيسُ دارِ المخطوطات.

6 - التعاونُ مع الجهات المختصَّةِ المهتمَّةِ بِالتُّراثِ على المستوى الـمَحَلِّيِّ والدَّوْليِّ(1).



فهارس المخطوطات

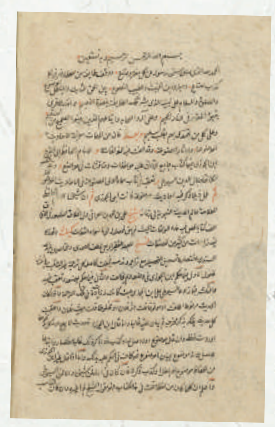
دأب علماء المكتبات على تقسيم الفهارس إلى قسمين: فهارسَ وصفيَّةٍ، وفهارسَ موضوعيَّةٍ.

وعرّفوا الفَهْرَسَةَ الوَصْفِيَّةَ بأنّها الفهرسةُ التي تهتم بوصف الشّكل المادي لأوعية ومصادر المعلومات عن طريق مجموعةٍ من البيانات التي تعطي للقارئ صورة مُصغَّرة عنها، وذلك لتسهيل عمليّة التّعرف عليها، وتمييزها مِنْ بَعْضِها.

أما **الفَهْرَسَةُ المَوْضُوعِيَّةُ** فَهِيَ ذلك النّوع من الفهرسة الذي يهتم بتحديد المحتوى الفكريِّ أَوِ الموضوعيِّ لأوعية ومصادر المعلومات(2).

وفي العصر الحاليِّ ظهر نوع خاص من الفهارس، يَنتخب وينتقي أجود ما في الخزائن والمكتبات من مخطوطاتٍ، ويُطلق عليها اسم: النّفائس، والنّوادر، والذّخائر، والفرائد(3) أو تسمّى بِأَحَدِ الأوصاف الخاصّة الدّالّة على النّدرة والنّفاسة كالمخطوطات الألفية أو أقدم المخطوطات أو المخطوطات الأصول أو المخطوطات الموقّعة.

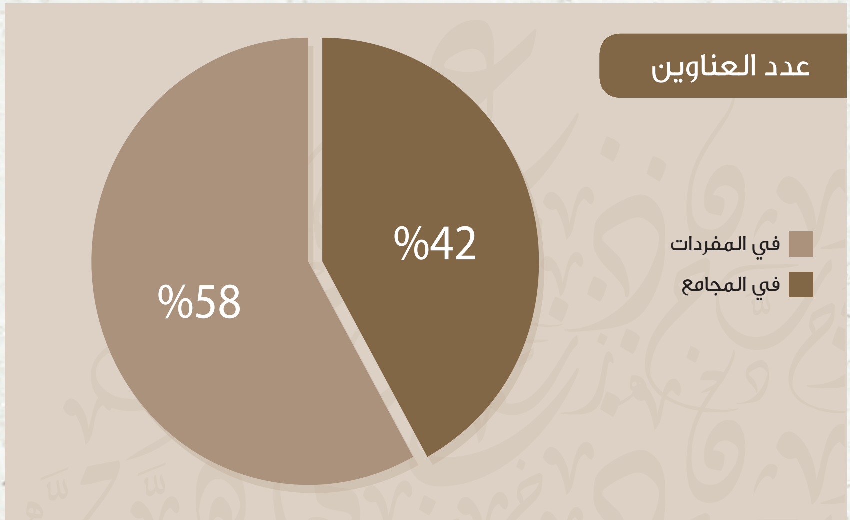
والـنّـدرة والنّفاسة في علم المخطوطات لها سماتٌ، لا يمكن حصرها والإحاطة بها، وإنّما يظهر منها الشّيء بعد الشّيء، ومن تلك السّمات: أن يكون المخطوط بخطّ المؤلف أو أن يكون أملاه على أحد تلاميذه فكتبه، وأثبت هو عليه خطّه بصحّة القراءة عليه أو سماعه أو إجازته أو أن يتملّكه أحد العلماء المشهورين، ويُثبت عليه خطّه











بالقراءة أو التملّك أو أن يكون المخطوط وحيدًا، لا توجد منه إلا هذه النّسخةُ أو أن يكونَ المخطوطُ قديمَ النّسخ.

ولابد من الإشارة هنا إلى أنّ الحكم بالنّدرة والنّفاسة موكول إلى ثقافة المفهرس، ومعرفته بتاريخ الكتب، وحال المطبوع منها، وعن أيّ أصول خطّية حُقّق الكتاب، ولا يتأتّى هذا إلا بعد دُربة، وكثرة تفتيش، ومُجالسة ومُشافهة لأهل الاختصاص(4).

ويمكن تقسيم هذا النوع من الفهارس إلى قسمين:

فهارس غير مصورة، ويُكْتَفَى فيها بسرد بعض المعلومات عن تلك المخطوطات. ومن أمثلة تلك الفهارس:

1 - ((تذكرة النوادر من المخطوطات العربية))، جمع: جمعية دائرة المعارف العثمانية، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1350 هـ/ 1931 م.

2 - ((قائمة لنوادر المخطوطات العربية المعروضة في جامعة القرويين بمناسبة مرور ألف سنة))، وزارة التهذيب الوطني والشبيبة والرياضة، مطبعة النجمة، الرباط، 1379 هـ/ 1960 م.

3 - ((نوادر المخطوطات العربية وأماكن وجودها))، لأحمد تيمور باشا، نشرها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1400 هـ/ 1980 م.

4 - ((أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم المكتوبة منذ صدر الإسلام حتى سنة 500 هـ - 1106 م))، تأليف: كوركيس عواد، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1402 هـ/ 1982 م.

فهارس مصورة، وتحتوي على نماذج من صور تلك المخطوطات النّفيسة. ويُطلق عليها اسم ((كتالوجات))(5).

ومن أمثلة تلك الفهارس:

1 - ((نوادر المخطوطات بمكتبة بلدية الإسكندرية))، إعداد: يوسف زيدان، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1415 هـ/ 1995 م.

2 - ((نوادر المخطوطات السعودية، نماذج لمجموعة من نوادر المخطوطات المحفوظة بدارة الملك عبد العزيز))، إعداد: أيمن بن عبد الرحمن الحنيحن، سعد بن محمد آل عبد اللطيف، السعودية، 1421 هـ/ 2001 م.

3 - ((ذخائر المكتبة الوطنية للمملكة







المغربية الكتب المخطوطة))، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، المغرب، 1436 هـ/ 2015 م.

4 - ((نوادر المخطوطات العمانية المحفوظة في دار المخطوطات بوزارة التراث والثقافة))، إعداد: سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، محمد بن عامر بن سيف العيسري، عمان، 1436 هـ/ 2015 م.

ومما يندرج في هذا القسم: فهرس دار المخطوطات الإسلامية بالجامعة القاسمية، حيث صدر منه المجلد الأول سنة 2021 م، والثاني سنة 2022 م.

وهذه بعض الإحصائيات الخاصة بالمجلد الأول:

[1] عدد المجلدات: 1025 = المفردات: 758، المجاميع: 267.

[2] عدد العناوين: 1908= في المجاميع: 1150، في المفردات: 758.

[3] العناوين المعلومة المؤلف: 1608، العناوين المجهولة المؤلف: 300.

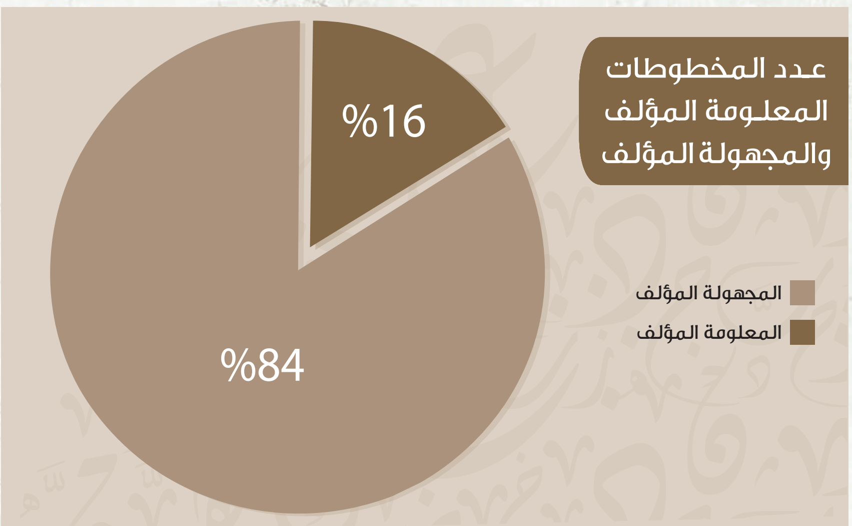
[4] عدد العناوين بالتكرار: 1908، عدد العناوين بدون تكرار: 1324.

[5] عدد المؤلفين بالتكرار: 1608، عدد المؤلفين بدون تكرار: 671.

[6] مخطوطات باللغة العربية: 1824، باللغة العثمانية: 64، باللغة الفارسية: 16، باللغة السيريانية: 1، مخطوطات بلغات متعددة: 3

أما المجلد الثاني:

[1] عدد المجلدات 264 = المفردات: 224، المجاميع: 40.



[2] عدد العناوين: 414 = في المجاميع: 190، في المفردات: 224.

[3] العناوين المعلومة المؤلف: 339، العناوين المجهولة المؤلف: 75.

[4] عدد العناوين بالتكرار: 414، عدد العناوين بدون تكرار: 297.

[5] عدد المؤلفين بالتكرار: 339، عدد المؤلفين بدون تكرار: 224.

[6] عدد المخطوطات باللغة العربية: 377، وباللغة العثمانية: 26، وباللغة الفارسية: 10، وباللغة الأمازيغية: 1.

نفائس الدار ونوادرها

تضمُّ دارُ المخطوطاتِ العديدَ من المخطوطات الأصليَّة النّادرة والنّفيسة، وأغلبها باللغة العربية، وكُتِبَ بعضُها بخطوط مؤلفيها، وبها رسومٌ وزخارفُ نباتيَّةٌ مُذَهَّبَةٌ، وألــوان زاهيةٌ بديعةٌ، وبخطوط مختلفة، إلى جانب تنوعها في شتّى العلوم والتّصانيف، من علوم القرآن الكريم، والتفسير، والحديث وشروحه، والفقه، واللغة العربية وفروعها، والطب، والصيدلة، والفلك، والحساب، والزراعة، والتاريخ، والجغرافيا.

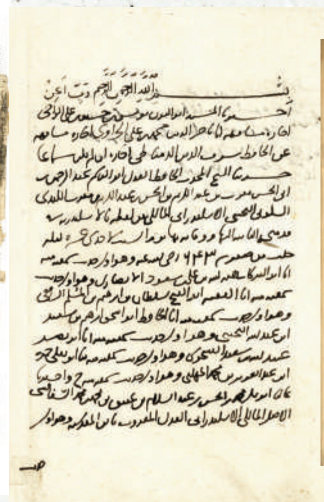
وَقَدِ اخْتِيرَ عددٌ من هذه المخطوطات لوضعها في البَهْوِ الرّئيس وَسْطَ الدار، ويمكن تصنيفها كالآتي:

نوادر المخطوطات في المجلد الأول

1 - نسخٌ فريدةٌ، مثل: ((منتخب الأحكام)) لعبيد الله بن محمد بن قدامة المقدسيّ (ت 684 هـ)، و((الدر النضيد في شرح القصيد)) لمجهول، و((روح السلاطين زكي الخصال محمود الفعال)) (سيرة سلطان دارفور: علي بن دينار) لأبي بكر الخلوصي، و((سيرة القائد علي بن حدو الريفي)) لعبد الوارث بن سليمان بن عبدالرحمن الزروالي.

2 - نسخٌ كُتِبَتْ بخطوطِ مؤلِّفيها، مثل: ((رسالة في عصمة الأنبياء وتحقيق مسألة عصيان آدم عليه






السلام)) لعلي بن عبد الحق القوصي الحجاجي المالكي (ت 1294 هـ)، و((سلوك الطريق إلى الصديق)) لمصطفى رشدي بن إسماعيل الدمشقي (توفي بعد 1326 هـ).

3 – نسخٌ كُتِبَتْ في حياةِ مُؤَلِّفِيها، مثل: ((فتح الوصيد في شرح القصيد)) لعلي بن محمد السَّخَاوي الدمشقي الشافعي (ت 643 هـ)، تاريخ نسخها: 25 رجب 632 هـ، و((عمدة الترجيح في تعيين الذبيح)) لمحمد بن الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري الدمشقي الحسني (ت 1331 هـ)، تاريخ نسخها: 1321 هـ.

4 – نسخٌ منقولةٌ من نسخة المؤلف، مثل: ((الروض العاطر في مختصر زيج ابن الشاطر)) لمحمد بن علي بن زريق الخيري (ت 977 هـ).

5 – نسخٌ كُتِبَتْ بِخطوطِ العُلماءِ، مثل: ((جزء فيه أحاديث عوال من الموافقات والأبـدال والتساعيات والمصافحات والأناشيد والمقطوعات))، تخريج: عبد

> **تـضـمُّ دارُ المخطوطاتِ العديدَ من المخطوطات الأصليَّة النّادرة والنّفيسة، وأغلبها باللغة العربية، وكُـتِـبَ بعضُها بخطوط مؤلفيها، وبها رسومٌ وزخارفُ نباتيَّةٌ مُذَهَّبَةٌ**

المؤمن بن خلف الدمياطي الشافعي (705 هـ)، بخط يوسف بن شاهين (ت 899 هـ).

6 – نسخٌ عليها تَمَلُّكاتُ العُلماءِ، مثل: ((أنوار التنزيل وأسرار التأويل)) لعبد الله بن عمر البيضاوي (ت 691 هـ)، تملكه: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد المعروف بابن العماد الحنبلي (ت 1089 هـ).

7 – نسخٌ كُتِبَتْ برسمِ العُلماءِ، مثل: ((فصول الأحكام في أصول الأحكام)) لعبد الرحيم بن أبي بكر المرغيناني، تاريخ نسخها: 816 هـ، كتبت برسم المحدث: عبد العزيز بن أحمد الأبهري (ت 843 هـ).

8 – نسخٌ عليها قراءاتٌ وسماعاتٌ وإجـازاتٌ، مثل: صحيح مسلم بن الحجاج القشيري: ((المسند الصحيح المختصر)).

نوادر المخطوطات في المجلد الثاني:

1 - مُسَوَّدَةُ المُؤلِّفِ:

((تاريخ العصر الدموي))، لناصيف بن جرجس بن ناصيف (ت 1333 هـ).

2 - نسخٌ كُتِبَتْ في حياةِ مُؤَلِّفِيها:

((العجالة على أعدل آلة))، لحسن بن إبراهيم بن حسن، الزيلعي، الجبرتي، الحنفي (ت 1188 هـ) (كتبت سنة 1173 هـ).

((الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة))، لإبراهيم بن

عمر بن حسن، البقاعي (ت 885 هـ) (كتبت سنة 873 هـ).

((الكنز المنشور في التهنئة بالأعياد والأعوام والشهور))، لعبد الله بن درويش، ابن السكري، الركابي، الحنفي (ت 1329 هـ) (كتبت سنة 1292 هـ).

3 - نسخٌ تواريخُ نَسْخِها مُتقدِّمَةٌ

((شرح الجامع الصغير))، لعمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة، الصدر الشهيد، الحنفي (ت 536 هـ) (تاريخ نسخها: 736 هـ).

((طبقات الشافعية الوسطى))، لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، السُّبْكِي، الشافعي، (ت 771 هـ) (تاريخ نسخها: 756 هـ).

((الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل))، لمحمد بن عيسى بن سَوْرَة، الترمذي (ت 279 هـ) (تاريخ نسخها: 787 هـ).

((الغيث الهامع في شرح جمع الجوامع))، لأحمد عبد الرحيم بن حسين، ابن العراقي، الكردي، المصري، الشافعي (ت 826 هـ) (تاريخ نسخها: 830 هـ).

((كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين))، لمحمد بن أحمد بن محمد المحلِّي، الأنصاري، الشافعي (ت 864 هـ) (تاريخ نسخها: 872 هـ).

((قمعُ النّفوس وَرُقْيَةُ المأْيُوس))، لأبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن، الحسيني، الحصني (ت 829 هـ) (تاريخ نسخها سنة 855 هـ).

4 - نسخٌ خُطُوطُها قديمةٌ:

((خلاصةُ الدَّلائل في تنقيح المسائل))، لعلي بن أحمد بن مكي، الرازي، الحنفي (ت 598 هـ).

((رياض الصالحين))، ليحيى بن شرف بن مري، النووي، الحزامي، الحوراني، الشافعي (ت 676 هـ).

((نصيحة المشاوِر وتعزية المجاوِر))، لعبد الله بن محمد بن فرحون، اليعمري، المالكي (ت 769 هـ).

((الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ج 5))، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم، البخاري (ت 256 هـ).

5 - نسخٌ نادرةُ الوُجودِ:

((مختصر تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عـراق))، لرحمة الله بن عبد الله بن إبراهيم، السندي، الحنفي (ت 993 هـ).

في نهايَةِ هَذا البَحْثِ، لابدَّ مِنَ التَّذْكيرِ أنَّ:

((التُّراثَ هو ما يَـمُدُّنا به الماضي الحيُّ من زادٍ فكريٍّ وروحـيٍّ ووجدانيٍّ، يُتيحُ لنا تفهُّمَ الحاضِرِ والاندماجَ فيهِ بِأمانٍ، وَالانْطِلاقَ مِنْهُ بِثِقَةٍ إلى آفاقِ الـمُسْتَقْبَلِ)).

((لَيْسَ كُلُّ نادرٍ جديرًا بالذِّكْرِ، ولا كُلُّ مبذولٍ بِـمَرْذولٍ، فَرُبَّ غَثٍّ نَبَّهَتْهُ نُدْرَتُهُ، وسمينٍ أَخْمَلَتْهُ كَثْرَتُهُ، وإنّما العِبْرَةُ بِقيمَةِ الشَّيْءِ في نَفْسِهِ... وَالنَّفِيسُ نَفِيسٌ حَيْثُمَا كَانَ)).

الهوامش:

(1) ينظر: الجريدة الرسمية لحكومة الشارقة، السنة: 33، العدد: 5، 17 ربيع الآخر 1445 هـ، 1 نوفمبر 2023 م، ص: 13. بتصرف.

(2) ينظر: ((المدخل إلى علم الفهرسة)) (ص: 9).

(3) نذكر هنا أن الباحث إبراهيم البطشان فرق بين هذه المصطلحات: فالمخطوط الفريد: هو المخطوط الوحيد والذي لا تعرف له نسخة ثانية، والمخطوط النادر هو المخطوط الذي توجد منه نسخة قليلة، والمخطوط العتيق هو المخطوط القديم، والمخطوط النفيس هو المخطوط الذي يكون بخط مؤلفه أو كتب بخط أحد تلاميذه أو كتبه خطاط مجود أو كتب في حياة المؤلف وهكذا... ينظر: ((مخطوطات عربية نادرة في الهند)) (ص: 392).

(4) ينظر: ((الفهرس الوصفي لبعض نوادر المخطوطات بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود)) (ص: 9 – 10).

(5) الكاتالوج: كتاب أو منشور مصور يحتوي على قائمة أو عرض لمنتج، ويتضمن عادة معلومات وصفية لهذا المنتج. ينظر: ((معجم اللغة العربية المعاصرة)) (3/1889)



نظراتٌ في البيانِ القرآنيّ

- الإِعْجَــازُ اللُّغَــوِيُّ للقــرآنِ الكـــريمِ
- العَلاقَــةُ بيــنَ القُــــرآنِ والقِـراءاتِ
- مِنْ أَسْرَارِ دِلالةِ السِّيَاقِ في الخِطَابِ القُرآنيِّ

الإِعْجَازُ اللُّغَوِيُّ للقرآنِ الكريمِ



أ.د./ محمود إسماعيل صالح
أستاذُ اللسانيات التطبيقية

لقد أَعْطى اللهُ سُبحانَهُ وتَعالى أَنْبياءَه ورُسَلَه المختلفين المعجِزاتِ والآياتِ دَليلاً على نُبوَّتِهم، مثلَ: نجاةِ إبراهيمَ عليه السَّلام منَ النّارِ التي أُلْقِيَ فيها. ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ [الأنبياء: 68-70]

وقد أُعطِيَ موسى آياتٍ كثيرةً، منها اثْنتان: تحوّلُ عَصاه إلى ثُعبان مبين ابتلعَ ثَعابينَ السَّحرة، وإخراجُ يده من جيبه لتكونَ بيضاءَ للنّاظرين. قالَ تعالى:

﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ١٠٧ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الأعراف: 107-108]

في تحدّي موسى عليه السلام للسَّحَرة نَقرأُ:

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨﴾ [الأعراف: 115-118]

أما النَّبيُّ داوودُ عليه السَّلام فيقول الله عنه: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩﴾ [الأنبياء: 79].

وقد جعلَ اللهُ لسُليمانَ الرّيحَ والجنَّ تحتَ أمرِه، وكانَ يُكلِّمُ الطَّيرَ، ويَفْهَمُ لُغَةَ النَّمْل. (القرآن 27: 16-18؛ 21: 81).

﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾ [النمل: 16-17].

أُعْطِيَ عيسى عليه السَّلامُ القُدْرةَ على أن يَصنَعَ منَ الطّينِ كهَيئةِ الطَّيرِ، فيَنفُخُ فيه فيَكونُ طائرًا حيًا، ويُبْرِئُ الأكمهَ والأبرصَ، ويحيي الموتى، كلُّ ذلك بإذنِ الله، كما كانَ يُؤكّدُ للنّاسِ أنَّ الأمرَ بيدِ اللهِ، وليسَ بقُدُراته

وقد أُعطِيَ عيسى عليه السَّلامُ القُدْرةَ على أن يَصنَعَ منَ الطّينِ كهَيئةِ الطَّيرِ، فيَنفُخُ فيهِ فيَكونُ طائرًا حيًّا، ويُبْرِئُ الأكمهَ والأبرصَ، ويحيي الموتى، كلُّ ذلك بإذنِ الله، كما كانَ يُؤكّدُ للنّاسِ أنَّ الأمرَ بيَدِ اللهِ، وليسَ بقُدُراتِه.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ [آل عمران: 49].

لكنَّ كلَّ تلك المعجزاتِ، مهما عظُمت، كانت ذاتَ طبيعةٍ وقتيَّةٍ، ولم يشهدْها إلا من رأوا أنبياءَ الله المذكورين وقابلُوهم؛ لأنّ رسالاتِهم كانت محدودةً في الزّمان

إن الرّسالةَ التي جاء بها النّبيُّ محمد (صلى الله عليه وسلم) هي رسالةٌ عالَميّةٌ لا حدودَ لها بأمّة أو مكانٍ أو زمانٍ لأنّه مُرسلٌ رحمةً لجميعِ الأكوانِ



والمكانِ، من ناحيةٍ أخرى، فإنّ الرّسالةَ التي جاء بها النّبيُّ محمد (صلى الله عليه وسلم) هي رسالةٌ عالَميّةٌ لا حدودَ لها بأمّةٍ أو مكانٍ أو زمانٍ؛ لأنّه مُرسلٌ رحمةً لجميع الأكوانِ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107]

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: 158].

بل شملتِ الرّسالةُ المحمّديّةُ غيرَ الإنس منَ المخلوقات (غيرِ المرئيّةِ لنا) أي الجنّ. يقول تعالى:

﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣﴾ [الجن: 1-3]

وقد أعطيَ النّبيّ محمدٌ صلّى الله عليه وسلّم العديدَ منَ المعجزات التي أجراها الله على يديْه في مناسباتٍ عديدةٍ، رواها الصّحابةُ رضوانُ الله عليهم ومذكورةٌ في كتبِ الصّحاح منَ الحديثِ النّبويّ الشّريف. لكنَّ المعجزةَ الأهمَّ التي أُعْطِيَت له كانتِ القُرآنَ الكريمَ كلامَ الله المبينَ. وتختلفُ هذه المعجزةُ عن جميع المعجزاتِ أوِ الآياتِ الأُخرى التي أُعْطِيَت لرُسُلِ الله وأنبيائِه الآخرين كونَها ملموسةً وأبديَّةً. ولذلك فهي غيرُ محدودةٍ بمَكانٍ أو زمانٍ، يستَطيعُ النّاسُ (والكائناتُ العاقلةُ الأخرى) رؤيتَها وقراءتَها وتحليلَها وتقييمَ شكلِها ومُحتواها بكلِّ وسيلةٍ ممكنةٍ، حتى يرثَ الله الأرضَ ومن عليها.



فقد وعدَ الله سبحانه ببقائِها، حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: 9].

أوْجهُ إعجازِ القرآنِ الكريم:

أوّلاً يجبُ أن نتذكّرَ أنَّ هناك الكثيرَ منَ الأدلَّةِ والبراهينِ التي تُثْبِتُ بما لا يَدَعُ مجالاً للشَّكِّ أنَّ القرآنَ جاءَ من عند الله وحدَه. وما سنُناقشُه هو مجرّدُ مجموعةٍ صغيرةٍ فقط من هذه الأدلّةِ. إنَّ أقوَى دليلٍ على صدْقِ القرآنِ وأنّه من عنده سبحانه وتعالى التَّحدّي لجميع الخلقِ أن يأتُوا بكتابٍ مثلِ القرآنِ، أو عشْرِ سورٍ أو حتى سورةٍ واحدةٍ!

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾ [يونس: 38]

في الواقع، إنَّ التَّحدّيَ الأقوَى والأكثرَ شُمولاً هو ما وردَ في سورة الإسراء: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء: 88].

أمّا الأدلّةُ على صدْقِ القرآنِ الكريمِ وأنّه من عندِ الله سبحانه وتعالى فكثيرةٌ يُلَخِّصُها الاتِّساقُ الدّاخليُّ والخارجيُّ للقرآنِ، أي: عدمُ وجودِ أيِّ تناقضاتٍ داخلَ النّصِّ نفسِه أو مع الحقائقِ المتعلّقةِ بالظّواهرِ الطّبيعيّةِ، كما سنرى بعدَ قليلٍ. وقد ورد ذكرُ هذا التّحدِّي في السّورة الرّابعةِ منَ القرآنِ الكريم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: 82]



أ.د. علي حلمي موسى



أ.د. سلطان المجيول

أقوَى دليلٍ على صدْقِ القرآنِ وأنّه من عنده سبحانه وتعالى التَّحدّي لجميع الخلقِ أن يأتُوا بكتابٍ مثلِ القرآنِ، أو عشْرِ سورٍ أو حتى سورةٍ واحدةٍ!

ولْننظرْ الآن إلى بعض أوجُهِ الإعجازِ للقرآنِ الكريم، والتي يمكنُ إجمالُها في الفئاتِ الرّئيسةِ الآتية:

1 – الإعجازُ اللُّغويُّ والأسلوبيُّ
2– الاتّساقُ الدّاخليُّ والخارجيُّ
3 – الأدلّةُ التّاريخيّةُ (الماضي والمعاصرُ للنّبيّ صلى الله عليه وسلم والمستقبل)
4 – الحقائقُ العلميّةُ المتعلّقةُ بالظّواهرِ الطّبيعيّةِ والكونيّةِ.
5 – التّشريعاتُ والتّعاليمُ
6 – الإعجازُ العَدديُّ والحسابيُّ
7 – حفْظُ القرآن بصورتِه الأصليّةِ دون تغييرٍ حتى بعد أكثر من 1400 عام.

(في الواقعِ، حتى لُغةِ القرآن، اللّغةِ العربيّةِ، هي فريدةٌ من نوعِها بين لُغاتِ العالَمِ بمعنى أنَّها اللُّغةُ الحيّةُ الوحيدةُ التي بقيت دونَ تغييرٍ يُذكرُ لأكثرَ من 14 قرْنًا).

نظرًا لسَعةِ الموضوع، فإنّني سأقتصرُ على الجانبِ اللُّغويِّ للقرآنِ الكريمِ، بما في البراهينِ الإحصائيّةِ لألفاظِ القرآنِ الكريمِ.

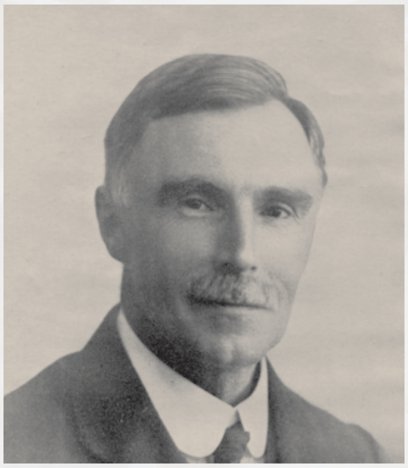
الإعجازُ اللُّغويُّ والأسلوبيُّ

ناقشَ هذا الجانبَ عددٌ كبيرٌ من علماءِ المسلمين الذين خصّصُوا كتبًا كاملةً للموضوع، مثلَ الجُرجانيِّ والباقلّانيُّ في السّابقِ، والشّعراويُّ ودرّازُ والرّافعيُّ وغيرُهم في العصرِ الحديثِ.

لقد رأيْنا التَّحدّيَ الإلهيَّ للخليقةِ



المستشرق آرثر جون آربري



محمد مارمادوك بكثال

القـرآنُ فـريـدٌ مـنْ نوعِه في أنّه يَستخدِمُ الأسلوبَ نفسَه لمخاطَبةِ النَّاسِ من جميعِ مَناحِي الحياةِ ومن جميعِ الأعمارِ، في حين أنَّ أيَّ مُؤلِّف للكلام البشريِّ يجبُ أن يُغيِّر أسلوبَه حتّى تفهمَه كلُّ مجموعةٍ منَ المُستَمِعين أوِ القُرّاء.

كلِّها أن يأتُوا بمثلِ القرآنِ، ونعلمُ أنَّ العربَ كانوا الأفضلَ في استخدام اللّغةِ في عهد النّبيِّ محمد صلّى الله عليه وسلّم، حتى إنّهم علّقُوا بعضًا من أفضلِ قصائدِهم في الكعبةِ، وأقاموا مُسابقاتٍ لُغويّةً سنويّةً في عُكاظ، بالقربِ من مدينة الطّائفِ، ومع ذلك، لم يتمكّنْ أحدٌ منَ الرّدِّ على هذا التّحدّي. لماذا؟

الجوابُ:

أ- القرآنُ فريدٌ من نوعِه في أنّه يَستخدِمُ الأُسلوبَ نفسَه لمخاطَبةِ النَّاسِ من جميعِ مَناحِي الحياةِ ومن جميعِ الأعمارِ، في حين أنَّ أيَّ مُؤلِّفٍ للكلام البشريِّ يجبُ أن يُغيِّر أسلوبَه حتّى تفهمَه كلُّ مجموعةٍ منَ الـمُستَمِعين أوِ القُرّاء، فالنَّصُّ القرآنيُّ نفسُه يمكنُ قراءتُه وفهْمُه على عدّةِ مُستوياتٍ، حسبَ معرفةِ القارئ وقُدراتِه.

ب- الدّقّةُ والإيجازُ الفريدان في لُغتِه منَ الجوانبِ الـمُعجميَّةِ والنَّحويَّةِ والبلاغيّةِ، بل حتّى على مُستوى الحرفِ أو الصّوتِ فكلُّ كلمةٍ (بما في ذلك صيغةُ المفردِ أو الـمُثنّى أو الجمعِ) لها مكانٌ محدَّدٌ في سياقِها، وأيُّ تغييرٍ قد يُغيُّر معنَى الآية، وهذا لا يشملُ اختيارَ الكلماتِ فحسبُ، بل يشملُ أيضًا التّرتيبَ الدّقيقَ للكلمات في كلِّ جملة، مثل: «السّمعِ» قبْلَ «البصرِ». ويُمكنُنا أيضًا أن نرى الدّقّةَ في الصّفاتِ الإلهيّةِ التي تختمُ العديدَ منَ الآياتِ (الغفورُ الرّحيمُ، السّميعُ العليمُ، السّميعُ البصيرُ، العليمُ الحكيمُ، القويُّ العزيزُ). إنَّ التّدقيقَ في السّياقِ سيكشفُ لنا مدى الـمُلاءمةِ الـمُذهلةِ لكلِّ زوجٍ منَ السِّماتِ لهذا السّياقِ المحدّدِ. (انظر: الشّعراوي، معجزة القرآن).





لِنوردْ أمثلةً بسيطةً لذلك، دعونا ننظرْ فقط إلى سورة العصر (سورة 103)، في ثلاثِ آياتٍ قصيرةٍ، يتمُّ توضيحُ الطريقِ بأكملِه إلى الخلاصِ والنّجاةِ منَ الخسران بإيجاز: «الإيمانُ، وعملُ الصّالحاتِ، والتّواصي بالحقّ والتّواصي بالصّبر». يُروى أنّ الإمامَ الشّافعيَّ قال: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلّا هذه السّورةَ لكفَتْهُم». ومثالٌ آخرُ هو سورةُ الإخلاص، حيث نجدُ في أربعِ آياتٍ قصارٍ أشملَ وصْف لله سبحانه وتعالى كما ينبغي أن يكون: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾

من دراستِنا لمفهومِ وتصَوُّرِ الألوهيّةِ أوِ الإلهِ في الأديان الأخرى (اليهوديّةُ، النّصرانيّةُ، البوذيّةُ، الهندوسيّةُ، الزّرادشتيّةُ، وغيرُها) نجدُ أنَّ ذلك المفهومَ أوِ التّصوّرَ يُعاني من واحدٍ أو أكثرَ من أوجُهِ القُصورِ التي نَفَتْها أوِ الصّفاتِ التي أثبتَتْها هذه السّورةُ القَصيرةُ منَ القرآن، وبذلك نَعرِفُ بُطْلانَ ذلك الدّين، فلا غرْوَ أنَّ النّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ هذه السورة تعدلُ ثُلُثَ القرآن».

> **منَ الواضحِ أنَّ المشركين في زمنِ النّبيِّ صلى الله عليه وسلمِ أدركوا الصّبغةَ الخارقةَ للقرآنِ الكريم، لكنّهم حاولُوا أن يَنسبُوا ذلكَ إلى غيرِ الله سبحانه وتعالى، فاتّهموا النّبيَّ صلى الله عليه وسلم بأنّه ممسوسٌ، أو مجنونٌ، أو كاهنٌ، أو شاعرٌ، أو غيرُهم ممّن كانوا يَرون أنَّ كلامَهم خارقٌ للطّبيعةِ البشريّةِ.**

جـ - شُموليّةُ العديدِ منَ الكلماتِ القرآنيّةِ (التّقوى، حسابٌ، المولَى، الوليّ، فتنةٌ، وسائرُ أسماءِ الله الحسنى) والتي لا بدَّ أن يُدركُها ويحارُ في نقلِها أيُّ مُترجمٍ جيّدٍ عند محاولتِه ترجمتَها إلى أيّةِ لغةٍ.

(يذكر الباحثُ محمد حسين أبو الفتوح أنَّ الـ 800 كلمة الأكثرَ تكرارًا في القرآن تشكّل حوالي 87 % من نَصِّ الكتابِ العزيز. (انظر: أبو الفتوح، 1990، وانظر المجيول حولَ الكثافةِ الـمُعجميّةِ أدناه).

د- إمكانيةُ وجودِ وقفاتٍ مختلفةٍ في الآية نفسها، مع ما يترتّبُ على ذلك من تغييرٍ في المعنى، كما في الآية الثّانيةِ من سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾، حيث نجدُ أنَّ وقفةً واحدةً تجعلُ: {ذلك هو الكتاب لاريب}.{فيه هدى للمتقين}. والوقفةُ الأُخرى تُعطي المعنى: {ذلك الكتاب لاريب فيه}. (هو) هدى للمتقين. [سورة البقرة: 2].

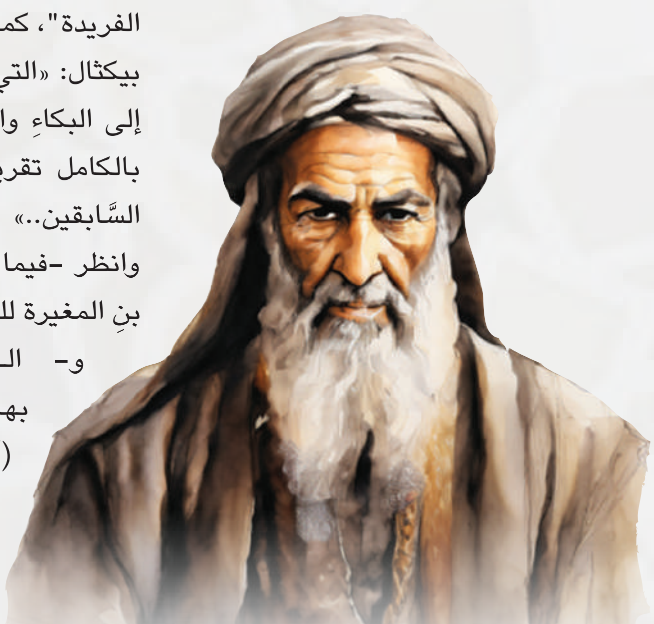
هـ- تفرّدُ الأسلوبِ القرآنيِّ؛ فهو ليس نثرًا مسجوعًا خالصًا وليس شعرًا. فهو يتميّزُ بأسلوبه الفريد.

في مقدّمتِه لترجمةِ معاني

د. هاني حسن:
«فكرةُ تقسيم القرآنِ على أساس عددِ الحروف بدأت في زمنِ الحجّاج، وأوّلُ من قسّمَ القرآنَ إلى ثلاثين جزءًا هو الإمامُ أبو بكر بنُ عياش في القرن الثّاني الهجري».



القرآنِ الكريمِ (القرآن مفسّرًا) يقول المستشرقُ الإنجليزيُّ المعروفُ أ.ج. أربيري: "في محاولتي الحاليةِ لتحسين أداءِ أسلافي، ولإنتاجِ شيءٍ يمكنُ قبولُه على أنّه يعكسُ -مهما كان ضعيفًا- البلاغةَ السّاميةَ للقرآنِ



الشافعي

العربيّ، بَذلْتُ جُهْدًا في دراسَةِ الإيقاعاتِ المعقَّدةِ والغنيّةِ بالتّنوّعِ. إيقاعاتٌ تُشكّلُ -بصرفِ النّظرِ عنِ الرّسالةِ نفْسِها- دعوَى القرآنِ التي لا يمكنُ إنكارُها بأنّه يُصنَّفُ بين أعظمِ الرّوائعِ الأدبيّةِ للبشريّةِ، هذه السّمةُ المميّزةُ للغاية، تلك السِّمفونيّة الفريدة"، كما علّقَ المسلمُ البريطاني بيكثال: «التي تدفعُ أصواتها الرّجالَ إلى البكاءِ والنّشوةِ- قد تمّ تجاهلُها بالكامل تقريبًا من قِبَلِ المترجمين السَّابقين..» (1964Arberry, :x) وانظر -فيما سيأتي- وصْفَ الوليدِ بنِ المغيرة للقرآن الكريم.

و- المُقَطَّعاتُ التي تبدأُ بها بعضُ سُوَرِ القرآن (ألم، ن، يس، طه، حم، كهيعص...) تستحقُّ مناقشةً خاصّةً بها. وقد تناول هذه المسألةَ كثيرٌ من علماء العربِ في رسائلَ مُطوّلة: الباقلانيُّ وابنُ القيّم قديمًا، والرّافعيُّ والشَّيخ محمد الشّعراويّ (أحدُ أبرزِ المراجعِ في هذا الموضوع في الوقت الحاضر).

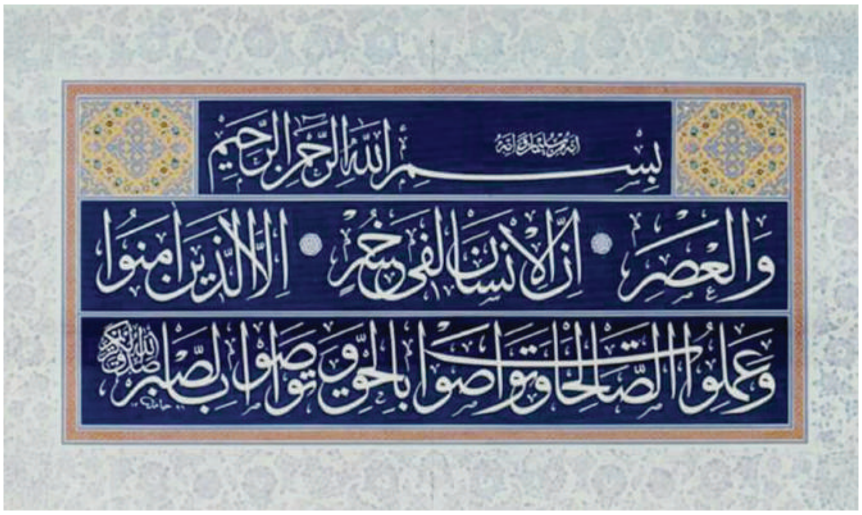
لكنْ من أكثرِ هذه التّفسيراتِ إقناعًا هو أنَّ هذه الحروفَ والآياتِ التي تلِيها تُوكّدُ على المصدرِ الإلهيّ للقرآنِ الذي يتكوّنُ من هذه الحروفِ. وخيرُ مثالٍ على ذلك ما نقرأُه في بداية سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾. ولا نكادُ نَجِدُ سورةً تبدأُ بالمقطّعاتِ إلّا وتتبَعُها إشارةٌ إلى القرآن الكريم، ممّا يؤكّدُ صحّةَ هذا التّفسير. وهو تذكيرٌ بتحدِّي القرآنِ الكريم للآخرين أن يأتوا بمثْلِه، على الرّغم من أنّه يتكوّنُ من حروفٍ وأصواتٍ معروفةٍ للجميع. (بهذه المناسبة نودُّ التّنبيهَ بأنَّ ظاهرةَ المقطّعاتِ لم تَرِدْ في أيِّ كتابٍ آخرَ، سماويٍّ أو بشريٍّ) ويقالُ

إنّ في السّور التي تبدأُ بحرفٍ معيّنٍ (مثل سين وقاف ونون)، وُجدَ أنّ تَكرارَ هذا الحرفِ في تلك السّورةِ المعيّنةِ أعلى بكثيرٍ من أيِّ سورةٍ أخرى في القرآنِ الكريم.

ز- الاتّساقُ الدّاخليُّ للقرآن الكريم: يشيرُ القرآنُ إلى هذا الجانبِ الإعجازيِّ في عبارةٍ مهمّةٍ للغاية: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: 82]. وكلمةُ "اختلاف" يمكنُ تفسيرُها بالتّناقُضِ والتّعارُضِ وغيابِ الاتّساقِ بصُوَرِه المختلفة.

ح- الفرقُ الواضحُ بين لُغةِ القُرآنِ الكريمِ ولُغةِ الأحاديثِ النّبويّة.

منَ الواضحِ أنَّ المشركين في زمن النّبيِّ صلى الله عليه وسلم أدركوا الصّبغةَ الخارقةَ للقرآنِ الكريم، لكنّهم حاولُوا أن يَنسبُوا ذلك إلى غيرِ الله سبحانه وتعالى، فاتّهموا النّبيَّ صلى الله عليه وسلم بأنّه ممسوسٌ، أو مجنونٌ، أو كاهنٌ، أو شاعرٌ، أو غيرُهم ممّن كانوا يَرون أنَّ كلامَهم خارقٌ للطّبيعةِ البشريّة. أخرج الحاكمُ في المستدرك والبيهقيُّ في دلائل النّبوّةِ عن ابنِ عباس رضي الله عنهما، قال: "إنَّ الوليدَ بنَ المغيرةِ المخزوميَّ، وهو أحدُ رؤساءِ قريشٍ، جاء إلى النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم فقرأ عليه القرآنُ، فكأنّه رقّ له، وقال: يا عجبًا لما يَقولُ ابنُ أبي كبشة -يعني محمدًا صلّى الله عليه وسلّم- فوَ اللهِ ما هو بشِعْرٍ، ولا سِحْرٍ، ولا بهمزٍ منَ الجنون، وإنّ قولَه لَـمِن كلام الله، فلمّا سَمِعَ بذلكَ نَفَرٌ من قريشٍ ائتمروا وقالوا: والله لئنْ صبأَ الوليدُ لتَصْبونّ قريشٌ". وفي روايةٍ أُخْرى وَصَفَ الوليدُ بنُ المغيرةَ القرآنَ الكريمَ بقوله: «إنَّ له لحلاوةً، وإنَّ عليه لطلاوةً، وإنَّ أعلاهُ لمثمرٌ، وإنَّ أسفلَهُ لمغدِقٌ، وإنَّه يعلُو ولا يُعلى عليه».



الإعجازُ الإحصائيُّ لألفاظِ القرآنِ الكريم:

إلى جانبِ الجوانبِ الأسلوبيّةِ التي ألْمحنا إليها أعلاه، نجدُ جانبًا آخرَ منَ الإعجازِ اللُّغويِّ للقرآنِ الكريم. وهو ما نُسمّيه بالإعجازِ الإحصائيِّ ويُسمّيه آخرون بالإعجازِ العدديِّ. فحتى قبْلَ أوّلِ محاولةٍ ناجحةٍ لاستخدام الحاسوبِ لدراسةِ القرآنِ من وجهةِ نظرٍ حسابيّةٍ (في الولايات المتّحدة في أواخر السّتينات أو أوائلِ السّبعينات)، أجرى العديدُ منَ المسلمين دراســاتٍ إحصائيّةً للقرآنِ، مُشيرين إلى عددِ مرّاتِ ورودِ الكلماتِ والحروفِ مثلًا، بل وتحديدُ الكلمةِ الوُسطى والحرفِ الأوسطِ بالضّبطِ في المصحفِ الشّريفِ.

يقولُ الدكتور هاني حسن: «جمعَ الحجّاجُ بنُ يوسف الحفّاظَ والقُرّاءَ فقال: «أخبروني عنِ القرآن كلِّه، كم من حرفٍ هو؟ قال: فجعلْنا نحسبُ، حتى أجمعوا أنّ القرآنَ كلَّه ثلاثمائة وأربعون ألفًا وسبعمائة وأربعون حرفًا. قال: فأخبروني إلى أيِّ حرفٍ ينتهي نصفُ القرآن؟ فحسبوا فأجمعوا أنَّه يَنْتهي في الكهف {وليتلطف} [الكهف: 19] في الفاء»، ومن المعروف أنّ هذا الإحصاءَ هو أساسُ تقسيمِ المصحفِ الشّريفِ إلى أجزاء. يقولُ هاني حسن (2021): «ففكرةُ تقسيمِ القرآنِ على أساسِ عددِ الحروف بدأت في زمنِ الحجّاج، وأوّلُ من قَسّمَ القرآنَ إلى ثلاثين جزءًا هو الإمامُ أبو بكر بنُ عياش في القرن الثّاني الهجري».

ويناقشُ العديدُ منَ العلماءِ المسلمين الأمثلةَ النّموذجيّةَ لـ "المعجزات" الرَّقميَّةِ. وتشملُ هذه الأمثلةُ نسبةَ الكلماتِ المتقابلةِ والكلماتِ المتقاربةِ في الدّلالةِ، مثل الكلماتِ التي تعبّرُ عنِ الخيرِ والشّرِّ،

والجنّةِ والنّارِ، وغيرِها. يقول نوفلُ أنَّ هذا الوجهَ منَ الإعجاز "وجْهٌ قاطعٌ دليلُه العددُ لا يختلفُ، والحسابُ لا يخطئُ" (نوفل، 1987، المقدمة).

ويذكر لنا نوفلُ عشراتِ الأمثلة على ذلك، مثلَ الدّنيا والآخرة التي ترد كلٌّ منهما 115 مرة، والملائكةِ والشّياطين (68 مرّة لكلٍّ منهما)، والعُجبِ والغرور ومشتقّاتِهما (27 مرة لكلٍّ منهما)، والشّدّةِ والصّبرِ (102 مــرّة)، والجزاءِ والمغفرةِ (117) ... (انظر: نوفل، 1987).

أوجُهٌ أخرى من منظورٍ علْميٍّ حديثٍ، مبنيٍّ على التّحليلِ الإحصائيِّ للقرآنِ الكريم:

لعلَّ من أوائــلِ من استخدمَ الحاسوبَ في دراسةِ القرآن الكريم في العالَمِ العربيِّ الراحلَ علي حلمي موسى الــذي يعتبرُ رائدَ اللّسانيّاتِ الحاسوبيّةِ الذي شملت أعمالُه: القرآن الكريم: دراسة علمية تكنولوجية (2001)، والذي ذكرَ فيه أنَّ القرآن الكريم يحوي ثلثَ الجذورِ الثّلاثيّةِ في معجمِ الصّحاحِ، وهذه -في رأيه- نسبةٌ كبيرةٌ جدًا لا يوجدُ وجهٌ للمقارنة بينها وبين ألفاظِ أيِّ كتابٍ على وجهِ الأرض، وأنَّ هذا في حدِّ ذاتِه "إعجازٌ كبيرٌ ينفردُ به كتابُ الله». (البداري، 2015) إلى جانبِ مثلِ هذه الاستنتاجاتِ نقرأُ معلوماتٍ أحدثَ في كتاب سلطان المجيول (1445هـ/ 2024م)، منها:

الكثافةُ المعجميّةُ وغيابُ التّبايُنِ في القرآنِ الكريم:

في أحدثِ دراسةٍ صدرت في العام (1445هـ/ 2024م) يقولُ الباحثُ سلطان المجيول: "أهمُّ ما ظهرَ من نتائجَ لتحليلِ مدوّنةِ القرآنِ الكريم، أَنَّ الكثافةَ المعجميَّةَ في القرآن عاليةٌ، وقد قاربت 70%، وهذا ما لم أقفْ عليه في النّصوصِ البشريّةِ، وأنَّ مقاييس التّشتّتِ قد أكّدتْ على أنّه لايوجدُ تبايُنٌ بين أجزاءِ القرآن، فكانتِ النّسبةُ متدنيةً جدًّا (13%)، كما أنّ التّوزيعَ المتّزنَ قد بلغَ نسبةً عاليةً، تزيدُ عن 98%، ولم أقف -أيضًا- على ما يُقاربُ هذه النّسبَ في مدوّناتِ اللّغةِ العربيّةِ (الأخرى)، إذ يغلبُ عليها ارتفاعُ نِسبِ التبايُن عن هذه النّسبة" (المجيول، 2024: ص 256).

درجاتُ الارتباطِ المختلفةُ:

يذكرُ المجيول الإحصائياتِ المذهلةَ الآتيةَ عن درجاتِ الارتباطِ في القرآن الكريم:

❋"ارتباطُ عددِ الكلمات مع عدد الآيات: 0.970

❋ ارتباطُ عدد الآيـــاتِ مع عدد الحروف: 0.966

❋ارتباطُ الزّمنِ مع عدد الحروف: 0.048

❋ارتباطُ الزّمنِ مع عدد الكلمات: 0.048 "

❋(المجيول، 1445هـ/ 2024: 256)

(منَ الجديرِ بالذّكرِ أنَّ التّحليلَ العدديَّ للنّصّ القرآنيِّ أصبحَ يسيرًا من خلالِ تطبيقاتِ الحاسوبِ، مثل www.qur'an corpus.)

الخاتمةُ:

لعلَّ في الأمثلةِ القليلةِ السّابقةِ دليلاً قطعيًّا على الإعجازِ اللّغويِّ في القرآن، وما ذكرتُه من أمثلةٍ مجرّدُ غيضٍ من فيْضٍ، فقد خصّصَ عددٌ منَ العلماءِ المسلمين كُتبًا كاملةً عن بعضِ هذه الجوانبِ اللُّغويّةِ، كما أشرنَا من قبْلُ.

بعض المراجع المختارة

أبو السعود، رفيق: (1997) إعجازات حديثة علمية ورقمية في القرآن. دمشق: دار المعرفة.

أبو الفتوح، محمد حسين (1990) قائمة معجمية بألفاظ القرآن الكريم ودرجات تكرارها. بيروت: مكتبة لبنان.

أحمد، يوسف الحاج (2003) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة: أضخم موسوعة في الإعجاز، ط2. دمشق: دار ابن حجر. (متاح على الشابكة)

الباقلاني، أبو بكر محمد (ت 403هـ) إعجاز القرآن . تحقيق: السيد أحمد صقر. القاهرة: دار المعارف.

بن نبي، مالك: (1958) الظاهرة القرآنية. ترجمة عبد الصبور شاهين. القاهرة: دار العروبة.

جاد، أحمد (2021) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية. دار الغد الجديد.

العَلاقَةُ بينَ القُرآنِ والقِراءاتِ





محمد عبد الباقي
باحث/مصر

هلِ القرآنُ والقراءاتُ حقيقةٌ واحدةٌ؟ أم أنّهما حقيقتانِ مُتغايرتان؟ وما وجْهُ العلاقةِ بين القراءاتِ والقرآنِ؟

بداية: «القرآنُ الكريمُ: هو كلامُ الله تعالى المُعجزُ المنزّلُ على خاتمِ الأنبياءِ والمرسلين سيّدنا محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم بواسطةِ أمينِ الوحْي جبريلَ عليه السّلامُ، المنقولُ إلينا بالتّواترِ، المتعبّدُ بتلاوتِه، المبدوءُ بسورةِ الفاتحةِ والمُخْتَتَمُ بسورةِ النّاس، والمُتحدّى بأقصرِ سُورةٍ منه»(1). أمّا القراءاتُ فيدورُ مَعْنَاها اللُّغويُّ حول الجمْعِ والضّمّ، أمّا معنى القراءةِ في الاصطلاح: فقد ذكر لها علماءُ العربيّةِ عدّةَ حدودٍ فهيَ عندَ الإمامِ الزّركَشيّ (ت794هـ): اختلافُ ألفاظِ الوحْيِ المذكورِ في الحروفِ أو كيفيتِها من تخفيفٍ وتثقيلٍ وغيرِهما(2).

أمّا ابنُ الجزريِّ فقد ذكرَ أنّها: علْمٌ بكيفيةِ أداءِ كلماتِ القرآن واختلافِها بعزْوِ النّاقلةِ(3).

هذه القضيّةُ بحثَها العلماءُ فمنهم من قال بأنّهما حقيقتان مغايرتان وأوّلُهم الإمامُ الزّركَشيُّ في البرهان بقولِه: القرآنُ والقراءاتُ، حقيقتان متغايرتان: فالقرآنُ: هو الوحيُ المنزّلُ على محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم للبيانِ والإعجازِ، والقراءاتُ: هي اختلافُ ألفاظِ الوحْيِ المذكورِ في الحروف، وكيفيتِها، من تخفيفٍ وتشديدٍ وغيرِهما(4) وتبعَه في هذا الرّأيِ منَ المعاصرين الدكتورُ صبحي الصّالح في كتابِه "مَبَاحِثُ في عُلُومِ القُرْآنِ".

وخالفَ هذا الرّأيَ بعضُ المعاصرين أَمْثَالِ الدكتور محمد محمد سالم محيسن (ت: 1422هـ)

فقال: ولكنّي أرى أنّ الزّركَشيَّ مع جلالة قدْرِه، قد جانبَه الصّوابُ في ذلك وأرى أنَّ كلًّا منَ "القرآن، والقراءات" حقيقتان بمعنى واحد، يتّضحُ ذلك بجلاءٍ من تعريفِ كلٍّ منهما، ومنَ الأحاديثِ الصّحيحةِ الواردةِ في نزولِ القراءات(5)؛ لأنَّ القرآنَ مصدرٌ مرادفٌ للقراءة، والقراءاتِ جمعُ قراءة؛ إذن فهُما حقيقتان بمعنًى واحدٍ، كما أنَّ أحاديثَ نزولِ القرآن على الأحرف السّبعةِ تدلُّ دلالةً واضحةً على أنّه لا فرْقَ بينهما؛ إذ كلٌّ منهما وحْيٌ منزّلٌ.

وممّا يؤيّدُ هذا القولَ ما رُوي عن أبيّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه – واللّفظُ لمسلم ـ قال: " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ. قَالَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. فَقَالَ "أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ. وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ". ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ. فَقَالَ «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ. وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ». ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ. فَقَالَ «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ. وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ». ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ. فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَؤُوا عَلَيْهِ، فَقَدْ أَصَابُوا»(6).

روى البخاريّ ومسلمٌ عنِ ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: "قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء : 41] قَالَ: حَسْبُكَ الآنَ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ».

فالنّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم كان يتعهّدُ أصحابَه بتعليم القرآنِ وحفْظِه حتّى أصبحت صُدورُهم سجلًّا لِما نزلَ منَ الحقِّ، وربّما علّمَ النّبيُّ – عليه الصّلاةُ والسّلام – بعضَ أصحابه قراءةً لم يسمعْها أصحابُه الآخرون، فيقرأُ بعضُهم القرآنَ على القراءة التي سمعَها، ويقرأُ آخرُ على قراءة غيرِها سمعَها منَ النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، فيسمعُ أحدُهما الآخرَ فيُنكرُ عليه عدمَ سماعِه لها منَ الرّسولِ صلّى الله عليه وسلّم.

وروى البخاريُّ بسندِه عن سيّدنا عمرَ بنِ الخطاب يقول فيه: "سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلاَةِ فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ قَالَ أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَقُلْتُ كَذَبْتَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – أَرْسِلْهُ اقْرَأْ يَا هِشَامُ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ اقْرَأْ يَا عُمَرُ فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»(7)

فمن حديثِ عمرَ وهشامٍ رضي الله عنهما يتبيّنُ لنا أنّ تعدُّدَ القراءاتِ سببُه واحدٌ هو أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أَقْرَأَ كُلًّا منهما على قراءةٍ، وكلتا القراءتَيْن أُنزلت من عند الله تعالى(8)

وأقولُ إنَّ القرآنَ والقراءاتِ حقيقتان بمعنًى واحدٍ، إذ إنّ القراءاتِ الصّحيحةَ

النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم كان يتعهّدُ أصحابَه بتعليم القرآنِ وحفْظِه حتّى أصبحت صُدورُهم سجلًّا لِما نزلَ منَ الحقِّ.

من حديثِ عمرَ وهشام رضي الله عنهما يتبيّنُ لنا أنّ تعدُّدَ القراءاتِ سببُه واحدٌ هو أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أَقْرَأَ كُلًّا منهما على قراءةٍ، وكلتا القراءتَيْن أُنزلت من عند الله تعالى.

التي تلقتْها الأمّةُ بالقَبولِ، ما هي إلّا جزءٌ منَ القرآن الكريم، فبينَهما ارتباطٌ وثيقٌ ارتباطَ الجزء بالكلِّ، فالقراءاتُ ما هي إلا جزءٌ منَ القرآن وطريقةٌ لأداء اللّفظِ القرآنيّ، ويتّضحُ ذلك من خلال التّعريفَيْن السّابقَيْن لكلٍّ منَ القرآن والقراءاتِ، من كلامِ الإمامِ الزّركَشيّ، فالقرآنُ الكريمُ كلامُ الله المنزّلُ كما سبقَ في التّعريفِ، والقراءاتُ: كيفياتُ أداءِ هذه الكلماتِ القرآنيّةِ بتعليمِ الوحْيِ للنّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فالقراءاتُ كيفياتُ قراءةِ القرآنِ المنزّلةِ على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم التي علّمَها جبريلُ عليه السلام.

وحاولَ البعضُ التّوفيقَ بين الرّأيين، بل وجعلَهما متّفقَيْن في جوهر الكلام مُختلفَيْن في ظاهره، فهذا الدّكتور/ عبدُ القادر محمد منصور في كتابه (موسوعةُ علوم القرآن) يقول: ولعلّ الأمـرَ اخـتلافٌ لفظيٌّ، إذِ الجميعُ متّفقون على أنّهما حقيقتان لماهيَّةٍ واحدةٍ، ولأمرٍ واحدٍ. وهذا ما نبّهَ إليه الزّركشيُّ أيضًا. حين قال: ولستُ في هذا أُنكرُ تداخلَ القرآن بالقراءات، إذ لا بدَّ أن يكونَ الارتباطُ بينهما وثيقًا(9).

إذن القرآنُ والقراءاتُ حقيقتان بمعنًى واحدٍ، فالقرآنُ هو كلامُ الله تعالى المعجزُ المنزّلُ على خاتم الأنبياءِ والمرسلين سيّدِنا محمّدٍ صلّى الله عليه وسلم بواسطة أمينِ الوحْيِ جبريلَ عليه السّلامُ المنقولُ إلينا بالتّواتر، المتعبّدُ بتلاوتِه، المبدوءُ بسورةِ الفاتحة والـمُختتم بسورة النّاس، والـمُتحدّى بأقصرِ سورة منه، والقراءاتُ طَريقَةُ أداءِ هذا اللّفظِ القُرآنيِّ وَكَيْفِيَّتُهُ بتعليمِ أمينِ الوحْيِ جبريلَ للنّبيّ محمّدٍ صلّى الله عليه وسلم، وتناقَلَ ذلك الصّحابةُ رضوانُ الله عليهم عنِ النّبيِّ صلّى الله عليه وسلم، وبإقرارِه لكلِّ قراءةٍ كما في حديثِ عمرَ وهشامِ السّابقِ بقوله: كذلك أُنزلت، وبينَهما ارتباطٌ وثيقٌ كارتباطِ البعضِ بالكلّ، فالقراءاتُ بعضُ القرآنِ.



غيْرَ أنّ الاختلافَ على الرّغم من هذا يظلُّ موجودًا بينَهما، بمعنى: أنّ كلًّا منهما شيءٌ يختلفُ عنِ الآخر، لا يقوَى التّداخلُ بينَهما على أن يجعلَهما شيئًا واحدًا، فما القرآنُ إلّا التّركيبُ واللّفظُ، وما القراءاتُ إلّا اللّفظُ ونُطقُه، والفرقُ بين هذا وذاك واضحٌ بيّنٌ(10).

الهوامش:

(1) الدكتور/ محمد أحمد محمد معبد (ت 1430هـ)، نفحات من علوم القرآن ص11، الناشر: دار السلام – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1426 هـ - 2005 م، عدد الصفحات: 142

(2) الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: 794هـ) البرهان في علوم القرآن: 1/ 318. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

(3) شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى 1420هـ 1999-م عدد الأجزاء: 1

(4) الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن 1/ 318 ت محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

(5) محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: 1422هـ)القراءات وأثرها في علوم العربية1/ 10، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.

(6) صحيح مسلم 1:/ 562، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، 821.

(7) رواه البخاري في صحيحه: 4/ 392، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم: 4608.

(8) المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره.

(9) الدكتور/عبد القادر محمد منصور: موسوعة علوم القرآن، ص: 197، باب العلاقة بين القرآن والقراءات، الناشر: دار القلم العربي – حلب الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2002 م.

(10) الدكتور/ عبد القادر محمد منصور: موسوعة علوم القرآن، ص:197.

التّسويق بالشِّعر



قدم أحد التّجار من العراق إلى المدينة ليبيع خُمُرًا، فباعها كلها إلّا السّود منها، فشكا ذلك إلى رجلٍ، كان قد تنسّك وترك الشّعر ولزم المسجد فقال: ما تجعل لي على أن أحتال لك بحيلة حتى تبيعها كلّها على حكمك؟ قال: ما شئت!! قال: فعمد النّاسك إلى ثياب نسكه! فألقاها عنه وعاد إلى مثل شأنه الأول، وقال شعرا ورفعه إلى صديق له من المغنّين، فغنّى به وكان الشعر:

قُلْ للمَليحَةِ في الخِمارِ الأسودِ
ماذا فَعَلتِ بِزاهِدٍ مُتَعبِّدِ
قَد كان شَمَّرَ للصــلاةِ إزارَهُ
حَتّى قَعَدتِ لَه بِبابِ المَسجدِ
رُدِّي عَلَيهِ صَلاتَهُ وصِــيامَهُ
لا تَقتُليهِ بِحَــقِّ دِيـنِ مُحَـمَّدِ

فشاع هذا الغناء في المدينة: وقالوا: قد رجع الناسك وعشق صاحبة الخمار الأسود، فلم تبق مليحة بالمدينة إلا اشترت خمارًا أسود، وباع التاجر جميع ما كان معه؛ فجعل إخوان النّاسك من النّساك يلقونه فيقولون: ماذا صنعت؟ فيقول: ستعلمون نبأه بعد حين. فلمّا باع التّاجر كلّ ما كان معه، رجع النّاسك إلى نسكه ولبس ثيابه.

ضَيْفٌ عَلَى النُّورِ



شعر/ أيمن الراكشي الحسني
شاعر

يَاحَادِيَ الرَّكْبِ يَنْحُو وِجْهَةَ الحَرَمِ ... تُعِيدُ مِنْ حَرَضٍ رُوحًا لِذِي سَقَمِ
طَارَتْ هُنَاكَ وَجِسْمِي رَاحَ يَتْبَعُهَا ... كَيْمَا يُلَاقِيَ رُوحِي عِنْدَ مُلْتَزَمِ
لَمَّا رَأَى الْبَيْتَ عَادَتْ بِالْحَيَاةِ لَهُ ... وَقَالَتِ: ابْدَأْ بِهَذَا الرُّكْنِ فَاسْتَلِمِ
يَا لَيْتَنِي حَجَرٌ ثَاوٍ بِأَبْطَحِهِ ... إِذْ لَمْ أَكُنْ فِيهِ فِي الْعُبَّادِ وَالْخَدَمِ
لَا تَذْكُرِ الْيَوْمَ أَطْلَالًا وَلَا غَزَلًا ... وَمَا رَوَى شُعَرَاءٌ فِي قَرِيضِهِمِ
وَقُلْ لِرَبِّكَ: مَا فِي الْقَلْبِ غَيْرُكُمُ ... وِجْدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدُ كَالْعَدَمِ
لَمْ يَتْرُكِ الْعَرْشُ قِيدًا فِي الْفُؤَادِ وَلَا ... يُدْلِي الْقَرِيضُ بِسِرٍّ مِنْهُ مُنْكَتِمِ
مَتَى أَرَى الْحُجْبَ فِي خُلْدٍ قَدِ انْكَشَفَتْ ... فَيَذْهَلَ الْمَرْءُ عَمَّا فِيهِ مِنْ نِعَمِ
يَا عَاذِلَ الْقَلْبِ لَمَّا ذَابَ فِي بَشَرٍ ... فَفِي إِلَهِيَ لَا تَعْذِلْ وَلَا تَلُمِ
ظَنِّي جَمِيلٌ وَلَوْ قَصَّرْتُ فِي عَمَلِي ... وَالْعَفْوَ تَرْجُو إِلَهِي عَبْرَةُ النَّدَمِ
لَمَّا رَوَى النَّفْسَ فَيْضٌ لَسْتُ وَاصِفَهُ ... كَمَا رَوَتْ زَمْزَمٌ أَحْشَاءَ مُضْطَرِمِ
وَآذَنَ الرَّكْبُ بِي نَادَيتُ حَادِيَنَا: ... قُدْنَا إِلَى رَوْضَةِ الْمُخْتَارِ نَغْتَنِمِ
يَا وَيْحَهَا جَنَّةً فِي طَيْبَةٍ عَبِقَتْ ... مِنْ طِيبِ مَثْوَاهُ فِي بَانٍ وَفِي أَكَمِ

وَادْخُلْ هُنَالِكَ مِنْ بَابِ السَّلَامِ كَمَا ... تَأْتِي الْوُفُودُ كَرِيمَ الْقَوْمِ فِي حَشَمِ
وَاتْلُ السَّلَامَ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى خُلُقًا ... وَصَفْوَةِ الْخَلْقِ وَالْأَنْسَابِ وَالشِّيَمِ
يَا خَيْرَ مَنْ أَكْرَمَ الْأَضْيَافَ إِذْ نَزَلُوا ... وَدَامَ مَسْجِدُهُ مَنَارَةَ الْأُمَمِ
وَأَخْجَلَتْ يَدُهُ غَيْثَ السَّمَا كَرَمًا ... وَقِيلَ لِلْجُودِ: بِالْمُخْتَارِ فَأْتَمِمِ
أَتَيْتُ أَمْتَاحُ بَحْرَ النُّورِ مِنْ ظَمَئِي ... أَعُوذُ مِنْ عَوْدَتِي صَدْيَانَ لِلظُّلَمِ
كَالطِّفْلِ يَحْبُو لِحِضْنِ الْأُمِّ فِي لَهَفٍ ... وَلَا يَرَى فِي سِوَاهَا أَيَّ مُؤْتَمَمِ
لَكِنَّهُ إِنْ مَضَى عَامَاهُ مُنْفَطِمٌ ... وَإِنَّنِي مِنْكَ - دَهْرِي - غَيْرُ مُنْفَطِمِ
فَأَنتَ بَيْنَ جُفُونِي كَالْعُيُونِ وَفِي ... صَدْرِي كَقَلْبِي وَفِي مَجْرَى الْعُرُوقِ دَمِي
وَأَنْتَ رُوحٌ لِدُنْيَانَا، وَهَدْيُكَ إِنْ ... أُقِيمَ حَقًّا بِأَرْضٍ مَيْتَةٍ تَقُمِ
إِنِّي سَمِعْتُ نَعِيقًا حَوْلَ سُنَّتِهِ ... فَقُلْتُ لِلْبُومِ: إِنَّ الْأُذْنَ فِي صَمَمِ
هِمْتُمْ بِأَصْنَامِ فِكْرٍ مَارِقٍ حَدَثٍ ... تُضِلُّ عَنْ مُحْكَمٍ بِالزَّيْغِ وَالتُّهَمِ
تُبْدِي النَّصِيحَةَ لَكِنْ خَلْفَهَا رَقَدَتْ ... سَوْدَاءُ تَنْفُثُ فِي دِينٍ وَفِي حُرَمِ
تَرُومُ دُنْيَا أَبِي جَهْلٍ وَقَدْ حُجِبَتْ ... عَنْهَا الْخَزَائِنُ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ حِكَمِ
مَنْ سَارَ فِي دَرْبِهَا أَعْمَى فَسِيرَتُهُ ... مَرْوِيَّةٌ فِي حُلُولِ الْبَأْسِ وَالنِّقَمِ
ضَلَالُكُمْ حَالِكُ الظَّلْمَاءِ يَفْضَحُهُ ... نُورٌ يُوَجِّهُ قِلْعِي دَفَّتِي هِمَمِي
إِنْ ضَلَّتِ الْفُلْكُ فَالْحِيتَانُ تَتْبَعُنِي ... وَالصَّخْرُ حَوْلِيَ وَالْقُرْصَانُ مُغْتَنِمِي

عَجِبْتُ مِمَّنْ مَضَى بِالْفُلْكِ في ظُلَمٍ ... وَالنُّورُ في الشَّطِّ يَهْدِي سَالِكَ الظُّلَمِ
يَقُولُ: أَقْبِلْ وَلَا تَجْنَحْ فَتُهْلِكَهَا ... هُنَا النَّجَاةُ وَغَيْرِي مَوْرِدُ الْعَدَمِ
فَقَالَ: هَذَا مَنَارُ النَّاسِ مِنْ قِدَمٍ ... وَلَنْ أَسِيرَ كَسَيْرِ النَّاسِ فِي الْقِدَمِ
وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ هَدْيٌ لِيُرْشِدَهُ ... مِنْ بَعْدِ مَا جَاوَزَ الأَنْوَارَ لِلْعَتَمِ
فَحطَّمَ الصَّخْرُ في الظَّلْمَاءِ مَرْكِبَهُ ... وَلَا يُسَبِّحُ فِي أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ
يَا أُمَّةً قَامَ دَاعِيهَا لِيُوقِظَهَا ... مِنَ الرُّقَادِ، فَنَادَى صَاحِبَ الْعَلَمِ
انْهَضْ أُخَيَّ كَفَانَا مَا بِنَا أَلَمَا ... أَلَا تُحِسُّ لِطُولِ النَّوْمِ بِالأَلَمِ
فَالذِّئْبُ فِي كُلِّ أَوطَانِي مَخَالِبُهُ ... يَعْدُو عَلَى شَارِدِ الأَغْنَامِ وَالنَّعَمِ
في أَشْهُرِ الْحِلِّ تَرْجُوهُ السَّلامَ وَقَدْ ... (أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي في الأَشْهُرِ الْحُرُمِ)
وَلَوْ يُسَيِّرُ جَيْشَ الْبَغْيِ تَقْذِفُهُ ... بِكُلِّ قُنْبُلَةٍ مِنْ أَوْجَعِ الْكَلِمِ!
يَا حَسْرَتَاهُ عَلَى الأَبْطَالِ إِذْ رَحَلُوا ... وَبُدِّلَ النَّاسُ مِنْهُمْ كُلَّ مُنْهَزِمِ
مِشْكَاتُنَا أَظْلَمَتْ فِيهَا زُجَاجَتُهَا ... مِصْبَاحُهَا لِوَضِيءِ الزَّيْتِ جِدُّ ظَمِي
فَهَلْ تُعِيدُ زَمَانَ الْعِزِّ نَشْهَدُهُ ... أَمْ قَبْلَ نَفْخَةِ إِسْرَافِيلَ لم تَقُمِ؟
فَقَامَ مِنْ فَزَعٍ يُحْيِي أَمَانَتَهُ ... قَدْ حَانَ أَنْ يَضَعَ الْخَفَّاقَ في الْقِمَمِ
وَأَوْقَدَتْ شُعْلَةُ الْهَادِي مَنَارَ هُدًى ... وَأَيْقَظَ النُّورُ قَوْمِي مِنْ سُبَاتِهِمِ
قَامُوا يَفُكُّونَ قَيْدَ الذُّلِّ عَنْ عُنُقٍ ... وَأَخْرَجُوا عَنْ فَمٍ مَا فِيهِ مِنْ لُجُمِ

وَأَصْبَحُوا بَعْدَ أَفْرَاسٍ فَوَارِسَهَا ... عَادُوا كِرَامًا وَعَادُوا سَادَةَ الأُمَمِ

يَا فَرْحَتَاهُ بِعِيدٍ بَعْدَ صَوْمِهِمُ ... دَهْرًا عَنِ النَّصْرِ وَالأَعْدَاءُ لم تَصُمِ

كَمْ جَرَّعُونَا كُؤُوسَ الذُّلِّ أَزْمِنَةً ... فَالْيَوْمَ نَسْقِيهِمُ أَضْعَافَ صَاعِهِمِ

فَنَذْبَحُ الذِّئبَ يَوْمَ الْعِيدِ مِنْ فَرَحٍ ... ونَستَمِيلُ شَرُودَ الشَّاءِ لِلْغَنَمِ

لا لِلتَّفَرُّقِ، كُلُّ الْمُسْلِمِينَ أَتَوْا ... وَأَسْلَمُوا كُلَّ رَايَاتٍ إِلى الْعَلَمِ

وَبَعْدَمَا هِيَ أَوْطَانٌ مُمَزَّقَةٌ ... صَارَتْ مُوحَّدَةً مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ

لَمْ يَبْقَ فَقْرٌ وَلا جُوعٌ وَلَا ظَمأٌ ... تَقَاسَمُوا كُلَّ قُوتٍ فِي جِرَابِهِمِ

وَطَهَّرُوا كُلَّ أَرْضٍ مِنْ مَخَالِبِهَا ... صَانُوا أَمَانَةَ دِينٍ فِي بِلَادِهِمِ

عَسَى إِذَا قَامَ كُلٌّ يَوْمَ مَبْعَثِنَا ... يَمْشِي إلى الْعَرْضِ فَرْدًا مُلْقِيَ السَّلَمِ

يَأْتِي إِلَيْهِ وَقَدْ أَدَّى أَمَانَتَهُ ... فَلا يَعَضُّ عَلَى أَيْدٍ مِنَ النَّدَمِ

يَا رَبِّ صَلِّ وَسَلِّمْ كُلَّمَا طَلَعَتْ ... شمسٌ عَلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى وفي الحَرَمِ

يَا رَبِّ صَلِّ وَبَارِكْ كُلَّمَا غَرَبَتْ ... شمسٌ عَلَى الْكُفْرِ ذِي خِزْيٍ وَذِي عُقُمِ

يَا رَبِّ سَلِّمْ وَبَارِكْ مَا بَكَى وَدَعَا ... فِي الْبَيْتِ مُلْتَزِمٌ بِخَيْرِ مُلْتَزَمِ

عَلَى خَلِيلِكَ خَيْرِ الخَلْقِ سَيِّدِنَا ... وَصَفْوَةِ اللهِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ نَسَمِ

مِنْ أَسْرَارِ دِلالةِ السِّيَاقِ في الخِطَابِ القُرآنيِّ

معَ الخطابِ القُرآنيِّ تقفُ النّفسُ البشريّةُ التي فُطِرت على قَبولِ الحقِّ والإيمانِ به وقفةَ إجلالٍ وتعظيمٍ وتقديسٍ، حيث يحملُ بخصائصِه المُتفرّدةِ وأسلوبِه المُميّزِ ودَلالاتِه المُتنوّعةِ جميعَ الأدواتِ والمعالمِ التي تتّجهُ إلى إدارةِ دفّةِ الحوارِ بكلِّ دقّةٍ واقتدارٍ حسبَ ما يقتضي المقامُ عن طريقِ مجموعةٍ منَ الألفاظِ يَبدو بيْنَها التّآلفُ والتّناسبُ والانسجامُ الذي تألفُه الأسماعُ، ويُحبّ دائمًا أن يلهجَ به اللّسانُ، كلُّ لفظٍ قد تكونُ له مجموعةٌ منَ الدّلالاتِ في حالةِ الاستقلالِ والانعزالِ، أو ما يُسمّى في عُرفِ أهلِ اللّغةِ بالدّلالةِ المُعجميّة، ولا يمكنُ أن تُستنطقَ دلالتُه بصورتِه النّهائيّةِ الخاصّةِ إلّا إذا وضعْتَه في داخلِ التّركيبِ الذي يَهديكَ إلى التّفسيرِ الرّشيدِ والقولِ السّديدِ وهو ما يُسمّى بدلالةِ السّياقِ، التي تتعرّفُ عليها من خلالِ ما يُحيطُ بالنّصِّ من سوابقَ ولواحقَ أو كلماتٍ وجُملٍ وعباراتٍ وهو ما يُسمّى بالسّياقِ اللُّغوي، أو السّياقِ الخارجيِّ وهو ما يُحيطُ به من ظروفٍ ومُلابساتٍ، ومعهما تُستبعدُ كلُّ الاحتمالاتِ.



أ. د عادل محمد إبراهيم
رئيس قسم أصول اللغة/ كفر الشيخ - جامعة الأزهر

وهذه الدّلالةُ هي ما أعانت أهلَ التّفسيرِ في الاكتشافِ والفهمِ والاستنتاجِ والتّعليلِ والتّرجيحِ، وهذا ما يَندرجُ تحت ما يُسمّى بتفسيرِ القرآنِ بالقرآنِ، فتجدُ هذا التّماسُكَ والتّناغُمَ العجيبَ بين الألفاظِ ودلالاتِها الذي تَدهشُ منه العقولُ يجعلُ مَنْ يريدُ أن يصلَ إلى الحقيقةِ بصدْقٍ ويقينٍ يُذعنُ ويُقرُّ ويعترفُ بأنّه كلامُ ربِّ العالمين، الذي لا يمكنُ أن يصلَ إلى إعجازِه أربابُ البيانِ، وفُصحاءُ كلِّ زمانٍ، ومع التّنوُّعِ في الخطابِ وتعدُّدِ ألوانِ التّوجيهِ واختلافِ الموضوعاتِ والصُّورِ تجدُ الفصاحةَ والبيانَ في كلِّ مقامٍ، يظهرُ لك فيه عالَمٌ مَنَ الدّلالاتِ لا يمكنُ أن يبوحَ لك بأسرارِه إلّا إذا كنتَ صافيَ الذّهنِ مُتجرّدًا من بقايا الجاهليةِ التي تَحجبُ عنك الرُّؤى وتدفعُك إلى القولِ بغيرِ دليلٍ، ومع بيانِ دلالةِ السّياقِ لإخــراجِ صورةٍ متكاملةِ الأركانِ تأتي مجموعةٌ مِنَ الآياتِ الكريمةِ في هذا المقالِ أقفُ فيها مع تلك التّوجيهاتِ التي تُخالفُ العُرفَ السّائدَ عند بعضِ الفئاتِ التي يتّجهُ فيها خطابُ القرآنِ الكريمِ إلى الخصوصِ والتّقييدِ، وتُحاكمُ كلَّ من يسمّي الأشياءَ بكلِّ مُسمّياتِها، ويحاولُ أن يجدَ تَسْويغًا لِما يفعلُه حتى يُحقّقَ ما يريدُ وما تَهواه نفسُه دون إثباتٍ، فليس كلُّ ماتُبصرُه العينُ يَبدو حقيقةً، وليس كلُّ ما تَسمعُه الأذنَ واقعًا لا خلافَ فيه، وكذلك القلبُ يتقلّبُ بين عشيةٍ وضُحاها، فقد تُخطئُ فيما تظنُّه صوابًا، وقد تُصيبُ فيما تظنُّه خطأً، لذلك كان العملُ ليس على ماتتوارثُه الأجيالُ من معلوماتٍ، وما تَفرضُه الحياةُ من عناوينَ، وإنّما على عقلٍ سليمٍ يَهديك إلى سبيلِ الرّشادِ، ويُصحّحُ لك ما وقعتَ فيه من أوهامٍ حتى وإن خالفتَ كلَّ التّوقُّعاتِ طِبقًا لأحكامِ الدِّين، حتى لا يركنَ إلى المفاهيمِ الخاطئةِ مَنْ يُقدّمون الأعذارَ دون بيّنةٍ أو دليلٍ، ومن ذلك ما يتوهّمُه بعضُ النّاسِ من أهلِ الضّلالِ الذين حادوا عنِ الصّراطِ المستقيمِ أنّ كثرةَ



النِّعَم دليلُ الكرمِ والرِّضا أو عنوانُ محبّةِ الله، أو أنّها دليلُ الاصطفاءِ والتّكريمِ والاختيارِ ورِفعةِ المنزلةِ وخصوصِ المكانةِ في الدّنيا، وأنّ هذا هو المدخلُ لعالَمِ الخُلودِ في جنّاتِ النّعيمِ، فيَسبَحون في عالَمٍ منَ الأوهام، ويَعيشون في جزيرة منَ الخيالِ، ولا يدري هؤلاء أنَّ ما هم فيه إنّما هو من بابِ الابتلاءِ والاستدراجِ وزيادةِ الرّصيدِ من عالَمِ الخطايا والذّنوبِ، وليس من بابِ المُسارعةِ في عالَمِ الخَيرات كما يَظنُّون، لذلك كانتِ النّتيجةُ عدمَ الشّعورِ بقيمةِ ما أُهديَ إليهم، ورفْضَ المِنحةِ التي تفضّلَ بها الخالقُ العظيمُ عليهم، فانتهتْ بهمُ الحياةُ ولسانُ حالهم يقول ليْتَها ما بدأتْ، أو كنَّا نَسْيًا مَنْسِيًّا، فالقدرُ قد لا يُمهلُك لاستدراكِ ما فات، وتصحيحِ ما وقعتَ فيه من أخطاء، فانْتبهْ وتذكّرْ فإنَّ اللّحظةَ التي تمرُّ لَنْ تعودَ.

وهذا التّمهيدُ الذي قدّمتُه في عدّة سطورٍ أوجزَتْه عبارةٌ قرآنيّةٌ وصاغتْهُ في صورةِ النّفيِ والسّلْبِ تذييلا على مقدّماتِ أهلِ الضّلال واعتقاداتِهم وكلِّ مَنْ سعوا في توطين الباطل ونبْذِ الحقِّ في قوله تعالى: ﴿نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [المؤمنون :56]، بعد أن ظهرت في بداية الآيات صورةُ الاستفهام التي تحملُ طابَعَ الإنكار، ثمّ عبارةٌ أخرى تذييلاً أيضًا لبيان الحقائقِ والمُسلَّمات، في صورةِ الإثباتِ والإيجابِ في قوله تعالى: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [الأنبياء:90]؛ وبذلك تجعلُ العقلَ يفكّرُ ألفَ مرّة قبل أن يعتقدَ خلافَ الصّوابِ، أو أن يسعَى إلى عالَمٍ منَ السّرابِ يُعرّضُ فيه النّفسَ للهَلكةِ ويَجني عليها من حيث يدري ولا يُحقّقُ فيه الغايةَ؛ لأنَّ الحقَّ له أماراتٌ تشيرُ إليه ولكنَّ أكثرَ النّاس لا يعلمون، والخطابُ للنّبيّ صلّى الله عليه وسلم في أن يبلِّغَ هؤلاء بكذبِ ما يَدَّعون وزيْفِ ما يَصنعون وبيانِ حقيقةِ أهل الإيمانِ والتّوحيد، بدليل قولِه تعالى قبل موطن الشّاهد: ﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: 54].

ومع العبارةِ الأولى نبدأُ بقراءةِ الآياتِ منَ البدايةِ حتى تتّضحَ دلالةُ المقام، قال تعالى في مُحكم كتابه الكريم: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [المؤمنون: 55 – 56].

فالخطابُ القرآنيُّ يشيرُ بوضوحٍ إلى هذه النّفوسِ التي سيطرَ عليها ضَلالُ التّفكير وغيابُ تقديرِ الأمور، فظنّوا أنَّ كثرةَ النِّعَم دليلُ الكرمِ والاصطفاءِ، وأنَّ الإمدادَ منَ الله لهم بالمال والبنين دليلُ الرِّفعةِ والعزَّةِ، فظهرت تلك العبارةُ التي جاءت تذييلاً على مُعتقدِهم حتى تطمسَ هذه المعالمَ التي لا أساسَ لها ولا اعتبارَ، وتُقدِّمَ الصّورةَ الصّحيحةَ

﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ٥٦﴾

التي ينبغي أن يَتربَّى عليها الجيلُ المسلمُ، من خلال الأسُسِ والمعاييرِ والأدلّةِ الصّحيحةِ حتى يَسْلمَ العقلُ من فكرة الظّنِّ التي ربّما لا تتوافقُ مع الميزانِ الصّحيحِ أو تُخالفُه تمامًا، فربّما تَفرضُ الأعرافُ والتّقاليدُ واقعًا لا علاقةَ له بصحيحِ الدِّين، ومع تعاقُبِ الأجيالِ يبدو وكأنّه حقيقةٌ، وما يزالُ يَنتقلُ من جيل إلى جيل حتى يَثبتَ في أذهان مَنْ يَرغبون في تغييرِ الحقائقِ وفرْضِ الأوهامِ والأساطيرِ، لذلك جاءتِ الآيةُ الكريمةُ بهذا التّعقيب: ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ في هذا المقام إنكارًا وتوبيخًا لِما قدِ اعتقدوه وسلّمُوا به، وأقوالُ أهلِ اللّغةِ بدايةٌ ومقدّمةٌ لترجمةِ دلالةِ السّياقِ.

فـ«السّين والرّاءُ والعينُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على خلافِ البُطء(1)».

والمُسارعةُ: المبادرةُ إلى الشّيء، كالتّسارعِ والإسراعِ، قال اللّه عزَّ وجَلَّ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: 133] (2)».

والإسراعُ هنا يرتبطُ بالخيرات على حسبِ ما يَعتقدون، و«الخَيْرُ: ما يَرغبُ فيه الكلُّ، كالعقل مثلاً، والعدلِ، والفضلِ، والشّيء النّافعِ، وضدُّه: الشّرُّ(3)».

ومع الرَّبطِ بين الألفاظِ وفهمِ حقيقةِ الحوارِ في ضوءِ الآياتِ تأتي دلالةُ السّياقِ كما ذكرَ أهلُ التفسير: «أيحسبُ هؤلاء الأحزابُ الذين فرّقوا دينَهم زُبرًا، أنَّ الذي نُعطيهم في عاجل الدّنيا من مالٍ وبنينَ ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾ يقول: نسابقُ لهم في خيراتِ الآخرةِ، ونُبادرُ لهم فيها ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ يقول تعالى ذِكْرُه تكذيبًا لهم: ما ذلك كذلك، بل لا يَعلمون أنَّ إمدادي إيّاهم بما أمدَّهم به من ذلك إنَّما هو إملاءٌ واستدراجٌ لهم(4)».

وكأنَّ الله عزَّ وجلَّ يشيرُ بذلك إلى أنَّ هؤلاء لم يُقدّروا قيمةَ النِّعَم ولم يَعرفوها حقَّ المعرفة، ولم يَشعروا بحجْمِ ما وهبَه الله لهم فانحرف بهم التّفكيرُ وزلّت بهم الأقدامُ.

وعلى ذلك، فهذه النِّعَمُ ليست من قبيل التَّكريم في الدّنيا كما يظنّون، وليست تمهيدًا لنعيمِ الآخرة، فهم لم يُبصروا الحقيقةَ ولم يَشعروا بها، فالظّنُّ في غير محلِّه، إنّما المسارعةُ إلى الخيراتِ لمَنْ تنطبقُ عليه الشّروطُ التي ذكرتْها الآياتُ الآتيةُ تعقيبًا على ما سبقَ، وما يزالُ توجيهُ الخطابِ للنّبيِّ صلى الله عليه وسلم في أن يُنبّهَ هؤلاء إلى الصّوابِ حتى يزيلَ ما في عقولهم من لَبْس وما في قلوبهم من رانٍ، اعتمادًا على الأدلّة والبراهينِ منَ الأقوال التي تشهدُ بصدقِ حديثِهم والأعمالِ التي تُترجمُ واقعَ حياتِهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون 57-61].

فقد تضمّنتِ الآياتُ الكريمةُ عدّةَ شروطٍ لمَنْ يُسارعون في الخيرات على حقٍّ، ليس من قَبيلِ القولِ الذي لا يَعقبُه عملٌ، أو هزُّ الرُّؤوس دون اقتناعٍ، بل هي واقعٌ حيٌّ يَسعون إليه آناءَ اللّيل وأطرافَ النّهار بجدٍّ ومثابرةٍ واجتهادٍ، وكأنّهم في ميدان السّباقِ والتّنافسِ، يريدُ كلٌّ منهم أن يَحظَى بالمركزِ الأوّلِ أو ضمْنَ أفضلِ المراكزِ

> **تضمّنتِ الآياتُ الكريمةُ عدّةَ شروطٍ لمَنْ يُسارعون في الخيرات على حقٍّ، ليس من قَبيلِ القولِ الذي لا يَعقبُه عملٌ، أو هزُّ الرُّؤوس دون اقتناعٍ، بل هي واقعٌ حيٌّ يَسعون إليه آناءَ اللّيل وأطرافَ النّهار بجدٍّ ومثابرةٍ واجتهادٍ.**

على أقلِّ تقديرٍ في الفوزِ برضوانِ الله والدّخولِ في معيّتِه.

الشّرطُ الأوّلُ: من خشيةِ ربِّهم مُشفقون

كلماتٌ تتعانقُ من أجلِ إيصالِ الدّلالةِ الصّحيحةِ بالطّرقِ المشروعةِ دون غموضٍ وإيهامٍ، والصُّورةُ في هذا المقامِ لم تأتِ بالخشيةِ فقط وإنّما أردف بها الإشفاقَ الذي تظهرُ من خلالِه المحبّةُ والرّضَا والعلمُ، فالتّعبيرُ بالخشيةِ في هذا الباب إنَّما هو أمارةٌ ودليلٌ على هذا التّعظيمِ الذي يَغشى هذه القلوبَ فيَحْيون في ظلاله مع حياةٍ هادئةٍ آمنةٍ مُستقرّةٍ تَهبُ السّعادةَ لمَنْ تعرَّفَ عليها وسلكَ دروبَها، فــــ"الخَشْيَةُ: خوفٌ يشوبُه تعظيمٌ، وأكثرُ ما يكونُ ذلك عن علمٍ بما يُخشى منه، ولذلك خصّ العلماءُ بها في قوله:﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: 28](5)».

فالخوفُ هنا ليس من قَبيلِ الدّاءِ الذي يُسيطرُ على صاحبِه حتى يدفعَه إلى عالَمٍ منَ الهمومِ والأحزانِ، إنّما هو الخوفُ الذي يَرتبطُ بالإشفاقِ،" والإشفاقُ: عنايةٌ مختلطةٌ بخوفٍ؛ لأنَّ المُشْفِقَ يُحبُّ المشفقَ عليه ويخافُ ما يلحقُه، قال تعالى: ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 49]، فإذا عُدّي (بمن) فمعنى الخوفِ فيه أظهرُ، وإذا عُدّي بـــ (في) فمعنى العنايةِ فيه أظهرُ. قال تعالى:﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ [الطور: 26](6)».

ولعلماءِ التّفسيرِ أقوالٌ في ذكر الإشفاقِ بعدَ الخشيةِ في هذا السّياقِ، ذكرَها الإمامُ الرّازي بقوله: «والإشفاقُ يتضمّنُ الخشيةَ مع زيادةِ رقّةٍ وضعفٍ، فمنهم من قال: جمعَ بينهما للتّأكيد، ومنهم من حملَ الخشيةَ على العذاب، والمعنى الذين هم من عذاب ربّهم مُشفقون، وهو قولُ الكلبي ومُقاتلٍ، ومنهم من حمل الإشفاقَ على أثرِه، وهو الدّوامُ في الطّاعةِ، والمعنى الذين هم من خشيةِ ربّهم دائمون في طاعتِه جادّون في طلب مرضاتِه. والتّحقيقُ أنَّ مَنْ بلغَ في الخشيةِ إلى حدِّ الإشفاقِ وهو كمالُ الخشيةِ كان في نهاية الخوفِ من سخَطِ الله عاجلاً ومن عقابِه آجلاً فكان في نهاية الاحترازِ عنِ المعاصي(7)».

كلماتٌ تتعانقُ من أجلِ إيصالِ الدّلالةِ الصّحيحةِ بالطّرقِ المشروعةِ دون غموضٍ وإيهامٍ، والصُّورةُ في هذا المقامِ لم تأتِ بالخشيةِ فقط وإنّما أردف بها الإشفاقَ الذي تظهرُ من خلالِه المحبّةُ والرّضَا والعلمُ.

لعلماءِ التّفسيرِ أقوالٌ في ذكرِ الإشفاقِ بعدَ الخشيةِ في هذا السّياقِ، ذكرَها الإمامُ الرّازي بقوله: «والإشفاقُ يتضمّنُ الخشيةَ مع زيادةِ رقّةٍ وضعفٍ.



فليس الإشفاقُ بعدَ الخشيةِ على سبيل التّرادفِ إنّما هو من قَبيلِ عِلْمِ الشَّخصِ بما يَخشاه ويَخافُه، فلا يبني خوفَه من مجهولٍ أو سرابٍ لا يعلمُ حقيقتَه، وهذا يأتي من قَبيلِ كمالِ الخشية لله، وبذلك أفادت معنًى زائدًا لا تُفيدُه الخشيةُ وحدَها، وعلى ذلك فمَنْ يسارعُ إلى الخيراتِ ويَبتغي بذلك مَرضاةَ ربِّه يعملُ الطّاعاتِ ويَحرصُ عليها ويَتزوّدُ منها قدْرَ المُستطاع، وفي الوقت نفسِه يَخشى عقابَ ربّه ويَحذرُ من عذابِه.

الشّرطُ الثّاني: بآياتِ ربّهم يؤمنون

الإيمانُ بمحمّد صلّى الله عليه وسلم وبكلِّ ما بلغَه عن ربِّه، والإيمانُ بالقرآن الكريمِ وبكلِّ ما جاء به والتّصديقُ بذلك بإخلاصٍ بدايةُ الصّلاح، والخروجُ من نفق الرّياءِ والنّفاقِ،«والآيةُ: هي العلامةُ الظّاهرةُ، وحقيقتُه لكلِّ شيءٍ ظاهرٍ، وهو ملازمٌ لشيءٍ لا يظهرُ ظهورَه، فمتى أدرك مدركٌ الظّاهرَ منهما علمَ أنّه أدركَ الآخرَ الذي لم يُدركْه بذاتِه، إذ كان حُكمُهما سواءً، وذلك ظاهرٌ في المحسوساتِ والمعقولاتِ، فمن علمَ ملازمةَ العلمِ للطّريقِ المنهجِ ثم وجدَ العلمَ علِمَ أنّه وجدَ الطّريقَ، وكذا إذا علِمَ شيئًا مصنوعًا علِمَ أنّه لا بدَّ له من صانع(8)».

وأمّا «وآمن: إنّما يقالُ على وجهين: – أحدُهما مُتعدٍّ بنفسه، يقال: آمنتُه، أي: جعلتُ له الأمنَ، ومنه قيل لله: مؤمن. – والثّاني: غير مُتعدٍّ، ومعناه: صار ذا أمن. والإيمانُ يُستعمل تارةً اسمًا للشّريعةِ التي جاء بها محمّدٌ عليه الصّلاةُ والسّلام، وعلى ذلك﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: 69]، ويوصفُ به كلُّ من دخلَ في شريعته مُقرًّا بالله وبنُبوّته. قيل: وعلى هذا قال تعالى:﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[يوسف: 106]. وتارةً يُستعملُ على سبيل المدح، ويرادُ به إذعانُ النّفس للحقِّ على سبيل التّصديقِ، وذلك باجتماع ثلاثةِ أشياءَ: تحقيقٍ بالقلب، وإقرارٍ باللسان، وعملٍ بحسب ذلك بالجوارح، وعلى هذا قولُه تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: 19]. ويُقال لكلِّ واحدٍ منَ الاعتقاد والقولِ الصّدقِ والعملِ الصّالح: إيمانٌ. قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: 143]،أي: صلاتَكم(9)».

فالإيمانُ بكُتبِ الله والتّصديقُ بها بصدْقٍ ويقينٍ، والإيمانُ بآياته في كونِها الدّالّةَ على عظمتِه وقُدرتِه، لَهُوَ دليلُ الوصولِ إلى توحيدِه ووجودِه، ومن ثَمّ امتثالُ أوامرِه واجتنابُ نواهيه، فـ«الصّفةُ الثّانية قولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾، واعلم أنَّ آياتِ الله تعالى هي المخلوقاتُ الدّالّةُ على وجودِه والإيمانُ بها هو التَّصديقُ بها، والتّصديقُ بها إن كان بوجودِها فذلك معلومٌ بالضّرورة، وصاحبُ هذا التّصديقِ لا يستحقُّ المدحَ وإن كان بكونِها آياتٍ ودلائلَ على وجودِ الصّانعِ فذلك ممّا لا يُتوصّلُ إليه إلّا بالنّظر والفكرِ وصاحبُه لا بدَّ وأن يصيرَ عارفًا بوجودِ الصّانعِ وصفاتِه، وإذا حصلتِ المعرفةُ بالقلب حصلَ الإقرارُ باللّسان ظاهرًا، وذلك هو الإيمانُ(10)».

الشّرطُ الثّالثُ: بربّهم لا يشركون

ربُّنا سبحانَه وتعالى واحدٌ في ذاته وصفاتِه وأفعالِه،لا شريكَ له في مُلكِه وتدبيرِه، ولا شبيهَ له ولا نظيرَ، فـ«الرَّبُّ في الأصل: التّربيةُ، وهو إنشاءُ الشّيء حالاً فحالاً إلى حدِّ التّمام، يقال: رَبَّهُ، وربّاه ورَبَّبَهُ. وقيل: (لأن يربّني رجلٌ من قريشٍ أحبُّ إليّ

> **الإيمانُ بكُتبِ الله والتّصديقُ بها بصدْقٍ ويقينٍ، والإيمانُ بآياته في كونِها الدّالّةَ على عظمتِه وقُدرتِه، لَهُوَ دليلُ الوصولِ إلى توحيدِه ووجودِه.**

> **الإيمانُ بمحمّد صلّى الله عليه وسلم وبكلِّ ما بلغَه عن ربِّه، والإيمانُ بالقرآن الكريم وبكلِّ ما جاء به والتّصديقُ بذلك بإخلاصٍ بدايةُ الصّلاح، والخروجُ من نفق الرّياءِ والنّفاقِ.**

من أن يربّني رجلٌ من هوازن). فالرَّبُّ مصدرٌ مُستعارٌ للفاعل، ولا يقالُ الرَّبُّ مطلقا إلّا لله تعالى المتكفّلِ بمصلحةِ الموجوداتِ، نحو قوله جَلَّ جَلالُهُ: ﴿بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾ [سبأ: 15]... وبالإضافةِ يقالُ له ولغيره، نحو قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2]، ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: 126]، ويقال: رَبُّ الدّارِ، ورَبُّ الفرَس لصاحبِهما، وعلى ذلك قولُ الله تعالى:﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: 42] (11)».

وأمّا «(الشِّرْك) النَّصِيبُ جمعُ أشراك واعتقاد تعدّدِ الآلهةِ(12)».

«وشِرْكُ الإنسان في الدّين ضربان: أحدُهما: الشّركُ العظيمُ، وهو: إثباتُ شريكٍ لله تعالى. يقال: أَشْرَكَ فلانٌ باللّه، وذلك أعظمُ كفرٍ. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: 48]،... والثّاني: الشّركُ الصّغيرُ، وهو مراعاةُ غيرِ الله معه في بعض الأمورِ، وهو الرّياءُ والنّفاقُ المُشارُ إليه بقوله:﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الأعراف: 190](13)».

فاللّه وحدَه المستحقُّ للعبادةِ، ظاهرًا بإعلان التّوحيدِ، وباطنًا بإخلاصِ النّيّةِ وتطهيرِها من جميعِ الشَّوائبِ التي تعوقُ مسيرةَ الصّدقِ واليقينِ، فـ"الصّفةُ الثّالثةُ قولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾، وليس المرادُ منه الإيمانَ بالتّوحيدِ ونَفْيَ الشّريكِ لله تعالى؛ لأنَّ ذلك داخلٌ في قوله



جَلَّ جَلالُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾، بل المرادُ منه نفْيُ الشّركِ الخفيِّ وهو أن يكون مُخلصًا في العبادةِ لا يُقْدمُ عليها إلّا لوجهِ الله تعالى وطلبِ رضوانِه(14)».

الشّرطُ الرّابعُ: يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة

الإيمانُ باللّه له علاماتٌ وإشاراتٌ من أهمِّها الإنفاقُ في سبيلِ الله دون شُبهةٍ من رياءٍ أو نفاقٍ، مع الخوفِ من عدمِ القَبولِ وردِّ الأعمال، «والإيتاءُ: الإعطاءُ، وخصَّ دَفْعُ الصّدقةِ في القرآن بالإيتاءِ نحوَ: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: 277]، ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ﴾ [الأنبياء: 73](15)».

فليس الإنفاقُ فحسبُ حتى لا يغترَّ مَنْ صاحبَتْهم الدّنيا وأحسنت صُحبتَهم على حساب الآخرةِ فأنفقوا دونَ يقينٍ، بل يَصحبُه الوَجَلُ الذي يَشعرون معه بالنّقص والتّقصيرِ مهما كان حجمُ ما يُقدّمون فيُعدّون العُدّةَ قبل اللّقاءِ الأعظمِ بربِّ العالمين، و«الوَجَلُ: استشعارُ الخوفِ. يُقال: وَجِلَ يَوْجَلُ وَجَلًا، فهو وَجِلٌ. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنفال: 2](16)».

فالإنفاقُ ابتغاءَ مَرضاتِ الله دليلٌ على صدقِ الإيمانِ وكمالِ الخشيةِ لله، فمن يخالفُ هواه وفِطرتَه التي جُبلت على حبِّ المال فيُنفقُه طواعيةً واختيارًا فهو من هؤلاء الذين يُسارعون في الخيرات، فـ «الصّفةُ الرّابعةُ قولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ معناه: يُعطون ما أعطوا فدخلَ فيه كلُّ حقٍّ يلزمُ إيتاؤه سواءٌ كان ذلك من حقِّ الله تعالى كالزّكاة والكفارةِ وغيرِهما أو من حقوقِ الآدميّين كالودائعِ والدّيونِ وأصنافِ الإنصافِ والعدْلِ وبيّنَ أنَّ ذلك إنّما ينفعُ إذا فعلوه وقلوبُهم وَجلةٌ؛ لأنَّ من يُقْدمُ على العبادةِ وهو وجلٌ من تقصيرِه وإخلالِه بنقصانٍ أو غيرِهِ فإنّه يكونُ لأجل ذلك الوجلِ مُجتهدًا في أن يُوفّيَها حقَّها في الأداءِ(17)».

وعلى هذا فالسّبقُ لهؤلاء المؤمنين الذين تحقّقتْ فيهم هذه الشّروطُ، "﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾ يعني خائفين من عذابه ...﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ يعني بمحمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم والقرآنِ، يُصدّقون قولَهُ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾ يعني لا يُشركون معه غيرَه ولكنّهم يُوحِّدون ربَّهم، ثم قال:﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ يعني يُعطون ما أعطَوا منَ الصّدقة والخير، ﴿وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ يعني خائفةٌ. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يعني يُبادرون في الطاعات منَ الأعمالِ الصّالحةِ ﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ يعني هم لها عاملون يعني الخيراتِ(18)».

فالآياتُ الكريماتُ إذًا تُبيّنُ الحقائقَ وتَدحضُ الشُّبهَ والأوهــامَ من خلال توجيهِ الخطابِ للنّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم في أن يُعْلِمَ هؤلاء الذين سيطرتْ عليهم بعضُ الأفكارِ الكاذبةِ والمفاهيمِ المزيّفةِ، فتُنكرُ عليهم هذا المعتقدَ بالأدلّةِ والبراهينِ، فالإمدادُ بالمالِ والبنينَ ليس من باب المُسارعةِ إلى الخيراتِ والتّعجيل ببيانِ محبّتِهم وعِظمِ منزلَتِهم ورفعةِ مكانتِهم، بل قد يكونُ هذا من باب الإملاءِ والاستدراجِ من أجل أن يَزدادوا في غيِّهم ومعاصِيهم، حيث فقدوا نعمةَ الشّعورِ والتّمييز بين الأشياءِ، فالفوزُ بالجنانِ لا يُقاسُ بمقياسِ المالِ والبنين وإنّما بمقياسِ كمالِ الدّين والعملِ على زيادتِه في كلِّ وقتٍ وحينٍ.

فالنّفسُ في بعض الأوقاتِ قد تَحيدُ عنِ الطّريق المستقيم وتسلكُ غيرَ سبيلِ الفائزين، وليس معنى ذلك أن تظلَّ على ذلك وتُقيمَ عليه قيامَ العابدين القانِتين، بل لا بدَّ من وقفةِ ندمٍ تذكّرُها وتعود بها إلى رحاب الصّالحين، فالمالُ والبنونَ نعمتانِ يَستوجبان الشّكرَ والإحسانَ، لا الفخْرَ والاعتزازَ، فما حدثَ إنّما هو من باب الخلْطِ في التّفكيرِ واستبدالِ الحسنِ بالسّيئ، فالسّعادةُ لم تكن يومًا بالمال والبنينَ ولم تكن دليلَ الخيريّةِ والنّعمةِ بل منِ اجتمعت فيه صفاتُ الإيمانِ منَ الخوفِ منَ الله وعذابِه وتعظيمِ سُلطانِه والإيمانِ بآياتِه وعدمِ الشّركِ به، وهذا يَستوجبُ العملَ دائمًا والتّلبّسَ بكلٍّ ما هو مفيدٌ ونافعٌ عن طريق طاعتِه، والبُعدِ عن كلِّ ما هو مُؤذٍ وضارٌّ، وطُرُقِ أبوابِ عِصيانِه، فالطّاعةُ هي سبيلُ النّجاةِ والحياةِ والعصيانُ سبيلُ الهلاكِ والموتِ، ثمّ القيامُ بما فرضَه الله عليهم مِنْ أداءِ حقِّ الله تعالى أو حقوقِ النّاسِ بإخلاصٍ ويقينٍ، ومع كلِّ ذلك يخافون من عدمِ القَبولِ، هؤلاء همُ الذين يُسارعون في الخيراتِ وهم لهم سابقون، وعلى ذلك فما يَعتقدُه أهلُ الضّلال من أنَّ عطاءَ الله لهم في الدّنيا من مالٍ وبنينَ حبًّا وتكريمًا وإحسانًا لهم ومسارعةً في طلبِ وُدّهم فِكْرٌ معكوسٌ واتّجاهٌ مُضادٌّ لِما تُقرّره آياتُ القرآن الكريمِ بل هو استدراجٌ لهم وزيادةٌ في معاصِيهم ولكنَّهم لا يَشعرون ولا يُفكّرون، وعندما تصلُ إلى أذهانِهم هذه الآياتُ ربّما تعودُ إليهم العقولُ فيتدبّرون ويُقدّرون قيمةَ ما أنعمَ الله عليهم، فالمؤمنُ دائمًا يحذرُ من غضبِ الله، وأمّا الكافرُ فيأمنُ عذابَه، وشتّان بين مَنْ يَسمعُ فيُطيعُ فيَسعدُ، ومن يَسمعُ فيَعصي فيَشقَى.

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس. تحقيق.عبد السلام محمد هارون(س ر ع) 3/-152 دار الفكر1399هـ- 1979م.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي 11/-207 دار الفكر- بيروت- الطبعة: الأولى 1414هـ.

(3) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني. حققه: صفوان عدنان الداودي (خ ي ر) 300 - دار القلم- الدار الشامية - دمشق- بيروت- الطبعة: الأولى 1412هـ.

(4) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري. تحقيق.أحمد محمد شاكر19/-43 مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000م.

(5) المفردات في غريب القرآن (خ ش ي) 283.

(6) المفردات في غريب القرآن (ش ف ق) 459،458.

(7) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي 23/-93 دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى 1421ه.

(8) المفردات في غريب القرآن (أ ي ي) 101.

(9) المفردات في غريب القرآن(أ م ن) 91.

(10) مفاتيح الغيب 23/93.

(11) المفردات في غريب القرآن (ر ب ب) 336.

(12) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة. إبراهيم مصطفى وآخرون (ش ر ك)1/ -480 دار الدعوة.

(13) المفردات في غريب القرآن (ش ر ك) 452.

(14) مفاتيح الغيب 23/93.

(15) المفردات في غريب القرآن (أ ت ى) 61.

(16) المفردات في غريب القرآن (و ج ل) 855.

(17) مفاتيح الغيب 23/93.

(18) بحر العلوم، السمرقندي. تحقيق: د.محمود مطرجي 2/ 483، -484دار الفكر-بيروت.



لغويّات

- لُغَةُ الشُّعراءِ.. بينَ زيْغِ الإعرابِ وقُبْحِ الزِّحافِ
- مُشْكِلاتٌ في حَوْسَبَة اللّغة العربيّةِ
- الفَصَاحَةُ النَّبويّةُ

لُغَةُ الشُّعراءِ
بينَ زيْغِ الإعرابِ وقُبْحِ الزِّحافِ



د. أحمد عبد الله المغربي
عضو هيئة تدريس اللغة العربية، سابقًا

الشّعرُ أسلوبٌ منْ أساليبِ القولِ البديعِ، وميدانٌ من ميادينِ الكلامِ الرّفيعِ، والشاعرُ حينما يَنْظِمُ قصيدتَهُ تُفرَضُ عليهِ قيودٌ فنيّةٌ تَتَمثَّلُ في الالتزامِ بالوزنِ والقافيةِ؛ ولكنَّهُ ما يلبَثُ أنْ تعترضَهُ عوارضُ تحولُ دونَ تحقيقِهِ ذلكَ الالتزامَ، وتلكَ العوارضُ لا تخرُجُ عن أربعةِ أنواعٍ حسَبَ مقتضى القِسمةِ العقليّةِ، وهي:

1 - **اللَّحْنُ الصَّريحُ.**
2 – **زَيْغُ الإعرابِ.**
3 – **الكَسْرُ الصَّريحُ.**
4 – **الزِّحافُ.**

وهنا يأتي سؤالُ البحثِ: هل كلُّ ما يَعرِضُ للشّاعرِ منَ العوارضِ يُعَدُّ ضرورةً شعريّةً يجوز للشّاعرِ ارتكابُها؟ أرجو أن يُجيبَ هذا المَقالُ عن هذا السّؤالِ، إن شاء الله.

العارضُ الأوّلُ- عارضُ اللّحْنِ الصَّريحِ:

هذا العارضُ هو العارضُ الأوّلُ الذي لم يُجِزْ أحدٌ من النُّحاة عَدّه من الضَّرورات الشّعريّة الجائزِ ارتكابُها، بل لم يكنْ مَحَلَّ خِلافٍ ألبتَّةَ، فلم يُجزْ نحويٌّ رفعَ منصوبٍ، ولا نصبَ مجرورٍ، ولا جرَّ مرفوعٍ ألبتَّةَ، قال المبرّدُ: « الضَّرُورَةُ لا تُجوِّزُ اللّحْنَ»(1).

العارضُ الثّاني- عارضُ زَيْغِ الإعرابِ:

هكذا سمّاه ابنُ جِنّي(2)، ويَعني به: ارتكابَ الشّاعرِ ضرورةً نحويّةً لا تَصِلُ إلى حَدِّ اللّحْنِ الصَّريحِ. والضَّروراتُ الشِّعريّةُ التي أجازها النُّحاةُ كثيرةٌ، أوصلَها ابن البركاتِ المُهَلَبِيُّ (ت583هـ) في كتابه: (نَظْم الفرائدِ) إلى نحوٍ من ثلاثين ضرورةً(3)، نَظَمها في أبياتٍ وضمَّنَها في كتابه المذكورِ.

وأشهرُ تلك الضّروراتِ: صَرْفُ الممنوعِ ومَنْعُ المصروفِ، وفكُّ المدغَمِ وإدغامُ المفكوكِ، والإشباعُ، والاخْتلاسُ، إلى غيرِ ذلك من الضّروراتِ التي أجازها سيبويهِ وجُمهورُ النُّحاةِ. قال سيبويهِ: « اعلم أنّه يجوز في الشِّعر ما لا يجوز في الكلام من صَرْفِ ما لا ينصرفُ، يشبِّهونَه بما قد حُذفَ واستُعمل محذوفًا»، ثمّ استشهد بقول الأعشى(4):

وأخو الغَوانِ متَى يشأْ يَصْرِمْنَه
ويَعُدْنَ أعداءً بُعَيْدَ وِدادِ

يريد: الغواني، فحذف الياءَ.

وقد يَلجَؤون إلى ضرورة الإشباعِ «مثل: مَساجد ومَنابر، فيقولون: مَساجيدُ ومنابيرُ، شبّهوه بما جُمع على غير واحدِهِ في الكلام»(5)، واستشهد سيبويه لهذا الإشباعِ بقول الفرزدق(6):

تَنْفِي يَداها الحَصَى في كلِّ هاجِرة
نَفْيَ الدَّنَانِيرِ تَنقادُ الصَّياريفِ

يريد: الصَّيارِف، فأشبعَ كسرةَ الراءِ حتّى تولَّدتْ منها ياءٌ.



وقد يَلجَؤون إلى ضرورة المُشاكَلةِ قِياسًا على جوازها في النَّثْر، وعَلَّلَها الأخفشُ بأنّ الشّعر «موضعٌ قد أُلِفتْ فيه الضّرائرُ»(7)، فجازتِ المُشاكَلَةُ فيه استئناسًا بوجودها في النَّثْر.

وقد يَلجَؤون إلى ضـرورة فكِّ الإدغامِ، واستشهد له المبرِّد بقول الشّاعرِ:

مَهْلاً أَعاذِلُ قد جَرَّبْتِ من خُلُقي
أَنّي أَجُودُ لأقوامٍ وَإِنْ ضَنِنُوا

ففكَّ الإدغامَ في ضَنِنُوا، ومعلومٌ أنَّ قواعدَ التصريفِ تقضي إدغامَه، قال المبرِّدُ: « لأنّ ضَنَّ إنّما هو ضَنِنَ، فلَحِقَه الإدغامُ»(8).

وقد أجاز سيبويهِ هذه الضّروراتِ بعِلّة أنّ الشّعراء إنّما يرتكبونها على نيّةِ التأويلِ، جاء في الكتاب: « وليس شيءٌ يضطَرّون إليه إلاّ وهمْ يحاوِلون به وجهًا»(9)، وأرجَعَ المبرِّدُ جميعَ الضّروراتِ الشّعريّة إلى قاعدة عامّةٍ، هي: رَدُّ الشيءِ إِلَى مَا كَانَ عليه قبلَ الضّرورةِ، جاء في المقتضَب: «الضّرورةُ لا تُجوِّزُ اللَّحْنَ، وإنّما يَجوز فيها أنْ تَردَّ الشيءَ إلى ما كان لَهُ قبلَ دُخُولِ العِلَّة»(10).

العارضُ الثالثُ- عارضُ الكسرِ الصّريح:

هذا العارضُ لم يرتكبْه شاعرٌ قطُّ؛ لأنّ هذه المخالفةَ تُخرج كلامَه عن كونِه شعرًا أصلاً، قال ابنُ جِنّي: « فأمّا الكسرُ ألبتَّةَ فغيرُ جائزٍ على حـالٍ»(11)، وقال ابنُ سِيْدَه في المحكَم والمحيطِ الأعظم: « وَالْكَسْر لَا يجوز، وَإِنَّمَا يجوز الزِّحافُ»(12).

العارضُ الرابعُ- عارضُ الزِّحاف:

هذا العارضُ هو أحدُ العارضَينِ الجائزينِ في الضّرورات الشّعريّةِ والآخَـرُ زَيْغُ الإعـرابِ بشَرط أن لاّ يؤدِّيَ هذا الزِّحافُ إلى كسر البيتِ كَسْرًا صريحًا، كما قالَه ابنُ جِنّي نَقلاً عن أبي عثمانَ المازنيّ، جاء في الخصائص: « وأمّا الجُفاةُ الفُصحاءُ

الشّاعرُ حينما يَنْظِمُ قصيدتَهُ تُفرَضُ عليهِ قيودٌ فنيّةٌ تَتَمثَّلُ في الالتزامِ بالوزنِ والقافيةِ.

إذا تجاذبتِ الشّاعرَ ضرورتان فينبغي أنْ يختارَ الزّحافَ، إلاّ إذا خَشِيَ كَسْرَ البيتِ جازَ له اختيارُ زَيْغِ الإعرابِ.

فإنّهم لا يبالون كَسْرَ البيتِ مَخافةَ زَيْغِ الإعرابِ، يعني أبو عثمان بكَسْرِ البيتِ الزِّحافَ لا الكَسْرَ الصَّريحَ»(13)، وجاء في المقاصد الشافيةِ أنَّ العربَ يقصِدون «استقامةَ المعنى وإنْ أدَّى إلى زِحاف مُستَثْقَلٍ، إذا لم يخرج عن الوزن الطّبيعيّ»(14)، وعزا الشّاطِبيُّ إلى ابن جِنّي أنّه قال: «وهذا المذهب أقوى عندي لأنّ احتمال الزِّحافِ أسهلُ من احتمال زَيْغِ الإعرابِ»(15).

إذن فضروراتُ الشّعرِ تنحصرُ في زَيْغِ الإعرابِ والزِّحافِ فقط، فإذا تعارضتْ هاتان الضّرورتانِ فالأقيسُ أن يرتكب الشّاعرُ ضرورةَ الزِّحافِ، ما لم يُؤدِّ الزِّحافُ إلى كَسْرِ البيتِ كَسْرًا صَريحًا، قال ابنُ جنّي: «اعلم أنّ البيت إذا تجاذَبَه أمرانِ زَيْغُ الإعرابِ وقُبْحُ الزِّحافِ، فإنّ الجُفاةَ الفُصحاءَ لا يَحفِلُون بقُبْحِ الزِّحافِ إذا أدّى إلى صِحّةِ الإعرابِ»(16)، ولهذا لم يَرتضِ ابنُ جنّي ارتكابَ قيسِ بنِ زُهيرٍ العَبْسيّ ضرورةَ زَيْغِ الإعرابِ في قوله(17):

أَلَمْ يأتِيْكِ والأنباءُ تَنْمِيْ

لإمكانِ ارتكابِ ضرورةِ الزِّحافِ الآمنِ من كَسْرِ البيتِ، قال في الخصائص: « لو قال:... أَلَمْ يَأْتِكَ والأَنباءُ تَنْمِيْ، لكانَ أقوى قِياسًا»(18)؛ ولذلك فينبغي للشّاعر ترتيبُ الضّروراتِ الأَولى فالأَولى، فيَبدأ بارتكاب الزِّحافِ، فإنْ خاف كَسْرَ البيتِ كَسْرًا صَريحًا رَجَعَ إلى ارتكاب زَيْغِ الإعرابِ، أمّا قيسٌ فقد رتَّب الأمر على العكس، فبدأ مباشرةً بارتكاب زَيْغِ الإعرابِ معَ إمكانِ ارتكابِ الزِّحافِ الآمنِ؛ ولهذا اعترَضَ عليه ابنُ جِنّي في الخصائص لكون ارتكابِ الزِّحافِ الآمنِ هنا لن يؤدِّيَ إلى كَسْرِ البيتِ، وإنّما غايتُه الرّجوعُ من (مفاعِيْلُن: ألمْ يأتيْ) إلى (مفاعِيْلُ: ألم يأتِ (19).

فابنُ جِنّي يعني أنّ قولَ قيسٍ: ألم يأتيْ زِنَتُه مفاعيلُنْ، وألم يأتِ زِنَتُه مفاعيلُ، وهما تفعيلتان تتناوبان في بحر الطّويل، فارتكابُ الزِّحافِ هنا أولى وأقوى قِياسًا من ارتكاب زَيْغِ الإعرابِ الذي اختاره قيسٌ.

أمّا إنْ كان ارتكابُ ضرورةِ الزِّحافِ يؤدّي إلى كَسْرِ البيتِ، فينبغي للشّاعر ارتكابُ ضرورةِ زَيْغِ الإعرابِ؛ حِفاظًا على البيت منَ الكَسْرِ، كما صَنع أُميّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ، في قوله:(20):

سَماءُ الإلهِ فوقَ سَبْعِ سَمائِيَا

فقد « جمع سماءً على سَمائِيْ على فَعائِلَ»(21)؛ حِفاظًا على البيت منَ الانتقال من ضَرْبٍ إلى ضَرْبٍ، وذلك غيرُ جائزٍ عَرُوضيًّا، «وكان ينبغي أن يقول سمايا»(22). قال ابنُ عُصفورٍ

ابن جنّي: «اعلم أنّ البيت إذا تجاذَبَه أمران زَيْغُ الإعراب وقُبْحُ الزِّحاف، فإنّ الجُفاةَ الفُصحاءَ لا يَحفلُون بقُبْحِ الزِّحاف إذا أدّى إلى صِحّةِ الإعرابِ»


تمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي

في ضرائر الشّعر: «إنّ سَماءةً قِياسُها أن يُجمع على سَمايا كخَطايا فجَمْعَها على سَمائِي كالصّحيح، نحو سَحابةٍ وسَحائبَ»(23)، قال ابنُ جِنّي: « فإنْ كان تَرْكُ زَيْغِ الإعرابِ يكسِرُ البيتَ كسرًا لا يُزاحِفُه زِحافًا فإنّه لا بُدَّ من ضَعْفِ زَيْغِ الإعرابِ واحتمالِ ضرورتِه، وذلك كقوله:



سَماءُ الإلهِ فوقَ سبعِ سَمائِيَا

فهذا لا بُدَّ مِن التزام ضرورتِه؛ لأنّه لو قال سَمايا لصارَ مِنَ الضَّرْبِ الثّاني إلى الثّالثِ، وإنّما مَبْنَى هذا الشّعرِ على الضَّرْبِ الثّاني لا الثّالثِ»(24)، وشَرْحُ ذلك أنّ لبحر الطويلِ ثلاثةَ أَضْرُبٍ:

1 – **الضَّرْبُ الأوَلُ: تامٌّ (مفاعيلن).**
2 - **الضَّرْبُ الثّاني: مقبوضٌ (مفاعيلُ).**
3 - **الضَّرْبُ الثّالثُ: محذوفٌ (مفاعِيْ) ثمّ تحوّل إلى (فَعُولن).**

والشّاعرُ قد بَنى قصيدتَه على الضَّرْبِ الثّاني (مفاعيلُ) المقبوضِ، فلو قال سَمايا لانتقل مِنَ الضَّرْبِ الثّاني (مفاعيلُ) المقبوضِ، إلى الضَّرْبِ الثّالثِ (فعولن) المحذوفِ، وذلك غيرُ جائزٍ في علم العَرُوضِ.

والخُلاصةُ:

أنّه إذا تجاذبتِ الشّاعرَ ضرورتان فينبغي أنْ يختارَ الزِّحافَ، إلّا إذا خَشِيَ كَسْرَ البيتِ جازَ له اختيارُ زَيْغِ الإعرابِ، قال ابنُ جِنّي: « فاعرفْ إذنْ حالَ ضَعْفِ الإعرابِ الذي لا بُدَّ مِن التزامه مَخافةَ كَسْرِ البيتِ؛ من الزِّحاف الذي يرتكبُه الجُفاةُ الفُصحاءُ إذا أَمِنُوا كَسْرَ البيتِ، ويَدَعُه مَن حافَظَ على صِحّة الوزنِ من غير زِحافٍ وهو كثيرٌ، فإنْ أَمِنْتَ كَسْرَ البيتِ اجتنبْتَ ضَعْفَ الإعرابِ، وإنْ أشفقْتَ من كَسْرِهِ ألبتَّةَ دخلْتَ تحتَ كَسْرِ الإعرابِ»(25).

الهوامش
(1) المبرد: المقتضب 3/354.
(2) ينظر: ابن جني: الخصائص 1/421.
(3) المهلبي: نظم الفرائد 187.
(4) ينظر: سيبويه: الكتاب 1/ 28.
(5) المصدر نفسه.
(6) ينظر: المصدر نفسه.
(7) أبو حيان: الارتشاف 5/ 2377.
(8) المبرد: المقتضب 3/ 354.
(9) سيبويه: الكتاب 1/ 32.
(10) المبرد: المقتضب 3/ 354.
(11) ابن جني: التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري، ص57.
(12) ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم 4/ 351.
(13) ابن جني: التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري، ص57.
(14) الشاطبي: المقاصد الشافية 1/ 497.
(15) المصدر نفسه، ولم أقف على هذا النقل بلفظه، فالظاهر أن الشاطبي نقل مذهب ابن جني بالمعنى لا باللفظ، ولكنه حقاً مذهب ابن جني. ينظر: ابن جني: الخصائص 1/422.
(16) ابن جني: الخصائص 1/421.
(17) ينظر: المصدر نفسه.
(18) المصدر نفسه.
(19) المصدر نفسه.
(20) ينظر: المصدر نفسه 1/ 422.
(21) شرح أبيات سيبويه 2/ 266.
(22) المصدر نفسه.
(23) ابن عصفور: ضرائر الشعر، ص 44.
(24) ابن جني: الخصائص 1/ 422.
(25) المصدر نفسه 1/ 423.

مُشْكِلاتٌ في حَوْسَبَةِ اللّغة العربيّةِ

اهتمَّ العُلَماءُ الأقدمونَ باللُّغةِ العربيَّةِ أيَّما اهتِمام، فكانت مَحَطَّ أنظارِهم في العملِ على تَطْويرِها وَفْقَ أُسسِ الواقِع، والعملِ على التَّغلُّبِ على غَرابةِ بعضِ مفرداتِها، وقد سعى العلماءُ سعيًا جادًّا قديمًا وحديثًا لأجلِ هذا الهدفِ، فكانت الدِّراساتُ الحَديثَةُ الّتي عَمِلَت على ربطِ اللُّغةِ بالعُلومِ الأُخرى، كعِلْمِ الاجْتِماعِ وعلمِ التّاريخِ وعِلْمِ الجُغْرافيا، وحديثًا علمُ الحَوْسَبَة، كي تتكامَلَ هذه العلومُ وتصاغَ لتَخرُجَ في بَوْتَقة واحدةٍ، ليُصبحَ لدينا علومٌ جديدة من نحو علم اللُّغة الاجتِماعيِّ، وعلمِ اللُّغة التّاريخيِّ، وعِلْمِ اللُّغة الجُغْرافيِّ، وعلمِ اللُّغة الحاسوبيِّ أو ما يُسمّى اللِّسانيّات الحاسوبيّة، وقد عمل كلُّ علْمٍ على الرَّبطِ بينَه وبينَ لُغَتِنا العربيَّة، فعلْمُ اللُّغةِ الحاسوبيُّ سعى جاهدًا إلى دَمْجِ اللُّغةِ بالحاسوب، والعملِ على مُعالَجَتِها مُعالجةً حاسوبيَّةً من جوانبِ اللُّغة كافَّةً، نحو معالجةِ الجانبِ الصَّوتيِّ أو الجانبِ الصَّرفيِّ، أو الجانبِ النَّحْويِّ، أو الجانبِ الدَّلاليِّ وَفْقَ أحدثِ البرامجِ ولغاتِ البَرمَجةِ؛ كي تَخرُجَ لنا بِصورةٍ حَديثَةٍ تُسَهِّلُ على الباحثينَ الكثيرَ.



محمَّد مُصْطَفى الشّامي
باحث دكتوراه في اللغويات

إلّا أنَّ هذه المعالجةَ للُّغةِ حاسوبيًّا واجهتْ مُعضلاتٍ ومُشكلاتٍ عِدّةً تنوَّعتْ ما بينَ جهازِ الحاسوبِ تارةً، وبينَ اللُّغةِ العربيّةِ نفسِها تارةً أُخرى، وبينَ مُستخدِمِ الحاسوب، وسنَعْرِضُ أبرزَ تلك المشكلاتِ في هذا المقالِ.

1 - حَوْسَبَةُ اللّغةِ العربيّةِ

تُطلق على موضوعِ مَقالِنا مصطلحاتٌ عِدَّةٌ هي: اللِّسانيّات الحاسوبيّةُ، أو حَوْسَبَة اللّغة العربيّة، وقدِ ارتأيْنا أن نختارَ مَشاكلَ حَوْسَبَة العربيّةِ ليكونَ العُنوانُ واضحًا، وهو العملُ على حَوْسَبَة العربيّةِ في برامجِ جهازِ الحاسوب أو تطبيقاته.

* مُصطلَحُ حَوْسَبَةِ اللّغةِ العربيّةِ:

يتكوّنُ هذا المُصطلَحُ من جزأين هما: حَوْسَبَة واللّغة العربيّةُ.

فالحَوْسَبَة لُغَةً: جاءت من الحاسوب، وهو معرَّبٌ من الكمبيوتر، وأمّا المُصطلَحُ الآخَرُ فهو اللُّغة العربيّةُ التي ستتمُّ معالجتُها بالحاسوب.

فعلمُ اللّغة الحاسوبيُّ علمٌ جديدٌ ينتسِبُ إلى اللِّسانيّات من جهة التَّنْظيرِ اللِّسانيِّ، وينتسِبُ إلى علوم الحاسوب من جهة تطبيقِ النَّظريات الرياضيّةِ والمنطقيّةِ، ومِن ثَمَّ يُعرفُ بأنّه علمُ دراسةِ أنظمةِ الحاسوب لِغرضِ فهمِ اللّغة الطبيعيّةِ وتوليدِها، أو العلمُ الذي يدرُس الجوانبَ الحاسوبيّةَ للّغة، والمشاكلَ الشائعةَ التي تواجِه المعالَجةَ الحاسوبيّةَ للّغة المكتوبةِ والمنطوقةِ.

* الهدفُ من حَوْسَبَةِ اللّغةِ العربيّةِ:

تهدِف اللِّسانيّات الحاسوبيّة إلى إعادة توصيفِ ذلك النِّظامِ اللغويِّ انطلاقًا من أعمال الأوائلِ على نحوٍ يستدركُ ما لم يَنُصَّ عليه علماءُ العربيّةِ معوِّلين على الحَدْسِ البشريِّ، فغايةُ ما تحاول اللِّسانيّات الكشفَ عنه هو استبطانُ المُعطَيات والأدلّةِ الضِّمنيّةِ المدركةِ بالحَدْسِ لدى ابنِ اللّغة، وصياغةُ تلك المعطَياتِ في خُطواتٍ إجرائيّةٍ وأدلّةٍ شكليّةٍ يمكن تمثيلُها لِجهاز الحاسوب المفتقرِ إلى (الفهم).

إنّ غايةَ ما تسعى اللِّسانِيّات الحاسوبيّة إلى كشف النِّقاب عنه هو وصفُ العمليّاتِ الذِّهنيّة التِّلقائيّةِ التي يقوم بها العقلُ البشريُّ حينَ استيعابه التراكيبَ اللغويّةَ المتباينةَ، أو حينَ تلقّيه خطابًا لغويًّا يحتمِل عدّةَ خِياراتٍ صحيحةٍ، وإن كان العقلُ البشريُّ يستعين بالقرائن السِّياقيّةِ من أجل تحديدِ المعنى المرادِ باستعراض الاحتمالاتِ الممكنةِ ثمّ تقليلِها بإقصاء معظمِها حتّى يقرِّرَ واحدًا منها؛ فإنّ تلك القرائنَ السِّياقيّةَ التي يستعين بها العقلُ البشريُّ هي ما تَجهَدُ اللِّسانيّات الحاسوبيّةُ في ترجَمتها إلى ألفاظ إجرائيّةٍ يمكن توصيفُها لمبرمِجِ الحاسوب لِغرض التمثيلِ الحاسوبيِّ.

عَلاقةُ الحاسوب باللّغة العربيّةِ:

فيَصِفُها الدّكتورُ نَبيل عليٍّ بقوله:

عَلاقــةُ اللّـغـة بالحاسب عَلاقــةُ منفعة متبادَلة، فعلى جبهةِ اللّغةِ يُستخدَمُ الحـاسـوب حـاليًـا لإقامةِ النماذج اللغويّة وتحليل الفروعِ اللّغويّةِ المختلِفةِ.



«عَلاقةُ اللّغة بالحاسبِ عَلاقةُ منفعةٍ متبادَلةٍ، فعلى جبهةِ اللّغة يُستخدَمُ الحاسوب حاليًّا لإقامةِ النماذجِ اللغويّةِ وتحليلِ الفروعِ اللّغويّةِ المختلِفةِ، ومن أمثلةِ تطبيقاتِ الحاسبِ في مجالِ اللّغوياتِ: الصرفُ الحاسوبيُّ، والنحوُ الحاسوبيُّ، والدَّلالةُ الحاسوبيّةُ، والمعجميّةُ الحاسوبيّةُ، وعلمُ النفسِ اللّغويُّ الحاسوبيُّ»، مضيفًا: «... اقتبسَ علماءُ الحاسوب في تطويرِهِم للغاتِ البرمجةِ الكثيرَ من أُسسِ اللّغات الطبيعيّةِ، ويسعَونَ بخُطىً حثيثةٍ إلى التَّقريبِ بينَ هذهِ اللّغات الاصطناعيّةِ واللّغات الطبيعيّةِ بهدفِ تسهيلِ التعامُلِ معَ الحاسبِ دونَ وسيطٍ برمَجيٍّ، فالهدفُ الأسمى لبرمَجةِ الحاسبِ هو أنْ يتعاملَ الفردُ معهُ مباشرةً بلغتهِ الطبيعيّةِ بدلاً من اللّغات الاصطناعيّةِ.».

*** عمليّةُ حَوْسَبَةِ اللّغةِ:**

أمّا إذا أردْنا معرفةَ كيفيّةِ حَوْسَبَةِ اللّغة يجب أن نلحَظ أنّ جُلَّ ما قدَّمه النُّحاةُ الأوائلُ في تقعيدهم العربيّةَ يُعوِّل في المَقامِ الأوّلِ على (أدلّة فَهْم) يستعين بها العقلُ البشريُّ في فهم نظامِ اللّغةِ؛ بحيثُ يقوم ذلك العقلُ بالمقارَنة والقياسِ معتمدًا على تلك الأدلّةِ، فعندما يُعرِّف سيبويهِ (الاسمَ) بقوله: (فالاسمُ رَجُلٌ وفَرَسٌ وحائطٌ)؛ فإنّه يخاطب بهذا التعريفِ حَدْسَ المتلقّي وقدرتَه على قياس ذلك بامرأةٍ وحِصانٍ وجِدارٍ وغيرِها من أسماءِ الأشياءِ، أمّا الحاسوب فيحتاج إلى أدلّة أقربَ ما تكون إلى الإجرائيّة بحيثُ يمكن أن توصف بأنّها (أدلّة شَكْل).

*** فكرةُ حَوْسَبَةِ اللّغةِ:**

أمّا فِكرتُها فتستند إلى بناءِ منظومةٍ حاسوبيّةٍ قادرةٍ على التعامُل بلغة البشرِ معَ مستخدِمِ الحاسوب في تطبيقاته على أُسس الذّكاءِ الاصطناعيِّ الخاصّة بمعالَجة اللّغةِ الطبيعيّةِ، فهو يُعَدُّ التطبيقَ العمليَّ المبنيَّ على الأسس النظريّةِ في عِلم اللِّسانيّاتِ الحاسوبيّةِ، وهو جامعٌ لعلمين تبدو المسافةُ بينَهما متباعِدةً، هما: عِلما اللِّسانِيّاتِ والحاسوب، فاللِّسانِيّاتُ تُعَدُّ الأساسَ النظريَّ الرصينَ لصِياغة اللّغةِ صِياغةً شكليّةً ومنطقيّةً، أمّا عِلمُ الحاسوب فيحوِّل المتخصِّصونَ فيه الصِّياغاتِ اللغويّةَ الشكليّةَ إلى منظومات حاسُوبيّةٍ قادرةٍ على جَعْلِ الحاسوب يفهم لغةَ البشرِ، ويتعامل معَ مستخدِميه بلغته.

*** أقسامُ حَوْسَبَةِ اللّغةِ:**

وعِلمُ حَوْسَبَةِ اللّغةِ ينقسم إلى قسمين، نظريٍّ وتطبيقيٍّ:

«أمّا التطبيقيُّ فأوّلُ عِنايتِه بالناتجِ العمليِّ لنَمْذَجَةِ الاستعمالِ الإنسانيِّ للُّغةِ، وهو يهدِف إلى إنتاج برامجَ ذاتِ معرفةٍ باللّغة الإنسانيّةِ، وهذه البرامجُ ممّا تشتدُّ الحاجةُ إليه من أجل تحسينِ التفاعُلِ بينَ الإنسانِ والآلةِ؛ إذ إنَّ العقبة الأساسيّةَ في طريق هذا التفاعُلِ بينَ الإنسانِ

والحاسوب إنّما هي عقبةُ التواصُل»

«وأمّا النظريُّ أو (اللّسانيّاتُ الحاسوبيّةُ النظريّةُ) فتتناولُ قضايا في اللّسانيّات النظريّةِ، فهي تتناولُ النظريّاتِ الصُّوريّةَ للمعرفة اللّغويّةِ التي يحتاج إليها الإنسانُ لتوليد اللّغةِ وفهمِها».

وأمّا منتهى غايةِ اللّسانيّاتِ الحاسوبيّةِ فهي أن نهيِّئَ للحاسُوب كِفايةً لغويّةً تُشْبِهُ ما يكون للإنسان حين يستقبل اللّغةَ ويُدركها ويَفهمها ثمّ يُعيد إنتاجَها وفْقَ المطلوبِ. والكِفايةُ المقصودةُ تعني:

1. استدخالَ قواعدِ اللّغةِ في نظامها الصوتيِّ، وأَنْساقِها الصرفيّةِ، وأنماطِ نَظْمِها الجُمْليِّ، وأنحاءِ أعاريبِها، ودَلالاتِ ألفاظِها، ووجوهِ استعمالِها وأساليبِها في البيان، وأحكامِ رسمِها الإملائيِّ.
2. إنتاجَ ما لا يتناهَى من الأداءات اللّغويّةِ الصحيحةِ.
3. مرجعًا في تمييز الخطأ من الصواب.
4. ومن تمام هذه الكِفايةِ كِفايةٌ تواصليّةٌ تتعلّق بالعناصر الخارجيّةِ التي تتداخَلُ مَعَ الموقف الكلاميِّ.

2 - مشكلاتٌ تتعلّقُ بالحاسوب وبَرْمَجَتِه

*** أوّلًا: بناء تصميم الحاسوب على اللّغة الإنجليزيّة.**

فقد أدّت برمجةُ الحاسوب للتّعاملِ مع الحرف اللّاتينيّ إلى ظهور مشكلاتٍ متعدّدةٍ معَ الحرفِ العربيِّ، ومن ذلك مثلًا أنَّ رموزَ تبادُلِ البياناتِ في الحاسوب مصمَّمةٌ لتَتَّخذَ شكلَينِ فقط للحرف الواحد (صغير، كبير) إضافةً إلى خُلُوِّها من حركات التَّشْكيلِ، كما أنَّ الاختصاراتِ والدَّلائلَ المستخدَمةَ في الحاسب مبنيّةٌ على قواعد اللّغةِ الإنجليزيّةِ، وما زالت هذه المشكلاتُ قائمةً حتّى مع محاولات التَّعريب المستمرَّة.

*** ثانيًا: لُغات البرمجة الإنجليزيّة.**

بما أنّ تكنولوجيا الحاسوب وبرمجيّاتِه تسيطر عليها بشكلٍ شِبهِ كاملٍ شركاتٌ تعتمد اللّغةَ الإنجليزيّةَ فقد توثَّقتْ عَلاقةُ هذه اللّغةِ بالحاسوب إلى درجةٍ كبيرةٍ، فصُمِّمَتِ كلٌّ من الشِّيفرات المخصَّصة لتبادل البياناتِ بينَ الإنسانِ والحاسوب ولغاتُ البرمجة باللّغةِ الإنجليزيّةِ، وكُتِبَتِ البرمجيّاتُ التطبيقيّةُ باللّغة الإنجليزيّةِ، ممّا أضعفَ إسهاماتِ اللّغاتِ الأخرى في البرمجيّات بما في ذلك اللّغة العربيّة.

*** ثالثًا: التَّدرّب على استخدام جهاز الحاسوب.**

فقَد يَصْعُب على كثيرٍ من المتخصِّصين في علم النحوِ معرفَةُ استخدامه وإدارته، ممّا يتطلّبُ إعدادَهم وتدريبَهم عبرَ دوراتٍ متخصِّصَة تُمكِّنهم من إجادةِ استخدامِه والتعاملِ معه بسهولة، والعملِ على إنشاء برامجَ مَحَوْسَبَةٍ لخدمة اللّغةِ العربيّةِ في مختلف الفروعِ من نحوٍ أو صرفٍ أو دَلالةٍ.

رابعًا: عجز الحاسوب عن فَهْم اللّغةِ العربيّةِ كالبشر.

فالحاسوب يبقى عاجزًا عن فهم اللُّغات البشريَّة ودلالاتها المجازيَّة كما يستعملُها النّاس في حياتهم اليوميَّة، فإذا قُلنا (امرأة حامل)، و(رجل حامل سيفه)، سنجِدُ أنَّ دلالة كلمة (حامل) في العبارة الأولى تختلف عن دلالة (حامل) في العبارة الثانية، وقد لا ينجَحُ الحاسوب في تمييز الفرق بين الكلمة الواحدة في العبارتَين، ناهيكَ عن افتقارِ اللُّغة الإنجليزيَّة إلى الحركات والتَّنقيط، ممّا يجعلُ الحاسوبَ عاجزًا عن فهمها والتَّعامل معها دونَ تحليلِها إلى رموزٍ تُمكِّنُه من استيعابِها والعمل على مُعالجَتها وفق ما يستطيع.

*** خامسًا تعرُّضُ البرنامج المُحَوْسَبِ للتَّلَف أو العُطْل:**

تعاني برامجُ الحاسوب من تعرُّضِها إلى التَّلف أو العطل بسبب الاختراق أو تطاولِ المدّةِ الزمنيّة، ممّا يؤدّي إلى خللٍ كبيرٍ في أداء البرامج، وضياعِ معلوماتٍ ربّما استغرقَ العملُ على إدخالها وحفظِها سنواتٍ طويلة.

سادسًا: الحاجَةُ إلى تأمين بيئةٍ مناسبةٍ للتعليم:

تتطلّب بيئةُ الحَوْسَبَةِ تعاوُنًا وثيقًا بين الجهاتِ الحكوميّةِ، والشركاتِ الخاصّةِ، والجامعاتِ، ومراكزِ البحوثِ، ومؤسَّساتِ التمويلِ، والمؤسّساتِ الأهليّةِ، والمنظّماتِ الإقليميّةِ لتأمين البيئة التَّعليميَّة المناسبة، إلى جانب تنمية مجالات الكتبِ التعليميّةِ والمِهْنيّةِ، وخدماتِ الحكومةِ الإلكترونيَّةِ والتعلُّمِ الإلكترونيِّ، والثقافةِ والتراث.

*** سابعًا: عدمُ توافرِ الأجهزةِ الكافيةِ للطلاب في المؤسّسات التعليميّة:**

يتطَلَّبُ استخدامُ الحاسوب وأجهزة التعليم الحديثة تكلفَةً ماليّةً باهظةً لا تستطيع الكثيرُ من الدّول أو المؤسّسات تمويلَها.



※ ثامنًا: تقطيعُ الكلامِ والأصواتِ والوَحْداتِ المعجميّةِ:

الكلماتُ في أغلب اللّغاتِ المنطوقةِ توليفةٌ من الأصوات المتتاليةِ الممتزِجةِ معَ بعضِها، فلا نَجِدُ في الكلام العاديّ الطبيعيّ أيّ وقَفاتٍ بينَ الكلماتِ المتتاليةِ إلّا نادرًا، كما يتأثّر الحرفُ بالحروف المجاورةِ من عِدّة نواحٍ، حيث تمتزَج الأصواتُ ببعضها بنعومةٍ وسلاسة، أو تنفصل، أو تكاد تختفي، لذلك يمثّل تقطيعُ الجملة إلى كلماتٍ منفصلةٍ، وتحويلُ الكلماتِ إلى حروف متفرِّقةٍ؛ بل وتقطيعُ الحروفِ داخلَ الكلمة؛ مهمّةً شديدةَ الصعوبةِ في تكنولوجيا التعرُّفِ على الكلام.

إضافةً إلى اختِلافِ معنى أيِّ جملةٍ حسَب طريقةِ تقسيمِها إلى كلمات، والتقطيعُ المعجميُّ السليمُ يعتمد على السِّياق والدَّلالةِ، كما تتداخل هذه المشكلةُ إلى حدٍّ ما مع مشكلةِ تقطيعِ النصِّ في بعض اللّغاتِ التي تُكتب دونَ فواصلَ بين الكلماتِ، مثل: الصينيّة واليابانيّة واللّغاتِ التي تُكتب بحروف متّصلةٍ مثلِ اللّغةِ العربيّة والفارسيّة والأرديّة.

※ تاسعًا تكلفةُ إنشاءِ البرمجيَات الحاسوبيّة:

تُشكِّلُ الكُلفَةُ الماديَّة العالية المطلوبة لتصميم البرمجيات الحاسوبيّة عائقًا كبيرًا أمام استكمالِ مشروعِ برمجة اللُّغة، إضافة إلى صُعوبة عمليَّة تصميم البرامج واحتياجها إلى الكثير من الوقتِ والجُهد، فتصميمُ درسٍ تعليميٍّ مُدَّتُه ساعةٌ واحدةٌ يحتاجُ إلى خمسين ساعة عملٍ أو أكثر.

ومن أبرز المعوِّقاتِ التي تواجه الحاسوب وبرمجتَه:

1. عدمُ وجودِ القوى البشريّةِ الكافيةِ المتخصِّصة في علوم الحاسوب.
2. افتقادُ معلِّمِ اليومِ إلى كِفايات تشغيلِ الكمبيوتر.
3. عدمُ وجودِ برمجيّاتٍ تعليميةٍ جيدةٍ كافيةٍ لتغطية احتياجاتِ المتعلّم في كافّة الجوانب.
4. وجودُ العديدِ من المشاكل التي تواجه إدخالَ أجهزةِ الحاسوب إلى المؤسسات التعليميّةِ، مثل الصِّيانةِ والتشغيلِ والمتابعة.
5. غيابُ المديرِ المسؤولِ المؤمن بالحداثة في مجال التَّعليم.

3 - مشكلاتٌ تتعلَّقُ باللّغة العربيّةِ

ممّا لا شكَّ فيه أنّ محاولة إخضاعِ اللّغةِ (أي لغة) للتحليل الحاسوبيّ لا بدَّ أن يعترِضَها العديدُ من الإشكاليّات والعقباتِ، وحينَ تتشابَه العقباتُ في لغات عديدةٍ فإنَّ طرقَ حلِّها تكونُ متَشابِهةً أيضًا، غير أنّ تحليل اللّغةِ العربيّةِ بواسطة الحاسوب تكتنِفُه عقباتٌ كثيرةٌ تَفوقُ أيَّ لغةٍ أخرى، تتعلَّقُ معظمُها بجوانب اختلاف العربيّةِ عن اللّغات الأوروبيّةِ التي صُمِّمتْ معظمُ البرامج الحاسوبيّةِ وفقًا لقواعِدِها، ومن هذه المشكلات:

※ أوّلًا: المشترِكُ اللفظيّ.

حين تتمُّ معالجةُ اللّغة دلاليًّا، يعاني الحاسوب من فهْم الكلماتِ المشترِكةِ

لفظيًّا نحو كلمة: (عين) التي تعني: عضو الإبصار؛ لأنّ الدمع يجري منها كما يجري الماءُ، والعينُ: من أعيان الناس، وهم وجهاؤُهم، والعين بمعنى الحسد، لأنّ العين هي المتسبِّبة بهذه الإصابة... وما إلى ذلك من مَعانٍ أخرى.لكنّ المشترك اللفظيَّ في علم اللّغةِ الحاسوبيِّ قد يأخذ شكلاً مختلفًا، فالكلمة نفسُها تأخذ تعريفًا مختلفًا، إذْ يمكن تعريفُ الكلمةِ عند الحاسوبيّين: بأنَّها مجموعةٌ من الحروف المتراصَّةِ الواقعةِ بينَ مسافتين، سواء أفادت معنًى مركَّبًا أو معنًى مفردًا أو لم تُفدْ، وسواءٌ أكانت صحيحةً أم خطأً،في الوقت الذي يعرِّفها اللغويّون العربُ بأنّها اللفظةُ الدّالّة على معنًى مفردٍ بالوَضْع كما عرّفها الزَّمَخْشَريّ. فهذه مشكلةٌ من المشكلات التي تواجه الحاسوب حينَ معالجتِه اللّغةَ، إلاّ أنّ المقترَحَ لحلِّ هذه المعضلةِ هو إدراجُ المشترِكِ اللّفظيّ داخلَ سِياقٍ يُمَكِّنُ الحاسوبَ من فَهمِ المعنى المقصود دون لَبس، نحو: أحضرت الماءَ من العينِ المجاورةِ بمعنى (بئر)، ونحو: أرسلْنا عيونًا لتأتيَنا بأخبار العدوِّ بمعنى (جاسوس)، ونحو: بينما كنت أسير رأيتُ أخي بعينه بمعنى (الشَّخص نفسه).

*** ثانيًا: الرّسمُ الإملائيّ:**

تواجه برمجيّاتِ الحاسوب مشكلةَ تعدُّدِ صورِ كِتابةِ الحرفِ العربيّ، واختلاف تلك الصورِ حسبَ موقعِ الحرفِ من الكلمة، إن كان في أوّلها أو وسطها أو آخرها، إضافة إلى علامات التَّرقيمِ والنِّقاطِ التي تُوضع على الحروف، واتّجاه القراءةِ من اليمين إلى اليسار عكس الحرف اللاتينيّ.

> **تواجه برمجيّات الحاسوب مشكلةَ تعدُّدِ صورِ كتابةِ الحرفِ العربيّ، واختلاف تلك الصورِ حسبَ موقعِ الحرفِ من الكلمة**

*** ثالثًا: اختلافُ كتابةِ الأسماءِ المترجَمة:**

فهناك تفاوتٌ عند كتابةِ أسماءِ الهيئاتِ والأشخاصِ الأجنبيّةِ بالحروف العربيّةِ، نحو: الاسم (Michael) فإنّه يكتب بعدّة صيغٍ: مايكل، ميكائيل، ميشيل، ميخائيل، وهذا ممّا يجعلُ الحاسب الآليّ غيرَ قادرٍ على التَّعامل مع الاسم الواحد والتَّعرُّف عليه بكتاباته المتعدّدة.

*** رابعًا: تفاوُتُ كتابةِ الأسماءِ المعرَّبة:**

تتفاوتُ صورُ كتابةِ الكلمات المعرّبةِ من مجتمعٍ إلى مجتمعٍ، ممّا يؤثر في كَفاءةِ البحثِ والاسترجاعِ، نحو: بيليوجرافيا – ببلوغرافيا، جوجل-غوغل، كمبيوتر، كومبيوتر، والواجبُ مراعاةُ هذه الاختلافاتِ، إمّا بتوحيدِها أو البحثِ عن أيِّ وثائقَ تحتوي أيًّا من صُورها.

*** خامسًا: اختلافُ بناءِ الجملةِ العربيّةِ عن اللّغاتِ الأخرى.**

صُمِّمت معظم التقنياتِ الحاسوبيّةِ المستخدمةِ لمعالَجة الجملةِ الإنجليزيّةِ؛ ولهذا فإنّها تظلُّ قاصرةً عن التعامل مع الصِّيغِ الصرفيّةِ العربيّةِ بكفاءة.

ومن صورهذه المشكلات:

* عندما يكون الفاعل ضميرًا فإنّه يتّصل بالفعل، ويكون لاحِقةً، وليس كلمةً منفصلةً كما هو الحال في اللّغة الإنجليزيّة.

* يدُلُّ الضميرُ في اللّغة العربيّةِ على الفاعل الذي سبق ذِكره في بداية الجملةِ في نحو "جاء الولد الذي رأيتُه" فالهاء تعود على «الولد»، بينَما لا توجد مثل هذه الخاصّيّةِ في اللّغة الإنجليزيّة.

* عدمُ التمييزِ بينَ كلماتٍ متماثلةٍ في اللّفظ مختلفةٍ في المعنى من مثل: (عصا) و(عصى).

ثمّ إنّ معظمَ المعاجمِ الأجنبيّةِ المصنَّفةِ بالحاسوب مصنَّفةٌ حسَب الصّيغةِ المبنيّةِ (أي صيغة الفعل، أو الاسم المجرد) حسب الجذر كما في المعاجم العربيّة، كما تُصنَّف السوابقُ واللّواحق بوصفها مدخّلاتٍ أساسيّةً في المعاجم الحديثة، بينما لا تُصنَّف كذلك في المعاجم العربيّةِ، وبما أنّ اللّغة العربيّةَ تحتوي على صيغٍ صرفيّةٍ داخليّةٍ (تحدث داخل الكلمة نفسها) وليست سوابقَ أو لواحقَ؛ فإنّه يتحتَّم التعاملُ مع الجذر لا مع كلِّ صيغةٍ على حِدَة. وهذا كلّه مما يجعل استقطابَ البرامجِ الآليّةِ الحديثةِ المُصمَّمة للتعامل مع الإنجليزيّةِ أمرًا بالغَ الصعوبة.

4 - مشكلاتٌ تتعلّق بمستخدمي الحاسوب

تتنوَّعُ المشكلاتُ المتعلِّقةُ بمستخدِمي الحاسوب من الأفراد أو المؤسّسات على النحو التالي:

* أوّلاً: عدمُ اهتمامِ الحاسوبيّين بنشر الوعي الحاسوبيّ بينَ اللّغويّين وتعريفِهم

بقوانين الحاسوب ومتطلّباتِه.

وهذا يجعل الحَوْسَبَةَ ومعرفةَ لغاتِ البرمجةِ حِكْرًا على الحاسوبيّين، ويُسهم في تقليل عددِ اللّغويّين الحاسوبيّين، ممّا ينعكس سلبًا على تطوُّر اللّغةِ العربيّةِ وتقدُّمِها.

وربّما يعود سببُ عدمِ اهتمام الحاسوبيّين بنشر الوعي الحاسوبيِّ بينّ اللّغويّين إلى خَشيتهم من صعوبةِ الحاسوب وبرامجِه عليهم، بالإضافة إلى حاجة اللغويّين لتدريب مكثّف وطويلٍ ليتمرّسوا على الحاسوب.

* ثانيًا: عدمُ اهتمامِ اللّغويّين باقتحام هذا المجالِ الجديدِ ومحاولةِ تكشُّفِ أبعادِه، والنهوضِ بالأعباء المَنُوطةِ بهم.

فكثيرٌ من اللّغويّين يُعرِضون عن تعلُّم حَوْسَبَةِ اللّغةِ، وعن الدّخولِ في أعماقها لأسباب عديدةٍ منها: اعتقادُهم صعوبتَه، وعـدمُ معرفتهم استخدام الحاسوب وبرمجَته، وعدمُ قناعةِ بعضِهم بنجاعة حَوْسَبَةِ اللّغةِ كونها لا تأتي بجديد حسب ظنِّهم، إضافة إلى تركيزِ العديدِ من اللّغويّين وعلماءِ النّحو على التّخصُّص في النَّحو التقليديّ، رغم أنّه أُشْبِع بحثًا، ممّا أسهم في ضعف إقبالِ طُلّاب اللُّغةِ والنَّحوِ على التخصُّص في علم اللّغةِ الحاسوبيِّ.

* ثالثًا: عدمُ تشجيعِ المؤسّساتِ التعليميّةِ في الوطن العربيِّ على دراسة هذا العلمِ الوليدِ.

فالكليّاتُ القائمةُ على تدريس اللّغةِ العربيّةِ لا تكترث لتثقيف أبنائها اللّغويّين بعلم اللّغةِ الحاسوبيِّ، كما أنَّ الكليّات القائمةِ على تدريس علومِ الحاسوب غير مُهتمَّة بتوعية الطلّابِ بخصائص اللّغةِ العربيّةِ ومناهجِ بحثِها، وأقترحُ أن تُفْرِدَ كلُّ كليّةٍ قسمًا خاصًّا يدرِّس علمَ اللّغةِ الحاسوبيَّ، أو أن يكون ذلك على مستوى طلّابِ الدراساتِ العليا بحيث تهيِّئُ لهم المؤسّساتُ التعليميّةُ الجَوَّ البحثيَّ اللازمَ لتبادُل الخِبْراتِ والثقافاتِ.

* رابعًا: افتقادُ المنهجيّةِ المنظّمة في تحقيق التعاوُنِ المثمرِ بين الفريقين.

فليست هناك رؤيةٌ واضحةُ المعالمِ لتحديد مجالاتِ التعاوُنِ المشترك، والصّعوباتِ التي تعترض هذا الأمرَ، لبيانِ كيفيّةِ حلِّها والمدى الزمنيِّ اللّازمِ لذلك.

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب:

1. أبو شنب، ميساء،(2007)، تكنولوجيا تعلم اللّغة العربية في الحلقة الأولى من التعليم الأساس، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك.

2. بونيه، آلان، (1993) مفهوم الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته: الذكاء الاصطناعي. واقعه ومستقبله، ترجمة علي صبري فرغلي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد172.

3. حمادة، سلوى،(2009) المعالجة الآلية للغة العربية، المشاكل والحلول، ط1، دار غريب، القاهرة.

4. حمدان, محمد زياد،(1986) وسائل وتكنولوجيا التعليم- مبادؤها وتطبيقاتها في التعلم والتدريس، عمّان، الأردن، ط2.

5. سالم أحمد، سرايا، عادل (2003) منظومة تكنولوجيا التعليم، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض.

6. علي، نبيل، (2001) كتاب الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،"سلسلة عالم المعرفة" العدد 265، الكويت.

7. مرعي، توفيق، والحيلة، محمود(1998)، تفريد التعليم، دار الفكر، ط1، عمّان.

8. الموسى, نهاد،(2000) العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللِّسانيّات الحاسُوبية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

ثانيًا: الأبحاث العلمية:

1. البسومي، حسن،(2013) من مشكلات حَوْسَبَة اللّغة العربية، أسباب ضعف المحتوى العربي على شبكة الإنترنت، مجلة جامعة المدينة العالمية لعلوم اللّغة العربية، العدد:44.

2. الشماس، عيسى،(2009) اللّغة العربية والبرمجة الحاسُوبية دراسة ميدانية، في معهد إعداد مدرسي المعلوماتية في مدينة دمشق، مجلة إتحاد الجامعات العربية، سبتمبر العدد:53، الأردن.

3.عزيز، نادي كمال،(1999) أدوار الكمبيوتر في مدرسة الغد ومشكلة التعريب، مجلة التربية، العدد:29، إبريل.

4.العناتي، وليد،(2007) الدليل نحو بناء قاعدة بيانات للسانيات الحاسُوبية العربية، ندوة تقنية المعلومات والعلوم الشرعية والعربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 6-7 مارس.

5.القحطاني، سعد بن هادي(2005)، تحليل اللّغة العربية بوساطة الحاسُوب مجلة مجمع اللّغة العربية الأردني، كانون الثاني- حزيران، السنة السابعة والعشرون، العدد 68.

6.كنالي، وجدان محمد صالح،(2013)، اللِّسانيّات الحاسُوبية العربية: الإطار والمنهج، المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، 7-10 مايو.

7.محمد بشير، أبو الحجاج،(2008) المعالجة الآلية للغة العربية جهود الحاضر وتحديات المستقبل، مجلة لغة العصر، القاهرة، أغسطس. العدد: 93

8. مراد، محمد نعمان،(2013) صياغة لسانية لبناء نظام حاسوبي لمعالجة الصرف في اللّغة العربية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، العراق، العدد: 101.



الفَصَاحَةُ النَّبويّةُ

كان النّبيُّ صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ عالمًا بلُغاتِ العربِ ولَهجاتِها، يجيدُ التّحدُّثَ بها، ويخاطبُ كلَّ وفدٍ بلُغتِه الخاصّة، فقد بُعثَ إلى العرب كافّةً، على اختلافِ نُطْقِهم وعاداتِهم الكلاميّةِ؛ فاستطاعَ ببراعتِه اللّغويّةِ أن يفهمَ جميعَ لغاتِ القبائلِ العربيّةِ، ويُقْرِئَهُمُ القرآنَ الكريمَ وَفْقَ لهجاتِهم المتنوّعةِ؛ ممّا يدلُّ على فصاحتِه وبلاغتِه، فكان أفصحَ العربِ قاطبةً، وأفصحَ من نطقَ بالضّاد. وقد تميّزَ الرّسولُ (صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ) في حديثِه بالبلاغةِ والبيانِ، يقولُ الجاحظُ: «فكلامُه هو الكلامُ الذي قلَّ عددُ حروفِه، وكثرَ عددُ معانيه، وجلَّ عنِ الصّنعةِ، وتنزّهَ عنِ التّكلّفِ، فكان كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:86]، ولم يَسمعِ النّاسُ بكلامٍ أعمَّ نفعًا، ولا أقصدَ لفظًا، ولا أعدلَ وزنًا، ولا أجملَ مذهبًا، ولا أكرمَ مطلبًا، ولا أحسنَ موقعًا، ولا أسهلَ مخرجًا، ولا أفصحَ معنى، ولا أبيَنَ في فحوى من كلامِه (1)



د. إبراهيم سند إبراهيم
أستاذ جامعي بكلية دار العلوم – مصر

وقد عقدَ جلالُ الدّين السّيوطيّ في كتابِه (المزهرُ في علوم اللغة وأنواعها) فصلًا بعنوان: (في معرفةِ الفصيحِ منَ العرب)، ابتدأه بقولِه: «أفصحُ الخلقِ على الإطلاق سيّدُنا ومَولانا رسولُ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ»(2).

وقد تعدّدتْ أسبابُ الفصاحةِ النّبويّةِ، ومن هذه الأسبابِ:

1) نشأتُه (صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ) في قريشٍ، ومعلومٌ أنّ قريشًا كانت أفصحَ القبائلِ العربيّةِ، فقدِ اشتهرت بالفصاحةِ والبلاغةِ والبيانِ، وبلَهْجتِها نزلَ القرآنُ الكريمُ، يقولُ ابنُ فارسٍ: «أجمعَ علماؤنا أنَّ قريشًا أفصحُ العرب ألسنةً وأصفاهم لُغةً؛ وذلك أنّ الله جلَّ ثناؤه اختارَهم من جميعِ العربِ واصطفاهم، واختارَ منهم نبيَّ الرّحمةِ محمّدًا صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ... وكانت وفودُ العربِ من حُجّاجِها وغيرِهم يَفِدون إلى مكّةَ للحجّ، ويتحاكمون إلى قريشٍ في أمورِهم، وكانت قريشٌ تعلّمُهم مناسكَهم وتحكمُ بينهم،... وكانت قريشٌ – مع فصاحتِها وحُسنِ لُغاتِها ورقّةِ ألسنتِها – إذا أتتهُمُ الوفودُ منَ العرب تخيّروا من كلامِهم وأشعارِهم أحسنَ لُغاتِهم وأصفَى كلامِهم، فاجتمعَ ما تخيّروا من تلك اللّغاتِ إلى نحائزِهم وسلائقِهم التي طُبعوا عليها؛ فصاروا بذلك أفصحَ العربِ»(3).

2) استرضاعُه (صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ) في ديارِ سعد بنِ بكرٍ [أفصحِ

ديارِ العربِ]، فقد أُرسلَ بعد ولادتِه إلى باديةِ بني سعدٍ، وكان من عادة العربِ أن يَسترضعوا أبناءَهم في البادية حتى يتعوّدوا الفصاحةَ، ويَشبُّوا على البلاغةِ والبيانِ وفصيحِ القول، وقد رُويَ أنّ النّبيَّ (صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ) قال: "أنا أفصحُ العرب، رُبّيت في أخوالي بني سعدٍ، بيْدَ أنّي من قريشٍ»(4)، ورُويَ عنِ ابن عبّاس أنّه قال: «نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعِ لُغَاتٍ، مِنْهَا خَمْسٌ بِلُغَةِ الْعَجُزِ مِنْ هَوَازِنَ، وهمُ الذين يقالُ لهم عُليا هوازنَ، وهي أربعُ قبائلَ، سَعْدُ بْنُ بَكْرٍ، وَجُشَمُ بْنُ بَكْرٍ، وَنَصْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَثَقِيفُ»(5)، قال أبو عبيد: أفصحُ هؤلاء بنو سعد بنِ بكر لقول الرّسولﷺ: «أنا أفصحُ العرب بيدَ أنّي من قريش، وأنّي نشأتُ في بني سعدِ بنِ بكرٍ»(6).

3) نزولُ القرآنِ الكريمِ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، يقول تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء:193-195]، وقد جاء في الأثرِ أنّ رجلًا قال لرسول الله صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ: «يا رسولَ الله ما أفصَحكَ، ما رأينَا الذي هو أعربُ منك!، قال: حُقَّ لي فإنّما أُنزل القرآنُ عليَّ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ»(7)،وكان نزولُ القرآنِ الكريمِ باللّسانِ العربيِّ المبينِ ليفهمَه العربُ و يَعقلُوه، يقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: 2].

4) نزولُ الوحْيِ على الرّسول صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ لمدارستِه لغةَ القرآنِ، رُوِي عن عمرَ بنِ الخطّاب قال: قلتُ: يا رسول الله، ما لك أفصَحُنا، ولم تخرجْ من بين أظهُرِنا؟، قال: «كانت لغةُ إسماعيلَ قد درسَتْ فجاء بها جبرائيلُ عليه السّلامُ إليَّ فحفّظَنيها»(8).

وبذلك اجتمعَ لرسولِ الله (صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ) أسبابُ الفصاحةِ والبيانِ: «فقريشٌ أفصحُ العربِ لسانًا وأبرعُها بيانًا، وبنو سعدٍ أرقَى قبائلِ العربِ فصاحةً؛ وبذلك جمعَ الرّسولُ الأكرمُ بين جزالةِ كلامِ الباديةِ ورونـقِ كلامِ الحاضرةِ... ولنزولِ القرآنِ الكريمِ عليه أثرٌ كبيرٌ في سُموِّ فصاحتِه،... ولِسَعةِ العلمِ بلهجاتِ العربِ دخلٌ كبيرٌ في إحرازِ



الجاحظ



جلال الدين السيوطي

1. البيان والتبيين للجاحظ (ت255هـ)، (2/13-14)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1423هـ.
2. المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي (ت911هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، (1/165)، الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1998م.
3. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس (ت395هـ)، صـ28، الطبعة الأولى، الناشر: محمد علي بيضون، 1418هـ/ 1997م، وينظر: المزهر للسيوطي (1/166).
4. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ)، تحقيق: روحية النحاس وآخرون، (2/205)، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1403هـ/ 1984م.
5. الصاحبي في فقه اللغة العربية لابن فارس، صـ32.
6. ويروى: بيد، بمعنى: غير، الصاحبي في فقه اللغة العربية لابن فارس، صـ32، وشرح السنة للبغوي (ت516هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، (4/202)، الطبعة الثانية، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، 1403هـ/ 1983م.
7. شعب الإيمان للبيهقي (ت458هـ)، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، (3/33)، حديث رقم: (1363)، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، 1423هـ/ 2003م، وينظر: المزهر للسيوطي (1/32) و(1/165).

المرتبةِ العليا في الفصاحةِ، وقدْ أطلعَ الله الرّسولَ الأكملَ على لهجاتِ العربِ، فكانت موضوعةً أمامَه يتناولُ منها ما يشاءُ»(9).

وبذلك فقد أرجعَ العلماءُ سرَّ فصاحةِ الرّسولِ وبلاغتِه إلى نشأتِه في قريش، واسترضاعِه في بني سعدٍ، ونزولِ القرآنِ الكريم بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ؛ ليتحدَّى العربَ [أصحابَ البيان وأساطينَ البلاغة] بفصاحتِه، إضافةً إلى مدارسةِ جبريلَ رسولَ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ لُغةَ القرآن الكريم؛ فاجتمعت له بذلك أسبابُ الفصاحةِ والبلاغةِ؛ فصار أبْلَغَ العرب وأفصَحَهم بيانًا، وأقدرَهم على التّعبير بجوامعِ الكلِم، فكان الأفصحَ نُطقًا للعربيّةِ، ومن مظاهر فصاحتِه ﷺ ما يأتي:

1) مخاطبةُ كلِّ قبيلةٍ من قبائلِ العربِ بلُغتها الخاصّةِ، فلم يقتصرْ على لُغةٍ واحدةٍ، ومن ذلك ما وردَ في الأثرِ أنَّ وفدًا منَ الأشعريّين جاءوا إليه وهم صائمون؛ فخاطبَهم بلهجتِهم قائلًا: «لَيْسَ مِنَ امْبِرِّ امْصِيَامُ في امْسَفَرِ»(10)، وهذه اللّهجةُ خاصّةٌ بالأشعريّين [بعضِ أهل اليمن]، يَقلبون (الـ) التّعريف ميمًا، فلمّا كانت هذه لهجتَهم الخاصَّةَ التي يتواصلون بها خاطبَهم بها؛ دلالةً على فصاحتِه ومعرفتِه بلُغتِهم، وهي بلا شَكٍّ غيرُ لغةِ قريش.

تعدّدتْ أسبابُ الفصاحةِ النّبويّةِ، ومنْ هذه الأسبابِ نشأتُه (صلَّى الله عليهِ وسلَّم) في قريش، ومعلومٌ أنّ قريشًا كانتْ أفصحَ القبائلِ العربيّةِ



يقولُ الخطيبُ البغداديُّ مُعقّبًا على هذا الحديث: «أراد: ليس منَ البرِّ الصّيامُ في السّفر، وهذه لُغةُ الأشعريّين، يَقلبون اللّام ميمًا؛ فيقولون: رأينا أولئك امْرِجَالَ، يريدون: الرّجال، ومررْنا بامْقَوْمِ، أَيْ: بِالْقَوْمِ، وهي لغةٌ مستفيضةٌ باليمن»(11)، وما زالت هذه العادةُ الكلاميّةُ مُمتدّةً في اللّغةِ العربيّةِ المعاصرةِ (العامّيةِ المصريةِ) إلى الآن، كقولِهم: امبارح، أي: البارحة، ووردَ في الأثرِ أنَّ النّبيَّ صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ قال لابنة سعيدِ بنِ العاص لما رجعت من الحبشة: «يا أمّ خالد هذا سناه» [وسناه بلُغةِ الحبشة بمعنى: حسن]، ولعلّه قال لها ذلك لأنّها وُلدت بأرض الحبشة، وتنشأت بها، وكانت تفهمُ بها أكثرَ ممّا كانت تفهمُ بالعربيّةِ، فخاطبَها بما تفهمُ»(12).

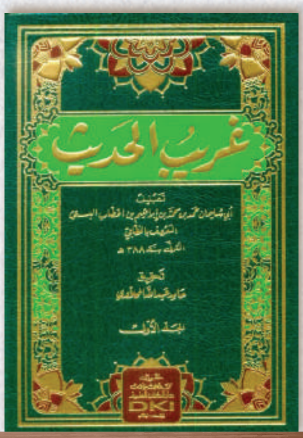
2) مكاتبةُ القبائلِ العربيّةِ بلهجاتِها الخاصّةِ، ومن ذلك: كتابُه إلى وائلِ بنِ حجر الحضرميِّ: "من محمّدٍ رسولِ الله إلى الأقيالِ العباهلةِ من أهلِ حضرموت بإقامِ الصّلاة وإيتاءِ الزّكاة على التّبعِ شاةٌ، والتّيمةُ لصاحبها، وفي السّيوب الخُمسُ، لا خلاطٌ ولا وراطٌ ولا شناقٌ ولا شغارٌ، ومن أجبَى فقد أربَى، وكلُّ مُسكرٍ حـرامٌ»(13)، فهذه الكلماتُ والألفاظُ غريبةٌ على لُغة قريشٍ [القبيلةِ التي نشأ فيها الرّسولﷺ]، لكنّها لغةُ من كتبَ إليهم من أهل اليمن؛ لذلك كاتبَهم بلُغتِهم الخاصّةِ ليفهموا مُرادَه.

3) حديثُه في إيجازٍ منَ القولِ وبلاغةٍ منَ اللّفظ؛ فكان يُعبّرُ عن كثيرِ المعنَى

8. معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري (ت405هـ)، تحقيق: السيد معظم حسين، صـ116، الطبعة الثانية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1397هـ/ 1977م، ومسند الفاروق عمر بن الخطاب وأقواله على أبواب العلم لابن كثير (ت774هـ)، تحقيق: إمام بن علي، (1/58)، الطبعة الأولى، الناشر: دار الفلاح، الفيوم، مصر، 1430هـ/ 2009م.

9. موسوعة الأعمال الكاملة، تأليف: الإمام محمد الخضر حسين، ضبطها: علي الرضا الحسيني، (3/178)، الطبعة الأولى، الناشر: دار النوادر، سوريا، 1431هـ/ 2010م.

10. مسند الإمام الشافعي (ت204هـ)، صـ157، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1400هـ، وأفعال الرسول ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد بن سليمان العتيبي، (2/41)، الطبعة السادسة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003م.





"فصاحةُ الرّسولِ وروعةُ بيانه لا يُدركُها إلّا من تردّد بنظره على الحديث الشّريفِ، ودخلَ في كلِّ بابٍ من أبوابه؛ إذ يرى الكلامَ الذي يصدرُ عفوًا دونَ أن يكونَ للتّصنّع فيه أثرٌ"

بقليلِ اللّفظِ، فقد أُعطيَ جوامعَ الكلم، رويَ أنّه قال: "أُوتيتُ جوامعَ الكلم، واختُصِر لي الحديثُ اختصارًا»(14)، وفي روايةٍ: "أُوتيتُ جوامعَ الكلمِ وفواتحَه وخواتمَه»(15)، قال الخطابيّ: «إنَّ الله عزّ وجلَّ لمّا وضعَ رسولَه موضعَ البلاغِ من وحْيِه، ونصبَه منصبَ البيانِ لدينِه، اختارَ له منَ اللّغاتِ أعربَها، ومنَ الألسُنِ أفصَحَها وأبْينَها،... ثمّ أمدّهُ بجوامعِ الكلمِ»(16).

4) التّكلّمُ بألفاظٍ جديدةٍ لم تعرفْها البيئةُ العربيّةُ سابقًا، ولم تسمعْ بها العربُ من قبلُ، كقوله: (مات حتْفَ أنفه)، وقولِه: (حميَ الوطيسُ)، وقولِه في المسلمِ والكافرِ: (لا تَرَاءَى نَارَاهُمَا) في ألفاظٍ ذاتِ عددٍ مِنْ هذا الباب تجرِي مجرى الأمثالِ، ويدخلُ في هذا النّوعِ إحداثُه الأسماءَ الشّرعيّةَ(17)، كالصّلاةِ والصّيامِ والزّكاةِ والغسلِ والطّهارةِ والتّيمّمِ.... إلخ.

5) كثرةُ الغريبِ في كلامِه، أي: وجودُ الألفاظِ الغريبةِ، ومن ذلك ما رواه أبو عامرٍ أنَّ رجلاً قال: مَنْ أَهْلُ النَّار؟ قالَ: «كلُّ قَعْبَرِيٍّ»، قال: يا رَسولَ الله، وما القَعْبَرِيُّ؟ قال: «الشَّدِيدُ على الأَهْلِ، الشَّدِيدُ على العَشِيرَةِ، الشَّدِيدُ على الصَّاحِبِ»(18)، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «كُلُّ جَظٍّ جَعْظٍ مُسْتَكْبِرٍ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْجَظُّ؟ قَالَ «الضَّخْمُ» قُلْتُ: فَمَا الْجَعْظُ؟ قَالَ: «الْعَظِيمُ فِي نَفْسِهِ»(19)؛ ولذلك ألّفَ اللُّغويون وشُرّاحُ الحديثِ كُتبًا ومؤلّفاتٍ كثيرةً في غريب الحديثِ لبيان معانيِها.

6) ترتيبُ الكلامِ، فمن مظاهرِ بلاغتِه وقوّةِ فصاحتِه ترتيبُه الكلامَ، ومثالُ ذلك ما رواه البراء بن عازب أنه قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبي صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ فقال: عَلِّمْنِي عَمَلا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ قَالَ: «أَعْتِقِ النَّسَمَةَ وَفُكَّ الرَّقَبَةَ». قَالَ: أَوَ لَيْسَا وَاحِدًا قَالَ: "لَا، عِتْقُ النَّسَمَةِ أَنْ تَفَرَّدَ بِعِتْقِهَا. وَفَكُّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي ثَمَنِهَا»(20)، وعن عبدِ الله بنِ مسعودٍ أَنَّ رسول الله (صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ) قال: «نضَّرَ الله عبدًا سمعَ مقالتي فحفِظَها ووعَاها وأدّاها...»(21)، يقولُ الخطابيُّ: «تأمل كَيفَ رتَّبَ الوعي على الْحِفْظ فَاشْترط عَلَيْهِ الْحِفْظ أَولا وَهُوَ تلقُّفُ الْأَلْفَاظ وَجَمْعُهَا فِي صَدره

11. الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ت463هـ)، تحقيق: أبي عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، صـ183، الناشر: المكتبة العلمية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.ت.
12. أفعال الرسول ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد بن سليمان العتيبي، (2/40-41).
13. الأقيال: ملوك اليمن دون الملك الأعظم، العباهلة: الذين أقروا على ملكهم لا يزالون عنه، والتيعة: الأربعون من الغنم، والتيمة: الشاة الزائدة على الأربعين، ويقال: إنها الشاة تكون لصاحبها في منزله يحلبها وليست بسائمة، والسيوب: الركاز، وقوله (لا خلاط ولا وراط) كقوله لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع، والوراط: الخديعة والغش، شعب الإيمان للبيهقي (3/34-36) حديث رقم: (1364)، وأفعال الرسول ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد بن سليمان العتيبي، (2/41).



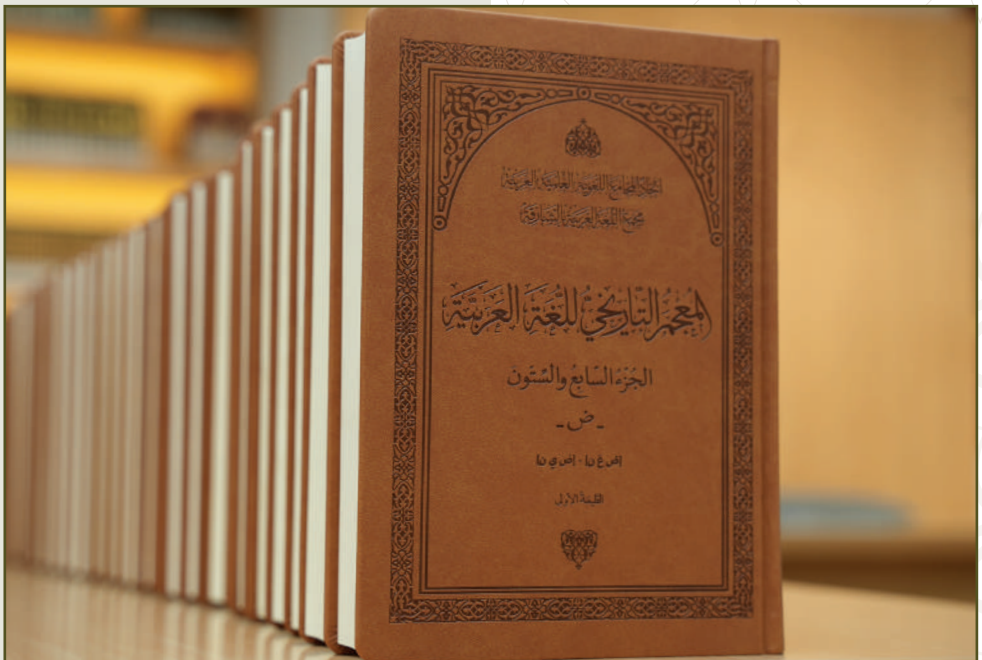
ثمَّ أمرَه بالوعي وَهُوَ مراقبتُه إِيَّاهَا بِالذِّكر وتخوُّلُها بالرِّعاية والاِسْتِصْحابُ لَهَا إِلَى أَن يُؤَدِّيهَا فَيَخْرُجَ منَ العهْدَة فِيهَا»(22).

وكان النّبيُّ صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ يقولُ الكلمةَ فتصبحُ مثلًا وحكمةً، كقوله (حميَ الوَطِيسُ)، وهو تركيبٌ لُغويٌّ يدلُّ على اشتداد الأمرِ، وما زال هذا التّركيبُ مُستعمَلًا إلى الآن، وقد ذكرَ الجاحظُ (ت255هـ) في كتابه (البيان والتبيين) مُقتطفاتٍ من كلامِ رسولِ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ «ممّا لم يَسبقْه إليه عربيٌّ، ولا شاركَه فيه أعجميٌّ، فصارَ مُستعمَلًا ومثلًا سائرًا، ومن ذلك قولُه: «يا خيلَ الله اركبي»، وقولُه: «مات حتْفَ أنفِه»، وقولُه: «لا تنتطحُ فيها عنزان»، وقولُه: «الآن حميَ الوطيس»(23)…. وغيرُها منَ الأبنيةِ والتّراكيبِ اللُّغويةِ التي تدلُّ على فصاحتِه وبلاغتِه.

وإنَّ «فصاحةَ الرّسولِ وروعةَ بيانِه لا يُدركُها إلّا من تردّد بنظرِه على الحديثِ الشّريفِ، ودخلَ في كلِّ بابٍ من أبوابِه؛ إذ يرى الكلامَ الذي يصدرُ عفوًا دونَ أن يكونَ للتّصنّع فيه أثرٌ، ويمرُّ فيما يقرأُ على جُملٍ تهتزُّ لروعتِها القلوبُ، ومن لم يُسعدْه الحالُ أن يُطالِعَ كتبَ الحديث، فلْيَنظرْ في كتب غريبِ الحديث، فإنّه يطَّلِعُ على جانبٍ عظيمٍ منَ الألفاظِ النّبويّةِ البالغةِ مُنتهى الفصاحةِ وحكمةَ الأسلوبِ»(24)، فجملةُ الأحاديثِ النّبويةِ تدلُّ على فصاحتِه وبلاغتِه، فقد جمعَ فيها المعانيَ الكثيرةَ في قليلٍ منَ الأبنيةِ والتّراكيبِ اللُّغويّةِ؛ فتعدّدتِ المؤلَّفاتُ في شروحِ الأحاديثِ النّبويّةِ وتنوّعت في كثرتِها.

---

14. شعب الإيمان للبيهقي (2/508) حديث رقم (1321)، و(3/37) حديث رقم (1366).
15. المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة (ت235هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (6/318)، حديث رقم (31735)، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1409هـ
16. غريب الحديث للخطابي (ت388هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، (1/64)، الناشر: دار الفكر، دمشق، سوريا، 1402هـ/ 1982م.
17. ينظر: غريب الحديث للخطابي (1/64-66).
18. غريب الحديث للخطابي (1/66)، وأمالي ابن بشران (ت430هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، صـ380، الطبعة الأولى، الناشر: دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/1997م.
19. المعجم الأوسط للطبراني (ت360هـ)، تحقيق: طارق عوض الله، عبد المحسن إبراهيم، الناشر: دار الحرمين، القاهرة، د.ت، وغريب الحديث للخطابي (1/66-67).
20. غريب الحديث للخطابي (1/67).
21. مسند الإمام الشافعي صـ240، وشرح السنة للبغوي (1/236).
22. غريب الحديث للخطابي (1/67).
23. البيان والتبيين للجاحظ (2/12)، وينظر: المزهر للسيوطي (1/165).
24. موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين، (3/179-180).



مُعجَميّات

- نَظْرَةٌ في بَعضِ الخـــيارات المَنْــهَجيَّةِ لِلمُعْـجَــمِ التّاريخـــيِّ لِلُّـغَةِ العَـرَبيَّةِ
- المعجمُ ورِهانُ تطويرِ اللّغة
- رحلـــة مـــع الجـــذر (ر ج ع)



نَظْرَةٌ في بَعضِ الخياراتِ المَنْهَجيَّةِ لِلمُعْجَمِ التّاريخيِّ لِلُّغَةِ العَرَبيَّةِ



أ.د. محمّد خاين
محرّر بالمعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة

«إذا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ حَضارَةَ أُمَّةٍ فانظُرْ في مُعْجَمِها»، هكَذا قيلَ، وما كان ذلك كذلكَ إلّا مِن مُنْطَلَقِ أَنَّ المُعجَمَ هوَ السِّجِلُّ الَّذي يَحْفَظُ أَلْفاظَ حَضارَتِها، وما تَواضَعَتْ عَلَيْهِ مِن مَتْنٍ يَنْقُلُ إلى الأَجْيالِ اللّاحِقَةِ تَراكُمَها المَعْرِفيَّ، وخِبْراتِها في التَّعامُلِ مَعَ الحياةِ وأَحْداثِها ووَقائِعِها. فلا غَرْوَ إذَن أَنْ نَلْحَظَ اهْتِمامًا لا نَظيرَ لَهُ مِنْ قِبَلِ الأُمَمِ ذاتِ الحَضاراتِ الوازِنَةِ بِصِناعَةِ المَعاجِم عامَّةً ومُخْتَصَّةً؛ إذ توليها العِنايَةَ الفائِقَةَ وَضْعًا وتَحْيينًا، بُغْيَةَ جَعْلِها مواكِبَةً لِلتَّطَوُّرِ الَّذي تَشْهَدُهُ، وعاكِسَةً لَهُ، ومُعَبِّرَةً عمّا وَصَلَتْ إلَيْهِ في دَرَجاتِ المَدَنيَّةِ.

صَحيحٌ أَنَّ المُعْجَمَ سِفْرُ كَلِماتٍ ومُفْرَداتٍ مُقَدَّمَة بَعيدًا عَنْ أَيِّ سياقٍ تَواصُليٍّ، لَكِنْ كَما قالَ هَنْري ميتْشونيك: عِنْدَما نَبْحَث عَنِ الكَلِماتِ نَجِد الخِطابَ، وإذا بَحَثْنا عَنِ الخِطابِ وَجَدْنا الكَلِماتِ.

وبذلكَ تكونُ الكَلِماتُ الَّتي يَحْويها المُعْجَمُ، وإنْ بَدَتْ خارجَ الاسْتِعْمال، فإنَّ لَها حُمولَةً ثَقافيَّةً تُؤَهِّلُها لأَنْ تكونَ مِرْآةً لِلمُجْتَمَعِ، فمُفْرَدَةُ (السَّحور) في حَقْلِ الوَجْباتِ الغِذائيَّةِ تُعْلِنُ عَنْ نَفْسِها، وتُفْصِحُ عَنْ مَرْجِعيَّتِها الثَّقافيَّةِ والدِّينيَّةِ خارجَ أَيِّ تَأْطيرٍ جُمَليٍّ؛ وبالتّالي فإنَّ هذا ما يُكْسِبُ المُعْجَمَ صِفَةَ خِطابِ الخِطابِ.

وتَزْدادُ قيمَةُ المُعْجَمِ وتَعْظُمُ أَهَمِّيَّتُهُ إذا كانَ يؤَرِّخُ لِحياةِ اللُّغَةِ، ويَرْصُدُ تَطَوُّرَ دلالاتِ أَلْفاظِها عَبْرَ العُصورِ، وكذا اشْتِقاقاتِها وتَبَدُّلاتِها. وما يَزيدُ مِن مِصداقيَّةِ المُعجَمِ هوَ الخياراتُ المَنْهَجيَّةُ المُرْتَكِزُ عَلَيْها في إعْدادِهِ وتَحْريرِهِ. ومِن هَهُنا جاءَتْ فِكْرَةُ النَّظَرِ في الخياراتِ المَنْهَجيَّةِ الَّتي اتُّبِعَتْ في إعْدادِ المُعْجَمِ التّاريخيِّ لِلُّغَةِ العَرَبيَّةِ؛ إذ كانَتِ الدّافِعَ إلى كِتابَةِ هذهِ الوَرَقَةِ. يُضافُ إلى ما تَقَدَّمَ وَعْينا بِأَهَمّيَّةِ المَنْهَجِ في إكْسابِ المادَّةِ المَعْرِفيَّةِ المِصْداقيَّةَ العِلْميَّةَ؛ إذْ إنَّهُ لا عِلْمَ بدونِ مَنْهَجٍ. وحُسْنُ تَوْظيفِ المَنْهَجِ يَتَبَدّى مِن خِلالِ التَّحَكُّمِ في أَدَواتِهِ وتَنْظيمِها بِقَصْدِ الوُصولِ إلى الكَشْفِ عَنِ الحَقيقَةِ لِلجاهِلينَ بِها، أَوِ البَرْهَنَةِ عَلَيْها لِلآخَرينَ ولِمَنْ هُمْ بِها عالِمونَ. وهذا ما يَعْني أَنَّ حُسْنَ التَّوْظيفِ لِلمَنْهَجِ يَكونُ بِالاسْتِثْمارِ الأَمْثَلِ لِجُمْلَةٍ مِنَ القَواعِدِ العامَّةِ الَّتي يُمْكِنُ وَسْمُها بِـ(الأَدَواتِ المَنْهَجيَّةِ).

وسَنَقْتَصِرُ في هذِهِ الوَرَقَةِ عَلَى اثْنَتَيْنِ مِنْها:
الأولى: التَّحْقيبُ. والثَّانِيَةُ: الإحالَةُ بالمُشْتَقّاتِ عَلى دلالَةِ الفِعْلِ اسْتِعْمالاً.

التَّحْقيبُ:

ويَتَمَثَّلُ في تَعَقُّبِ الأَحْداثِ التّاريخيَّةِ والظَّواهِرِ الإِنْسانِيَّةِ والاجْتِماعيَّةِ والتَّأْريخِ لَها ضِمْنَ أُطُرٍ مُحَدَّدَةٍ بِحِقَبٍ زَمَنيَّةٍ وعُصورٍ مُتَعاقِبَةٍ؛ وذلِكَ بِغَرَضِ تَأْطيرِ المَعْرِفَةِ والتَّعامُلِ مَعَها في سياقٍ زَمَنيٍّ مُحَدَّدٍ. وبهذا يُمْكِنُ -في حالَةِ هذا الخيارِ المَنْهَجيِّ المُتَبَنَّى في تَحْريرِ المُعْجَمِ التّاريخيِّ لِلُّغَةِ العَرَبيَّةِ، باعْتِمادِهِ نِظامًا خُماسيَّ الأَعْصُرِ، هيَ: ما قَبْلَ الإِسلامِ (480ق.هـ/169م إلى 1ق.هـ/621م) ، والإِسْلاميّ (1هـ/622م إلى 132هـ/749م)، والعَبّاسيّ (133هـ/750م إلى 656هـ/1258م)، والدّول والإمارات (657هـ/1259م إلى 1213هـ/1798م)، والحَديث (1214هـ/1798م إلى 1444هـ/2022م)- رَصْدُ التَّطَوُّرِ الدّلاليِّ لِلمُفْرَدَةِ العَرَبيَّةِ مَنْظورًا إِلَيْها في سياقِها الطَّبيعيِّ الَّذي أَسْهَمَ فيها وَضْعًا واسْتِعْمالاً. وقَدْ أَثْبَتَتِ الدِّراساتُ اللُّغَويَّةُ قَديمًا وحَديثًا أَهَمّيَّةَ السّياقِ، والَّذي مِن مُكَوِّناتِهِ الزَّمَنُ في التَّطَوُّرِ الَّذي يَعْتَري المُفْرَدَةَ؛ وبالتّالي تَتَجَلّى لَنا قيمَتُهُ في فَهْمِها، وتَحْديدِ مُسْتَعْمِلِها، وضَبْطِ تاريخِها، وكذا النَّظَرِ في المُلابَساتِ الَّتي اكْتَنَفَتْها.

والتَّحْقيبُ أَداةٌ مَنْهَجيَّةٌ عِلْميَّةٌ وتَعْليميَّةٌ تُساعِدُ عَلى تَيْسيرِ اكْتِسابِ المَعْرِفَةِ، والوَعْيِ بِها؛ وكذا تَسْييجِها بُغْيَةَ فَهْمِها مِن خلالِ رَدِّها إِلى سياقاتِها الفاعِلَةِ، ومِنْ ثَمَّةَ فإنَّهُ مِنَ الطَّبيعيِّ أَنْ يُنْتَهَجَ في التَّأْريخِ لِلُّغَةِ العَرَبيَّةِ بِوَصْفِهِ وَسيلَةً إِجْرائيَّةً. وعَلى الرَّغْمِ ممّا قَدْ يُقالُ في الاعْتِراضِ عَلى تَبَنّيهِ، لِكَوْنِهِ تَحَكُّميًّا وأيديولوجيًّا ولَهُ أَبْعادٌ سياسيَّةٌ، فإنَّ الدّكْتور مُحَمَّد حَسَن عَبْد العَزيزِ قَدْ فَنَّدَ هذِهِ الدَّعْوى

قالَ هنري ميتْشونيك: "عنْدَما نَبْحث عَن الكَلمات نَجِد الخِطاب، وإِذا بَحَثْنا عَنِ الخِطابِ وَجَدْنا الكَلِماتِ".

الكَلِماتُ الَّتي يَحْويها المُعْجَمُ، وإِنْ بَدَتْ خارِجَ الاسْتِعْمالِ، فإِنَّ لَها حُمولَةً ثَقافيَّةً تُؤَهِّلُها لأَنْ تَكونَ مِرْآةً لِلمُجْتَمَعِ



صورة جماعية بعد دورة التحرير المعجمي في مجمع اللّغة العربيّة في الشارقة.

مُثْبِتًا أَهَمِّيَّتَهُ اللُّغَوِيَّةَ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ الأَحْداثَ الكُبْرى الَّتي قَضَتْ بِهذا التَّقْسيمِ لَمْ تَكُنْ سياسيَّةً فَحَسْب، بَلْ كانَتْ ثَقافيَّةً ... ومِن ثَمَّةَ فهِيَ لُغَويَّة أَيْضًا، فَظُهُورُ الإِسْلامِ –مَثَلًا– قَدْ غَيَّرَ حَياةَ العَرَبِ – مِن غَيْرِ شَكٍّ– وغَيَّرَ مَواقِفَهُمْ الشُّعوريَّةَ والفِكْرِيَّةَ نَحْوَ ما كانَ قَبْلَهُ، وقَدِ انْبَنى عَلى ذلِكَ تَغَيُّراتٌ لُغَوِيَّةٌ واضِحَةٌ، وكذلِكَ الحالُ في العُصورِ الثَّلاثَةِ التّالِيَةِ».

وعَمَلًا مِنّا عَلى التَّمْثيلِ لِهذا الكَلامِ سَنَأْخُذُ نَموذَجًا مِنَ المُعْجَمِ التّاريخيِّ يُظْهِرُ لَنا حالَةَ الانْتِقالِ الدّلاليِّ مِنَ المَحْسوسِ إِلى المُجَرَّدِ مَعَ لَفْظَةٍ تَعودُ إِلى الجِذْرِ [ب ص ر]، وأَقْصِدُ هَهُنا (البَصيرَة)، والَّتي هِيَ في دلالَتِها الأولى: بُقْعَةُ الدَّمِ الَّتي يُسْتَدَلُّ بِها عَلى الرَّمِيَّةِ أَوِ المُصابِ. وفي هذا يَقولُ المُصْطَفى ﷺ: «الرَّجُلُ يَرْمِي الرَّمِيَّةَ –أَوْ قالَ: الغَرَضَ– فَيَنْظُرُ في النَّصْلِ، فَلا يَرَى بَصيرَةً، وَيَنْظُرُ في النَّضِيِّ فلا يَرَى بَصِيرَةً، وَيَنْظُرُ في الفُوقِ فلا يَرَى بَصِيرَةً». ثُمَّ انْتَقَلَتْ بَعْدَها لِلدِّلالَةِ عَلى دَمِ البِكْرِ، وكَذا عَلى الدِّرْعِ والتُّرْسِ، وهذِهِ كُلُّها مِنَ المَحْسوساتِ إِلى غايَةِ العَصْرِ العَبّاسيِّ.

وتَنْتَقِلُ بَعْدَها لَفْظَةُ (البَصيرَة) في القُرْآنِ الكَريمِ إِلى الدّلالَةِ عَلى البَيِّنَةِ والبُرْهانِ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف:108]، وتَسْتَقِرُّ عَلَيْها وتَغيبُ باقي دلالاتِها وتَحْتَجِبُ عَنِ الاسْتِعْمالِ، ولا يَبْقى إِلّا المَفْهومُ القُرْآنيُّ. وسَيْرًا عَلى هَدْيِ ما سَبَقَ فَإِنَّهُ لا يُمْكِنُ لَنا فَهْمِ المُفْرَدَةِ (الرّافِضَة) إِلّا بِرَدِّها إِلى سياقِها التّاريخيِّ والظُّروفِ الَّتي أَحاطَتْ بِتَلَبُّسِها بِهذا المَعْنى وتَمَحُّضِها إِلى الاسْمِيَّةِ مَعَ أَنَّها في الأَصْلِ لَفْظٌ مُشْتَقٌّ.

إِنَّ أَساسَ نَجاحِ أَيِّ عَمَلٍ عِلْمِيٍّ حَضارِيٍّ صَرامَةُ المَنْهَجِ الَّذي تَمَّ تَبَنّيهِ والسَّيْرُ عَلَيْهِ في إِنْجازِ العَمَلِ، ومَدى الحِرْصِ في الوَفاءِ لَهُ، وكَذا أَصالَةُ ذلِكَ المَنْهَجِ ومُوافَقَتُهُ لِطَبيعَةِ العَمَلِ.

المُعْجَمُ التّاريخيُّ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ سَهِرَتْ عَلى رِعايَتِه مُؤَسَّساتٌ عِلْمِيَّةٌ راقِيَةٌ مُمَثَّلَةٌ في مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِالشّارِقَةِ، واتِّحادِ المَجامِعِ اللُّغَوِيَّةِ العِلْمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ.

الإِحالَةُ بِدلالَةِ المُشْتَقِّ عَلى الفِعْلِ تَأْريخًا وتَعْريفًا:

لَطالَما تَساءَلْتُ بَيْني وبَيْنَ نَفْسي، أَوْ في مُحاوَراتي لِزُمَلائي المُحَرِّرينَ في المُعْجَمِ التّاريخيِّ لِلُغَةِ العَرَبِيَّةِ عَنْ سِرِّ الخيارِ المَنْهَجيِّ المُتَبَنّى بِعَدَمِ التَّأْريخِ لِلمُشْتَقّاتِ في هذا المُعْجَمِ إِلّا إِذا تَمَحَّضَتْ لِلاسْمِيَّةِ، مَعَ أَنَّ قِراءَةً عابِرَةً تَهْدينا إِلى أَنَّ هذِهِ الأَخيرَةَ مُفْرَداتٌ كالأَفْعالِ والأَسْماءِ تَمامًا، ومِنَ المؤَكَّدِ أَنَّها مُرْتَبِطَةٌ بِمُسْتَعْمِلٍ وبِتاريخِ اسْتِعْمالٍ.

إِلّا أَنَّنا حينَما نُنْعِمُ النَّظَرَ، ونُمَحِّصُ الفِكْرَ في المَسْأَلَةِ يَتَبَيَّنُ لَنا أَنَّ المُشْتَقّاتِ وعَلى الرَّغْمِ مِمّا يُقالُ بِشَأْنِ إِغْفالِ التَّأْريخِ لَها –وخاصَّة إِذا عُلِمَ أَنَّهُ يؤَرَّخُ لَها في تَجْرِبَةٍ أُخْرى مُشابِهَةٍ– فَإِنَّ الأَمْرَ سَيَكونُ مُجَرَّدَ تَضْخيمٍ مُبالَغٍ فيهِ لِحَجْمِ المُعْجَمِ؛ نَظَرًا لِكَوْنِ الخاصّيَّةِ الأولى الَّتي تُعْرَفُ بِها العَرَبِيَّةُ أَنَّها لُغَةٌ اشتقاقيّة اشْتِقاقيَّةٌ، ممّا يَسْتَلْزِمُ –إِجْبارًا– القَوْلَ بِأَنَّهُ يَصْعُبُ أَوْ يَسْتَحيلُ حَصْرُ كُلِّ مُشْتَقّاتِها، ثُمَّ إِنَّ التَّأْريخَ لَها لا يُضيفُ جَديدًا؛ إِذ لا تَعْدو دلالَةُ اللَّفْظِ المُشْتَقِّ عَلى أَنْ تكونَ حَدَثًا مُقْتَرِنًا بِصاحِبِ مَرَّةً، وفي أُخْرى حَدَثًا دالًّا عَلى مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ فِعْلُ الفاعِلِ، أَوْ دالًّا في ثالِثَةٍ عَلى وُقوعِ الفِعْلِ مَرَّةً واحِدَةً، أَوْ عَلى هَيْئَةِ وُقوعِهِ في الخامِسَةِ، أَوْ عَلى الآلَةِ المُسْتَخْدَمَةِ في إِحْداثِ الفِعْلِ وهَلُمَّ جَرًّا، وهوَ ما يَعْني أَنَّ هذا الحَدَثَ مُؤَرَّخٌ لَهُ مَعَ الفِعْلِ الَّذي يَتَقاسَمُ الدّلالَةَ مَعَ تِلْكَ المُشْتَقّاتِ.

والأَهَمُّ مِن كُلِّ ما سَبَقَ أَنّ الإِحالَةَ بِالمُشْتَقّاتِ دلاليًّا عَلى الأَفْعالِ مَنْهَجٌ أَصيلٌ في تاريخِ البَحْثِ اللُّغَوِيِّ عِنْدَ العَرَبِ، ومَسائِلُ نافِعِ بْنِ الأَزْرَقِ (ت: 65هـ) لابْنِ عَبّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ (ت: 68هـ) دَليلٌ قاطِعٌ عَلى تَأَصُّلِ هذِهِ الآلِيَّةِ، وهِيَ مِنْ بَواكيرِ المُناظَراتِ العِلْمِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ في تاريخِ العَرَبِيَّةِ، مِمّا يَعْني أَنَّ تَبادُلَ الفِعْلِ المَواقِعَ مَعَ المُشْتَقّاتِ الَّتي يَتَقاسَمُ مَعَها الدّلالَةَ ذاتَها مُمارَسَةٌ سائِدَةٌ في الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ مُنْذُ ما قَبْلَ البَدْءِ في التَّأْليفِ المُعْجَمِيِّ، فانْبِناءُ المُناظَرَةِ في التَّأْكيدِ عَلى عَرَبِيَّةِ الأَلْفاظِ القُرْآنِيَّةِ، بِالإِحالَةِ عَلى

اسْتِعْمالاتِها في أَشْعارِ العَرَبِ بِوَصْفِهِ ديوانًا لَهُمْ، شَكْلٌ مِنْ أَشْكالِ التَّأْريخِ، فَبِذِكْرِ المُسْتَعْمِلِ يَتَوَضَّحُ عَصْرُهُ ويَتَحَدَّدُ الإطارُ الزَّمانيُّ الَّذي يَحْوي الاسْتِعْمالَ.

وقَدْ أَوْصَلنا تَتَبُّع الحالاتِ الَّتي تَبادَلَتْ فيها المُشْتَقّاتُ مَعَ أَفْعالِها المَواقِعَ دلاليًّا فَوَجَدْناها أَرْبَعَ عَشْرَةَ حالَةً، نُثْبِتُ مِنْها هَهُنا ثَلاثًا لِلتَّمْثيلِ: قالَ نافِعٌ سائِلًا ابْنَ عَبّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ: أَخْبِرْني عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسُۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام:70]. قالَ: أَنْ تُحْبَسَ نَفْسٌ بِما كَسَبَتْ في النّارِ، قالَ: وهَلْ تَعْرِفُ العَرَبُ ذلِكَ؟ قالَ: نَعَمْ، أَما سَمِعْتَ زُهَيْرًا يَقولُ:

وفارَقَتْكَ بِرَهْنٍ لا فَكاكَ لَهُ
يَوْمَ الوَداعِ فَقَلْبي مُبْسَلٌ غَلِقا

وكَما هوَ بادٍ في هذا الاسْتِشْهادِ عَلى عَرَبِيَّةِ اللَّفْظِ القُرْآنيِّ اسْتِعانَةُ ابْنِ عَبّاسٍ بِمُشْتَقّ "مُبْسَل «وهوَ اسْمِ مَفْعولٍ لِلدّلالَةِ عَلى الفِعْلِ «تُبْسَل» المَبْنِيِّ لِلمَجْهولِ، وكَما هوَ مَعْلومٌ فَإِنَّ اسْمَ المَفْعولِ يَعْمَلُ عَمَلَ الفِعْلِ المَبْنِيِّ لِلمَجْهولِ ويَحْمِلُ دلالَتَهُ، وذِكْرُ الشّاعِرِ وُقوفٌ عَلى مُسْتَعْمِلٍ وتَحْديدٌ لِتاريخِ اسْتِعْمالٍ.

وقَدْ سارَ ابْنُ الأَزْرَقِ مَعَ ابْنِ عَبّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ سيرَتَهُ السّابِقَةَ، فَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [النّساء:101]. قالَ: أَنْ يُضِلَّكُمُ الَّذينَ كَفَروا بِالعَذابِ والجَهْدِ بِلُغَةِ هَوازِن، قالَ: وهَلْ تَعْرِفُ العَرَبُ ذلِكَ؟ قالَ: نَعَمْ، أَما سَمِعْتَ قَوْلَ امْرِئِ القَيْسِ وهوَ يَقولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مِنْ عِبادِ اللهِ مُضْطَهَدٌ
بِبَطْنِ مَكَّةَ مَقْهورٌ ومَفْتونُ

وتَتَواصَلُ المُناظَرَةُ وِفْقَ هذا المَنْحى فَيَسْأَلُ ابْنُ الأَزْرَقِ ابْنَ عَبّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِ اللهَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب:19]. قالَ: الطَّعْن بِاللِّسانِ، قالَ: وهَلْ تَعْرِفُ العَرَبُ ذلِكَ؟ قالَ: نَعَمْ، أَما سَمِعْتَ قَوْلَ الأَعشى وهوَ يَقولُ:

فيهِمُ الخِصْبُ والسَّماحةُ والنَّجْدَةُ
فيهِمْ والخاطِبُ المِسْلاقُ

وما تَجِبُ الإشارَةُ إِلَيْهِ هَهُنا أَنَّ هذا التَّبادُلَ يَتَنَوَّعُ بِحَيْثُ يُسْتَشْهَدُ أَيْضًا عَلى الأَسْماءِ والمُشْتَقّاتِ بِالأَفْعالِ الَّتي تُشارِكُها الدّلالَةَ ذاتَها، ومِن ذلِكَ -مَثَلًا- سُؤالُ ابْنِ الأَزْرَقِ ابْنَ عَبّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم:22]. قالَ: قِسْمَة جائِرَة حينَ وَصَفوا أَنَّ للهِ البَناتِ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ، قالَ: أَوَ تَعْرِفُ العَرَبُ ذلِكَ؟ قالَ: نَعَمْ، أَما سَمِعْتَ امْرَأَ القَيْسِ وهوَ يَقولُ:

ضازَتْ بَنو أَسَدٍ بِحُكْمِهِمْ
إِذْ يَعْدِلونَ الرَّأْسَ بِالذَّنَبِ

تَأْسيسًا عَلى ما تَقَدَّمَ نَصِلُ إِلى أَنَّ أَساسَ نَجاحِ أَيِّ عَمَلٍ عِلْميٍّ حَضاريٍّ صَرامَةُ المَنْهَجِ الَّذي تَمَّ تَبَنّيهِ والسَّيْرُ عَلَيْهِ في إِنْجازِ العَمَلِ، ومَدى الحِرْصِ في الوَفاءِ لَهُ، وكَذا أَصالَةُ ذلِكَ المَنْهَجِ ومُوافَقَتُهُ لِطَبيعَةِ العَمَلِ. وهوَ ما نَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ تَحَقَّقَ في المُعْجَمِ التّاريخيِّ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الَّذي سَهِرَتْ عَلى رِعايَتِهِ مُؤَسَّساتٌ عِلْمِيَّةٌ راقِيَةٌ مُمَثَّلَة في مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِالشّارِقَةِ، واتِّحادِ المَجامِعِ اللُّغَوِيَّةِ العِلْمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ. وهذا ما تَجَسَّدَ في الشَّجاعَةِ العِلْمِيَّةِ الَّتي تَحَلَّتْ بِها الهَيْئاتُ العِلْمِيَّةُ لِلمُعْجَمِ مِن خِلالِ إِسْقاطِ خيارِ التَّأْريخِ لِلمُشْتَقّاتِ مُسْتَنِدَة عَلى تَأْصيلٍ عِلْميٍّ وتاريخيٍّ عَريقٍ في البَحْثِ اللُّغَوِيِّ عِنْدَ العَرَبِ. كَما أَنَّ إِسْقاطَ هذا الخيارِ لا يَعْني التَّجاهُلَ التّامَّ لَها فَقَدْ لاحَظْنا أَنَّ التَّمَحُّضَ للاسْمِيَّةِ مُسَوِّغٌ كافٍ لِلتَّأْريخِ، ومِنَ الوارِدِ بَلْ مِمّا عُمِلَ بِهِ أَنَّهُ إِذا وُجِدَ اسْتِعْمالٌ لِلمُشْتَقِّ أَقْدَمُ مِنَ الفِعْلِ في الدّلالَةِ المَبْحوثِ عَنْها اعْتُدَّ بِالمُشْتَقِّ في التَّأْريخِ لَهُ.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم، مصحف المدينة المنوّرة.
2. إبراهيم السّامرّائيّ، سؤالات نافع بن الأزرق لعبد الله بن عبّاس. مطبعة المعارف، بغداد.1968.
3. محمّد حسن عبد العزيز، المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة: وثائق ونماذج. دار السّلام، القاهرة.2008.
4. مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة. على الموقع:
5. https://www.almojam.org

المعجمُ ورِهانُ تطويرِ اللّغة

تتبوّأ اللغةُ مكانةً مهمة في حياة الأفراد داخلَ المجتمع، وتنبُع أهميّتُها من كونها تشكّلُ أداةً تعبيريّةً مهمّةً تمكّنُ من تحقيق عدّةِ وظائفَ في حياتهم، كما تُعدُّ اللغةُ وسيطًا تواصُليًا مهمًا ينبني عليه التواصُلُ في المجتمع، إضافةً إلى كونها وسيلةً مهمّةً تتحقّقُ بها مجموعةٌ من الأغراضِ والأهدافِ التي تتباين بحسَب مطالبِ الأفرادِ وحاجاتِهم.

ومعلوم أنّ اللغة بمثابة كائنٍ حيٍّ ينمو ويتطوّر باستمرار بناءً على الظروف والمستجِدّاتِ التي يفرِضها العصرُ، والتي تقتضي منَ اللغة أن تكون مسايرةً لهذه الظروفِ ومواكِبةً لها؛ قَصْدَ التعبير عنها ووصفها بدقّة. واللغةُ العربيّة كسائرِ اللغاتِ العالميّةِ المعروفةِ تعمل على مسايَرة تطوُّراتِ العصر موظِّفةً في ذلك أبرزَ الأدواتِ التي تمتلكُها في نَسَقها اللسانيِّ خصوصًا المعجميَّ، وذلك من أجل تسهيلِ عمليةِ مواكَبتها للعصر وتيسيرها، سواء أكان ذلك بتوليد ألفاظٍ جديدة ومستحدَثة أم بالتقاط المفردات الواصفة والمعبرة من اللغات الأخرى واستقطابها.



الدكتور أنس ملموس
محرّر بالمعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة

وتأسيسًا على ما سبق، فإنّ هذه الورقةَ تروم تسليطَ الضوءِ على العِبْءِ الذي يحمله المعجمُ في تطوير اللغةِ، وكذا في جعلها قادرةً على مواكبة العصرِ بمختلف تحدّياته ومستجِدّاته، كما أنّها تسعى إلى الكشف عن أهمِّ الأدواتِ المعجميّة التي تستند إليها اللغةُ في عمليّة توليدِ المفردات والتعابير اللغويّةِ وإنتاجِها.

وعليه، فإنّ ورقتَنا هذه تُعنى بالإجابة عن مجموعة من التساؤلات التي سنعرِضُها تِباعًا كالآتي:

*** ما أبرزُ السَّيْروراتِ اللّسانيّة التي تعتمدها اللغةُ في عمليّة تجديد ذخيرتِها اللغويّة وتحديثها؟**

*** وإلى أيِّ حدٍّ يُسهم المعجمُ في تطوير اللغةِ وإغنائها؟**

*** وما مدى تمكّنِ اللغةِ العربيّة من النجاح في التعبير عن مختلفِ القضايا؟**



ممدوح خسارة



عبدالصبور شاهين



إميل منذر



أحمد المعتوق

وللإجابة عن هذه التساؤلات سنقوم في بداية هذا المقال بالعمل على إبراز عَلاقةِ المعجم باللغة مبيّنينَ في ذلك الأهميّةَ التي يَشغَلُها داخلَها والعملَ الذي يضطلع به في عمليّة تحديثِها وتطويرِها، وبعد ذلك سننتقل لتَعداد أهمِّ الأدواتِ المعجميّةِ التي تعتمدها اللغةُ العربيّةُ في عمليّة توليدِ ألفاظِها وتعابيرِها اللغويّةِ وتجديدِها، وفي الأخير سنُبرز مدى فاعليّةِ هذه الأدواتِ التوليديّةِ في جعل اللغةِ العربيّة مواكِبةً لمختلف التطورات الحاصلة في المجتمع ومسايرة لها، حتّى في الميادين العلميّة والتقنيّة المتخصِّصة.

1. المعجمُ واللغة:

يشكِّل المعجمُ مستوًى لسانيًّا مهمًّا ذلك أنّه يقومُ بدورٍ محوريٍّ في عمليّة التحليلِ والتأويل اللسانيِّين، إضافةً إلى كونه يشكِّل نقطةً تتقاطع فيها مختلفُ المستوياتِ اللسانيّةِ ممّا يجعله مَدخلاً نحوَ باقي المستوياتِ الصوتيّةِ والصرفيّة



والتركيبيّة والدّلاليّة وحتّى الذَّريعيّة.

ومن المعلوم أنّ المستوى المعجميَّ هو المسؤولُ عن توليد المفرداتِ، وكذا عن الكشف عن طبيعة الروابطِ اللسانيّةِ المعجميّة التي يربط بعضُها بعضًا داخلَ تصنيفاتٍ ومجالات محدّدةٍ غالبًا ما تُعرف بالحقول المعجميّة، بالإضافة إلى رصد العلاقاتِ التي تقيمها هذه الوحداتُ المعجميّةُ فيما بينها في إطار ما يعرف بالعلاقات المعجميّة.

وبناءً على هذا فإنّ المعجم يعدُّ مَدخلًا مهمًّا من مداخل تطويرِ اللغة وإغنائِها ذلك أنّه هو المسؤولُ عن عملية تحديثِ اللغة وتجديدِها، وذلك بناءً على استقطاب المفرداتِ والتراكيب اللغويّةِ وتوليدِها بالشكل الذي يسهم في إنماء الذخيرةِ المعجميّة للّغة، ممّا يمنح متكلّمي اللغةِ خياراتٍ لغويّةً هائلة تؤهّلهم للتعبير عن مختلف القضايا والمستجِدّات المختلفةِ بشكل سلس ودقيقٍ.

وعليه، يمكن القول إنّ المعجم يساوق التطوُّرَ الحاصل على مستوى الحياة وميادينها المختلفةِ والمتنوّعة، وبناء على ذلك يتحدّد غِناه ونَماؤه، وهذا ما يتوافق مع ما يصرِّح به إميل منذر (2016) إذ يؤكّد أنّ الحياة تتطوّر باستمرار، وتطوُّرُها هذا يفرض تطوُّرًا وتغيُّرًا في مفردات اللغةِ حتّى تتمكّن من التعبير عن كلِّ شؤون الحياةِ وشجونها.

وبالإضافة إلى هذا فإنّ المعجم يسهم إلى حدٍّ كبير في جعل اللغةِ مؤهَّلةً نحو دخولِ غِمار مجالاتٍ وقطاعاتٍ مختلفةٍ، وذلك بناءً على ما تنطوي عليه من ألفاظٍ وتراكيبَ دالّةٍ ومعبِّرة. وعليه، نؤكّد أنّ المعجم هو الذي يمنح اللغةَ بُعدها الاستعماليَّ والتداوُليَّ بناءً على ما يحتويه من مفرداتٍ وتعابيرَ لغويّةٍ مناسبة.

كما يؤكّد أحمد المعتوق (2008) أنّ التغيراتِ السياسيّةَ والاجتماعيّة والتحوُّلاتِ التاريخيّةَ والحضاريّة لابدّ أنْ يصحبها تغيُّرٌ أو تطوُّر في القيم والمُثُل والمفاهيم، وفي أساليب التفكير ووسائل العيشِ وأنماطِ الحياة، فتُستحدَث صورٌ ذِهنية وأفكارٌ ومعتقَدات ومواقفُ ونشاطات، وتُستحدَث مشاربُ ومآكل وملابس وأدوات، فتنشأ نتيجةً لذلك كلماتٌ ومصطلحات وتعابير وصِيغٌ جديدة، كما تُستحدث معانٍ ومفاهيمُ

اللغة بمثابة كائنٍ حيٍّ ينمو ويتطوَّر باستمرارٍ بناءً على الظروف والمستجِدّاتِ التي يفرِضها العصرُ.

يشكِّل المعجمُ مستوًى لسانيًّا مهمًّا ذلك أنّه يقومُ بدورٍ محوريٍّ في عمليّة التحليلِ والتأويل اللسانيِّين.

المعجم يسهم إلى حدٍّ كبير في جعل اللغةِ مؤهَّلةً نحو دخولِ غِمار مجالاتٍ وقطاعاتٍ مختلفةٍ.



ومدلولات لكلمات قديمة عن طريق التحويل أو النقل أو المجاز والتطويع والتوليد اللغويّ بكلِّ أشكاله وطُرقه.

عمومًا، يمكن القولُ إنّ المعجم يشكّل حلقةَ وصلٍ بين اللغةِ والتطوُّر الحاصل على مستوى الحياة، إذ إنّه يتطوّر بتطوّر المجتمع، ويجدِّد ألفاظَ اللغة بناءً على ما يوجد في المجتمع، كما أنّه دائم التطوّر والتجدّد، ويسقط خصائصَه التطوّريّة على اللغة من أجل جعلِها لغةً حيّة متطوِّرة ودائمة التجدُّد ودقيقةَ الوصف والتعبير كذلك.

2. أدوات التوليدِ المعجميّ

بما أنّ اللغات بمختلِف أنواعِها وأصنافها تمتاز بدوام التطوّر والتغيّر، تتأثَّر كما تؤثِّر في غيرها من اللغات، فإنّها تعتمد على وسائلَ توليديّةٍ عديدة تختلف بحسب الطبيعة اللسانيّة التي تحكم نَسَقَها بالشكل الذي يَرقى بها نحوَ إنتاجِ المفردات واستقطابِها من أجل سدِّ حاجتها وزيادة قدرتِها على استيعاب الوقائعِ والمستجِدّات الطارئةِ سواء العامّة أو المتخصِّصة.

واللغة العربيّة تنحو كذلك المنحى نفسَه الذي تسلكه اللغاتُ الأخرى في عمليّة تجديد ذخيرتِها اللغويّة وإغنائِها بشكل مُتوالٍ ومتّصلٍ بما جَدَّ من المفردات والتعابير اللغويّة ممّا يُكسبها قدرةً كبيرة على التعبير ووصفِ المستجِدّات بشكل دقيق ومضبوط.

ولاشكّ في أنّ اللغة العربية باتت من بين اللغاتِ المعروفة والمؤثِّرة ممّا مكّنها من تبوُّءِ مراتبَ مهمّةٍ في سلَّم تصنيف اللغاتِ العالميّة، وذلك بسبب قدرتها على استيعاب المستجِدّات الطارئة على مستوى مختلِف الأصعدةِ ونجاحِها في دِقّة التعبير عنها ووصفِها.

وانطلاقًا من هذه المكانةِ الاعتباريّة التي تنبني عليها اللغةُ العربيّة فإنّ الاهتمام والاعتناء باللغة العربيّة أصبح مسألةً ضروريّة، وذلك باعتمادها في مختلِف المستويات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة، وذلك بفضل ما تتملكه من مقوِّمات وأسسٍ لسانيّة تسمح لها بأنْ تعبّر عن كلِّ المستجِدّات بشكل سلس وسهل.

وهذا ما يؤكّده عبد الله بن أحمد محمد القليصي (2017) إذ يصرّح بأنّه زاد الاهتمام في الوقت الحديث بالتوليد اللغويّ، وبتكثير ألفاظِ اللغة بوضع المصطلحات العلميّة، ويؤكّد الواقعُ اللغويّ حاجةَ الناطقين بالعربيّة إلى توليد ألفاظٍ جديدة لسدِّ الفراغات المعجميّة، ولتلبية احتياجاتِ الحضارة الجديدة بجميع مظاهرِها.

وجدير بالذكر أنّ أدوات التوليد المعجميّ وطرائقَها تتحدّد من خلال مجموعة من الوسائل اللغويّة الإنتاجيّة التي تعتمدها اللغاتُ في عمليّة تحديث ذخيرتِها اللغوية وإنتاجِ مفرداتٍ جديدة ذاتِ قدرة استعماليّة كبيرة. وهي ترتبط بمستجِدّات العصر الحاصلةِ على مختلِف الأصعدة والمستوَيات.

ويُعدُّ التوليدُ اللغويّ مظهرًا من مظاهر التنمية اللغويّة والثراءِ اللغويّ، وتُحدُّ التنميةُ اللغويّة بحسب ممدوح محمد خسارة (2017) بأنّها زيـادةُ الثروة اللفظيّة والتعبيريّة للغة، بما يبتكره أبناؤها من كلمات صِيغت على أبنيةٍ لم تكن قد استُعملت فيها، أو بما ينوّعونه من دلالاتِ كلماتٍ لم تكن لها، وكلُّ ذلك بما لا يخالف أصلًا لغويًّا ثابتًا. ثمّ بما يقترضونه من اللغات الأخرى من مفرداتٍ وأساليبَ لا تخرج عن ضوابط العربيّة ومنهجِها.

ويرتبط التوليد بحسب عبد العزيز المطاد (2015) بتطوّر المجتمعِ على الصعيدين الفكريّ والحضاريّ؛ إذ ظهورُ المعرفة الجديدة يحتِّم بروزَ الألفاظ والمصطلحات الدالّة عليها، وكذا ظهورُ المخترعات والمعاني الجديدة يحتِّم تسميتَها بألفاظ جديدة.

وتتحدَّد أدواتُ التوليد المعجمي وطرائقُها التي تسلكها اللغاتُ عمومًا، واللغةُ العربيّة بشكل خاصٍّ، في إنتاج المفردات والتعابير اللغوية المعبرة وتوفيرها ، بل هي مجملُ السَّيْروراتِ التي تعتمدها في توليد ألفاظها وتجديدها، وهي ما تسمّى أيضا بـ "آليّات التوليد اللغويّ"، وتتمثَّل في كلّ الطرقِ والعمليّات التي تسلكها اللغةُ لتجديد معجمِها وإنمائه ، وبهذا تكون هذه العمليّةُ كلّيّة (Universal)، أي إنّ سائر اللغاتِ العالميّة الحيّة تخضع لها وتعتمدها من أجل إغناء معجمها وإثرائه وتوسيعه. كما أنّ هذه المبادئ والوسائل تعبّر عن المظهر الحيويّ للغة، بالإضافة إلى أنّها تؤكّد الطرح القائل إنّ اللغة كائنٌ حيٌّ دائم التطوّر، فهذه المبادئ تُكسب اللغة قدرةَ احتواءِ كلِّ جديد طارئ في المجالات الحياتيّة أو العلميّة واستيعابه.

ويمكن القول إنّ الإمكانات التي تتيح للغة العربيّة توسيعَ شبكةِ مفرداتها وتجديدها، تنقسم إلى:

❊ إمكانات داخليّة: تكون خاصّة باللغة نفسها، كالاشتقاق والنحت والتركيب.

❊ إمكانات خارجيّة: تُعنى بالجانب العلائقيّ للغة كالاقتراض والتعريب.

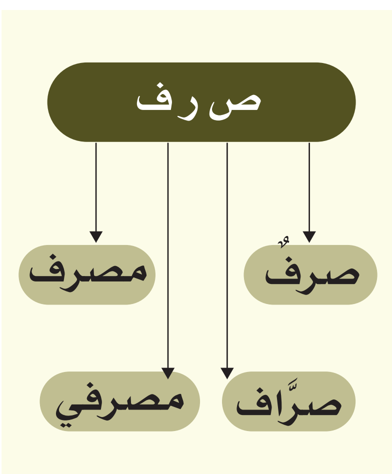
وسنقتصِر في هذه الورقة على الاشتقاق والتركيب، لكونها أهمَّ الإمكاناتِ التي تتيحها اللغةُ العربيّة لوضع الألفاظ وتجديدِها وأبرزَ تلك الإمكانات.

2 - 1 - الاشتقاق:

يُعدُّ الاشتقاق بشكل عامٍّ أحدَ أبرزِ العوامل والعمليّات التي تعتمدها اللغةُ العربيّة في وضع وتجديد مفرداتِها بشكل عامٍّ، والاقتصاديّة بشكل خاصٍّ، وهو مظهرٌ يدلّ على خصوصيّة اللغة العربية، كما يُعدّ السِّمة التي تميّزها عن غيرها، بحكم أنّها لغة اشتقاقيّة وليست إلصاقيّةً كالفرنسية والإنجليزية وغيرهما.

كما أنّ مبدأ الاشتقاق يهمّ بنيةَ الكلمة، معنى هذا هو أنّه يندرج ضمن انشغالاتِ المستوى الصرفيِّ في اللغة العربيّة، وتنطلق اللغة العربيّة في عمليّة الاشتقاق من جِذْر ثلاثيٍّ بسيط لتكوّن منه مجموعةً من الكلمات التي تختلف من حيث الاستعمالُ والتوظيف، وهذا ما يتوافق مع ما نقله ألتونجي (2003) من أنّ الاشتقاقَ عمليّةٌ تقوم على نزع لفظٍ من آخر بشرط تناسُبهما لفظًا وتركيبًا ومغايرتِهما في الصِّيغة. وهذا مثالٌ لعمليّة الاشتقاق:

- جذر: ص ر ف



إنّ ما يلاحظ بناءً على المثال أعلاه هو أنّ عمليّة الاشتقاق هي عمليّة "توليديّة" لكونها تنطلق من جذر بسيط ومحدود، لتكوِّن بناءً عليه عددًا كبيرًا من المشتقّات التي لها استعمالات عديدة، لكنّها تشترك في المعنى الواحد، ففي (صرف، صراف، مصرف، مصرفي) كلُّها تشترك في معنى واحدٍ ألا وهو معنى صرفِ العملات، لكنْ بصيغ مختلفة.

2 - 2 - التركيب:

يُعدُّ التركيب من العمليّاتِ التوليديّة التي تعتمدها اللغةُ العربيّة بشكل مطّرد في عمليّة توسيعِ معجمها وذخيرتِها اللغويّة الواصفة، ويتأسَّس هذا المبدأ بحسب عبد العزيز المطاد (2015) على تركيب كلمتين فأكثر.

ووَفْقًا لهذا فإنّ مبدأ التركيب يعدُّ مبدءًا تأليفيًّا ودمجيًّا، ويصرِّح عبد الصبور شاهين (1986) بأنّ للتركيب في اللغة العربيّة مفهومًا محدَّدًا يتمثّل في ضمِّ كلمة إلى أخرى بحيث يكوِّن في مجموعهما عبارةً واحدة ذاتَ مفهوم موحَّد ، وتُبرز الأمثلةُ أسفلَه بعضَ التنوّعات الخاصّة بالمركَّبات التي ترد بكثرة في اللغة العربيّة:

❊ **التنمية والتطوّر** (**تركيب عَطْفيّ**)

❊ **ا للسانيّات الوصفيّة** (**تركيب وَصْفيّ**)

❊ **مبيعات السيّارات** (**تركيب إضافيّ**)

❊ **الدفع عند الاستلام** (**تركيب ظَرْفيّ**)

❊ **التوليد اللغويّ** (**تركيب وَصْفيّ**)

عمومًا، فإنّ مبدأ التركيب يُعدّ من أبرز الإمكانات التي تمتلكُها اللغةُ العربيّة، وقد أبانَ عن قدرته على إعانة اللغة العربيّة في سَيْرورة توليدِ مركّباتها اللغوية

وإنتاجها، سواء العامّة أو الخاصّة، وأبانَ عن فاعليّته في ذلك.

3 - نجاعةُ اللغة العربيّة في مواكبة العصر

تشكّل تطوُّراتُ العصر ومستجِدّاتُه الحاصلةُ على مختلِف المستوَيات رائزًا يختبِرُ قُدرةَ اللغة العربيّة على مواكَبة الوقائع الطارئة، وانطلاقًا من الأمثلة المقدَّمة آنفًا، خصوصًا التي ترتبط بأدوات التوليد المعجميّ ووسائله التي تنطوي عليها اللغةُ العربيّة، فقد تبيَّن لنا وبالملموس أنّ اللغة العربيّة تمتاز بقدرة كبيرةٍ على نقل مختلِف الأحداث المستجدة الطارئة ووصفها، سواء في مجالات الحياةِ العامّة أو في الميادين المتخصِّصة.

واتصالاً بما سبق، فإنّ اللغة العربيّة تتمتّع بقدرة كبيرة على مسايَرة مختلِف التطوّرات والمستجِدّات، بناءً على ما تمتلكه من أدوات ووسائلَ توليديّةٍ تمكّنها من تجديد ذخيرتها ومعجمها اللغويّ الواصف بشكل مستمرٍّ ومُتوالٍ، ويربط بوجمعة وعلي (2018) عمليّةَ استيعابِ اللغة العربيّة للعصر بمجموعة من العوامل التنمويّة التي يمكن للغة العربية أن تحقّقها بشكل سلس، ذلك أنّه يؤكّد أنّ التدريس باللغة العربيّة لغةً قوميّة ووطنيّة في كلِّ الوطن العربيّ، وتوظيفَها في كلّ مجالات الحياة الثقافيّة والاقتصاديّة والعلميّة والتعليميّة، وتداوُلَ كلِّ أنواعِ العلوم والمعارف بها؛ شرطٌ أساسيّ وضروريّ وحتميّ لاستيعاب العلم والمعرفة أوّلاً، ولتوطينها ثانيًا، وللإبداع فيها ثالثًا، لأنّ التقدم والتنمية المنشودة لا يمكن استيرادُها، ولا تتمُّ بشراء وسائلِ الإنتاج، بل من خلال توطينِ المعرفة.

> **اللغة العربيّة تتمتّع بقدرة كبيرة على مسايَرة مختلف التطوّرات والمستجِدّات.**

> **تتمتّع اللغة العربيّة بالعديد من الأدوات التي تعينها في توليد وإنتاج مفرداتِها العامّةِ والخاصّةِ التي تساعدها على إبقائها لغةً حيّة ومواكِبة لجميع التطوُّرات.**

عمومًا، يمكن الإجماعُ بأنّ اللغة العربيّة نجحت إلى حدٍّ كبيرٍ في مسايَرة مختلِفِ تطوُّرات العصر ومستجِدّاتِه بنجاعة وفاعليّة كبيرتين، كما أنّها برهنت على قدرتها على استيعاب كلِّ المستجِدّات الطارئة في المناحي الحياتيّة العامّة واحتوائِها، وفي التخصُّصات العلميّة المتخصِّصة بشكل خاصٍّ، وهذا بفضل ما تمتلكه من إمكانات وأدوات تسعفها في توفير المفردات والمصطلحات المعبّرة اللازمة متى اقتضى الأمر ذلك واستلزمه.

خلاصة:

تتمتّع اللغة العربيّة بالعديد من الأدوات التي تعينها في توليد وإنتاج مفرداتِها العامّةِ والخاصّةِ التي تساعدها على إبقائها لغةً حيّة ومواكِبة لجميع التطوُّرات الحاصلة في كلّ الجوانب الحياتيّةِ والعلميّة والتقنيّة.

ومـن خلال مـا سبق تبيّن لنا وبالملموس أنّ الأدوات التي تمتلكها اللغةُ العربيّة تساعدها في إنتاج مصطلحاتها ومفرداتها بشكل ناجعٍ وفعّال، كما اتّضح لنا أنّ أدواتِ اللغةِ العربيّة تتعامل بمرونة في عمليّة وصفِها لمختلِف مستجِدّاتِ العصر وتطوُّراته، وهذا دليلٌ على قدرة اللغة العربيّة على استيعاب كلٍّ جديد.

لائحةُ المراجعِ المعتمَدةِ:

* ألتونجي محمد، (2005)، المعرَّب والدخيل في اللغة العربيّة وآدابِها، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
* خسارة محمد ممدوح، (2017)، التنمية اللغويّة: طريق إلى المعاصرة، منشورات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق.
* شاهين عبد الصبور، (1986)، العربيّة لغة العلوم والتقنية، ط2، دار الاعتصام، مصر.
* القليصي عبد الله بن أحمد محمد، (2017)، التوليد اللغويّ، دار غيداء للنشر والتوزيع.
* المطاد عبد العزيز، (2015)، اللسانيّات وقضايا المصطلح العربيّ، منشورات الرباط نت، المغرب.
* المعتوق محمد أحمد، (2008)، المعاجم اللغويّة العربيّة، دار النهضة العربيّة، بيروت.
* منذر إميل، (2016)، اللغة العربيّة الفصحى، دار النهضة العربيّة، بيروت.
* وعلي بوجمعة، (2018)، اللغة العربيّة والتنمية: الميسّرات والمعيقات، E-kutub Ltd.

قصّةُ كلمة
«مِنَ المُعجمِ التّاريخيِّ للّغةِ العَربيّةِ»

المُدير

كلمة عربيّة تبدّلت دلالاتها عبر العصور-حسب ما يرصد المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة-، إذ كانت تُطلق في العصر الإسلاميّ على التّاجر الذي يبيع السّلع في أثناء الحَول فلا تستقرّ بيده سلعة، وفي العصر العباسيّ أصبحت تُطلق على من يدير السّجلات التي يَكتبُ الشُّهودُ عليها شهادَتَهم، أما في عصرنا اليوم فأصبحت تُطلق على من يتولّى تصريف مصلحةٍ وإدارتها كالشّركة والمصنع والمركز ونحو ذلك.

السّيّارة

كلمة عربيّة الأصل والاستعمال تبدّلت دلالتها عبر العصور -حسب ما يرصد المعجم التاريخي للغة العربية-، فقد دلّت في العصر الإسلاميّ على القوم المسافرين في قافلة ونحوها، ومن ذلك قوله تعالى:
{أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ...}[المائدة: 96]
كما دلّت كذلك على العير وهي كلّ قافلة تحمل الطّعام، ومن ذلك قوله تعالى: {وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ...} [يوسف: 19]، وكذلك السّيّارة من الكواكب: المتحرّكة في الفضاء، أمّا اليوم فنطلقها على العربة الآليّة سريعة السّير، تسير بالبنزين ونحوه، وتُستَخدَم في النّقل.

الحَرَم

كلمة عربيّة تُستَعمل في سياقات عديدة، وهي تدلّ في أصلها على ما يُحْمى من الأمْكِنَة ويُمنعُ من انْتِهاكِه والاعتداءِ فيه، ومنها أصبحت كلمة (حَــرَم) تدلُّ على الحَرَم المكّيّ والحرم المدنيّ، ومنه قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا...} [العنكبوت: 67] ، والحرَمُ هو ما يحميه الرّجلُ ويُدافع عنه، ومنه يقال اليوم: حرَمُ فلان، أي: زَوجُه، كذلك تدلّ كلمة الحرم على ما نُهِيَ عن فِعْلِه أو كسْبِهِ شرْعًا أو عُرْفًا.

جُرثومة

كلمة عربيّة الأصل -حسب ما يرصد المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة-، دلّت في عصر ما قبل الإسلام على: الأصل، يقال: جرثومة العرب، أي أصل العرب

أمّا في العصر الإسلامي فحملت دلالتين إضافيتين:

1 - ما يجتمع من تراب على شكل أكوام تعلو الأرض.

2 - قرية النّمل وما يجمعه من تراب

أما في العصر العباسيّ فأصبحت تدلّ كذلك على الموضع النّاتئ في الحلق.

أمّا اليوم فأصبحت تدلّ على الكائنات الدّقيقة المسببة للأمراض.

من المُعجمِ التّاريخيّ للّغة العربيّة

رحلــة مــع الجــذر (ر ج ع)

اللُّغَةُ العَرَبيَّةُ قِبْلَةُ البَيانِ وكَعْبَةُ التِّبْيانِ، إِلَيْها يَحُجُّ أَرْبابُ الفَصاحَةِ ويَفِدُ أَقْطابُ البَلاغَةِ، يَطوفونَ في بَديعِ مَعانيها، ويَسْعَونَ في جَزيلِ مَبانيها، يَتَنَسَّكونَ في مِحْرابِ دلالاتِها، ويَتَلَذَّذونَ بِحَلاوَةِ صِيَغِها وتَقَلُّباتِها، يَرْتَشِفونَ مِنْها صافِيَ العَبيرِ؛ فتَزْدادُ أَناقَتُهُمْ في التَّعْبيرِ، وتَفيضُ أَلْسِنَتُهُمْ بِالعِباراتِ البَديعَةِ الرَّصينَةِ، والجُمَلِ المَسْبوكَةِ المَتينَةِ.

وهذِهِ اللُّغَةُ بِدِراسَةِ مُفْرَداتِها ومَعانيها حَقيقَةٌ، وبِالتَّبَحُّرِ في دلالَةِ أَلْفاظِها وجُذورِها خَليقَةٌ، ومِنَ الجُذورِ الَّتي تَحْفَلُ بِالمَعاني والدَّلالاتِ، وتَتَمَيَّزُ بِكَثْرَةِ الشَّواهِدِ والاسْتِعْمالاتِ، ولَها دلالاتُها المَعْنَويَّةُ والمادِّيَّةُ والحَقيقيَّةُ والمَجازيَّةُ، الجذْرُ (ر ج ع)، وقَدْ سَجَّلَ المُعْجَمُ التّاريخيُّ لِلُّغَةِ العَرَبيَّةِ لِلجذْرِ (ر ج ع) سيرَةً دلاليَّةً بِالمَعاني عاطِرَةً، ومَسيرَةً أُسْلوبيَّةً بِالتَّراكيبِ زاخِرَةً؛ إِذْ بَلَغَ عَدَدُ مَداخِلِهِ ثَلاثَةً وثَلاثينَ، وأَتَمَّتْ صَفَحاتُهُ المِئَةَ.



د. بهاء الدين دنديس
باحث لغوي في مجمع اللغة العربية بالشارقة

وعِنْدَ سَبْرِ غَوْرِ هذا الجذْرِ نَجِدُ أَنَّ تِلْكُمُ المَعاني والدّلالاتِ تَلْتَفُّ حَوْلَ مَعانٍ كُلِّيَّةٍ أَبْرَزُها: العَوْدُ والارْتِدادُ والتَّكرارُ.

والنّاظِرُ في دلالاتِ الجذْرِ (ر ج ع) يَتَبَدّى لَهُ جَلِيًّا مَعْنى العَوْدِ إلى ما كانَ مِنْهُ البَدْءُ أَوْ إلى الحالَةِ الأولى، وهَذا المَعْنى حاضِرٌ في لُغَةِ ساداتِ الجاهِلِيّينَ، فهَذا كَعْبُ بْنُ لُؤَيّ سَيّدُ كِنانَةَ يَقِفُ خَطيبًا في قَوْمِهِ ويَعِظُهُمْ، ويُذَكِّرُهُمْ بِأَنَّ الدُّنيا سَريعَةُ الانْقِضاءِ يَعْقُبُها الفَناءُ، وأَنَّها مَمَرٌّ لا مَقَرٌّ، وأَنَّ الحَصيفَ مَنِ اسْتَثْمَرَ فيها زَرْعَهُ، لِيَحْصُدَ في الآخِرَةِ ثَمَرَهُ، ويَدْعوهُمْ إلى اغْتِنامِ الأَوْقاتِ واسْتِثْمارِ اللَّحَظاتِ، فَمَنْ يوافيهِ الأَجَلُ المَحْتومُ في المَوْعِدِ المَرْقومِ فَقَدِ انْتَقَلَ إلى حَياةٍ جَديدَةٍ، لا عَوْدَةَ مِنْها إلى حالِهِ الأولى أَوْ إلى ما كانَ عَلَيْهِ قَبْلُ، فيَقولُ:

1: رَجَعَ — فعل

1-1: * رَجَعَ (بِفَتْحِ الجيمِ) فُلانٌ وغَيْرُهُ يَرْجِعُ (بِكَسْرِ الجيمِ) رَجْعًا ورُجوعًا، ومَرْجِعًا، ومَرْجِعَةً، ورُجْعى، ورُجْعانًا: عادَ إلى ما كانَ مِنْهُ البَدْءُ، أَوْ إلى حالِهِ الأولى.

(ق. س) (480ق.هـ/169م) إلى (1ق.هـ/621م)

قالَ كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ (ت: 227ق.هـ=401م) يَعِظُ قُرَيْشًا، وقَدْ جَمَعَهُمْ يَوْمًا:

«اسْمَعوا، وعوا، وتَعَلَّموا، تَعْلَموا (...) فَصِلوا أَرْحامَكُمْ، واحْفَظوا أَصْهارَكُمْ، وثَمِّروا أَمْوالَكُمْ وأَصْلِحوا أَحْوالَكُمْ، فَهَلْ رَأَيْتُمْ مِنْ هالِكٍ رَجَعَ، أَمْ مَيِّتٍ نُشِرَ؟».

العسكري، الأوائل. دار البشير، ص: 43.

ومِنْ مَعاني الرُّجوعِ: الانْصِرافُ، ومِنْ ذلِكَ ما جاءَ عَنِ النَّبِيِّ المُصْطَفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ في الحَديثِ الشَّريفِ:

1-2: وـــ : انْصَرَفَ.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ النَّبِيُّ ﷺ (ت: 11هـ=632م):

«مَنْ حَجَّ هذا البَيْتَ، فلَمْ يَرْفُثْ، ولَمْ يَفْسُقْ، حَتّى يَرْجِعَ، رَجَعَ كَيَوْمِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ».

مسند الحميدي. تح: حبيب الرحمن الأعظمي، ص: 215.

ومِنْ جَميلِ التَّعْبيراتِ قَوْلُهُمْ: رَجَعَ القَوْمُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ القَوْلَ؛ أَيْ: لامَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وقَدْ جاءَتِ الآيَةُ الكَريمَةُ تَحْمِلُ هَذا التَّعْبيرَ الأَنيقَ، بِمَعْناهُ الثَّريِّ العَميقِ، في قَوْلِهِ تَعالى حِكايَةً عَنِ الظّالِمينَ في مَشْهَدِ العَرْضِ أَمامَ مَلِكِ المُلوكِ:

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

في القُرْآنِ الكَريمِ (11هـ=632م) قالَ اللهُ ﷻ:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾. (سبأ: 31)

وما أَجْمَلَ التَّعْبيرَ عَنِ التَّوْبَةِ واسْتِشْعارِ النَّدَمِ عَلى الذَّنْبِ؛ بالرُّجوعِ إلى اللهِ، فالأَصْلُ في العَبْدِ أَنْ يَكونَ طائِعًا للهِ قَريبًا مِنْهُ في مَعِيَّتِهِ، فإذا أَذْنَبَ ابْتَعَدَ عَنْ رَبِّهِ ومَوْلاهُ، وتَجافى عَنْ حِماهُ، فإذا تابَ رَجَعَ إلى حالِهِ الأولى وعادَ إلى ما كانَ عَلَيْهِ قَبْلَ المَعْصيَةِ، وفي هذا يَقولُ الإمامُ الشّافِعيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

1-8: وــــ فُلانٌ إلى اللهِ: اسْتَشْعَرَ الذَّنْبَ، فتابَ إلى اللهِ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ الشّافِعِيُّ (ت: 204هـ=819م) في النَّهْيِ عَنِ الطَّمَعِ، والدَّعْوَةِ إلى العِلْمِ ومُراقَبَةِ اللهِ:

حَسْبي بِعِلْمي إِنْ نَفَعْ
ما الذُّلُّ إِلّا في الطَّمَعْ
مَنْ راقَبَ اللهَ رَجَعْ
ما طارَ طَيْرٌ وارْتَفَعْ
إِلّا كَما طارَ وَقَعْ

ديوان الشّافعيّ. تح: عمر الطّبّاع، ج: 1، ص: 85.

والعَرَبُ تَقولُ لِلحَوْضِ إذا كَثُرَ ماؤُهُ وبَلَغَ حافَّتَهُ: قَدْ رَجَعَ الحَوضُ إلى إزائِهِ، وهَذا المَعْنى أَوْرَدَهُ الإمامُ أَبو عَمْرٍو الشَّيْبانيُّ مُسْتَشْهِدًا بِقَوْلِ الرّاجِزِ:

1-9: وــــ الحَوْضُ إلى إزائِهِ: كَثُرَ ماؤُهُ، فَبَلَغَ حافَّتَهُ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ الرّاجِزُ (206هـ=821م مِنْ شَواهِدِ أَبي عَمْرٍو) يَصِفُ حَوْضًا قَدِ امْتَلأَ ماءً:

قَدْ رَجَعَ الحَوْضُ إِلى إِزائِهِ
كَرَجْعَةِ الشَّيْخِ إِلى نِسائِهِ



الشيباني، كتاب الجيم. تح: العزباوي، ج: 3، ص: 11.

والعَرَبُ تُعَبِّرُ عَمَّنْ يُغَيِّرُ رَأْيَهُ ويَعْدِلُ عَنْهُ بقَوْلِهِم: رَجَعَ فُلانٌ في كَلامِهِ، فكَأَنَّهُ لَمّا تَكَلَّمَ وغَيَّرَ، وتَرَدَّدَ في رَأْيِهِ وتَحَيَّرَ، وعَدَّلَ وبَدَّلَ؛ صارَ رَأْيُهُ كَعَدَمِهِ؛ فعادَ إلى حالِهِ الأولى كَأَنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ.

1-12: وــــ في كَلامِهِ ونَحْوِهِ، وعَنْهُ: عادَ عَنْهُ وغَيَّرَهُ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ الفَرّاءُ النَّحْويُّ (ت: 207هـ=822م) يَذْكُرُ عَلامَةَ النَّصْبِ في كَلِمَةِ "لُغاتهمْ «في كَلامِ أَبي الجَرّاحِ: "ما مِنْ قَوْمٍ إِلّا وقَدْ سَمِعْنا لُغاتِهِمْ»:

«رَجَعَ أَبو الجَرّاحِ في كَلامِهِ عَنْ قَوْلِ «لُغاتهِم»، ولا يَجوزُ ذلِكَ في الصّالِحاتِ والأَخَواتِ؛ لِأَنَّها تامَّةٌ لَمْ يُنْقَصْ مِنْ واحِدِها شَيْءٌ».

الفراء، معاني القرآن. تح: أحمد يوسف، وآخرين، ج: 2، ص: 92.

ومِنْ لَطيفِ التَّعْبيراتِ قَوْلُهُمْ: رَجَعَ فُلانٌ إلى فُلانٍ القَوْلَ: إذا أَجابَهُ، فالقَوْلُ الصّادِرُ عَنِ الأَوَّلِ لاقى صَداهُ في سَمْعِ المُتَلَقّي فأَعادَ عَلَيْهِ ما قَصَدَهُ وآتاهُ سُؤْلَهُ، وهَذا شَأْنُ المَخْلوقِ السَّويِّ، أَمّا الجَماداتُ فَلا تَرُدُّ ولا تُجيبُ، ومِنْ ذلِكَ ما جاءَ في الآيَةِ الكَريمَةِ عِنْدَ الحَديثِ عَنْ عِجْلِ السّامِرِيِّ الَّذي لا يَسْمَعُ ولا يَشْفَعُ، ولا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ، في قَوْلِهِ تَعالى:

1-13: و ـــ إِلَيْهِ القَوْلَ رَجْعًا ورُجْعانًا: أَجابَهُ عَنْ كَلامِهِ.
(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)
في القُرْآنِ الكريم (11هـ=632م) قالَ اللهُ ﷻ:
﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾
(طه: 91)

ومِنَ المُتَقَرّرِ أَنّ الحقَّ هوَ الأَصْلُ الأَصيلُ والرُّكْنُ الرَّكينُ الّذي لا حَيْدَةَ عَنْهُ ولا انْفكاكَ، وقَدْ يَحيدُ عَنْهُ البَعْضُ لِسَهْوٍ أَوْ غَفْلَةٍ ونِسْيانٍ، فإذا ما ذُكِّروا انْتَبَهوا، فيَعودوا إلى ما كانوا عَلَيْهِ مِنَ الصَّوابِ، ويُصْلِحونَ ما وَقَعوا فيهِ مِنَ الزَّلَلِ، وما اقْتَرَفَتْهُ أَيْديهِمْ مِنْ خَطَلٍ، وهذا الصَّنيعُ يُعَبَّرُ عَنْهُ بالرُّجوعِ، ومِنْ ذلكَ قَوْلُ الإمامِ الجَصّاصِ يَذْكُرُ حُكْمَ مَنْ سَها في صَلاتِهِ فنَسِيَ رُكْنًا مِنْ أَرْكانِها:

1-14: و ـــ إلى الحَقِّ أَوْ إلى الصَّوابِ: تَنَبَّهَ، وأَصْلَحَ خَطَأَهُ.
(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)
قالَ الجصّاص (ت: 370هـ=981م) يَذْكُرُ حُكْمَ مَنْ نَسِيَ الرُّكوعَ أَوِ السُّجودَ ونَحْوَهُ:
« فإنَّ النّاسِيَ الرُّكوعَ والسُّجودَ ونَحْوَ ذلكَ، أَلَيْسَ إذا كانَ خَلْفَهُ مِمَّنْ يَأْتَمُّ بِهِ مَنْ يُراعي أَفْعالَ صَلاتِهِ إذا نَبَّهَهُ عَلَيْهِ، وأَعْلَمَهُ مَوْضِعَ إِغْفالِهِ ونِسْيانِهِ، فذَكَرَ ورَجَعَ إلى الصَّوابِ».
الجصاص، الفصول في الأصول. تح: عجيل النشمي، ج: 4، ص: 317.

ومِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى بِخَلْقِهِ أَنْ هَيَّأَ الأَرْضَ للمَعاشِ ومَهَّدَها للاسْتِقْرارِ، وجَعَلَ بَيْنَ سُكّانِها سُبُلَ السَّلامِ والوِئامِ، يُسودُهُمُ الحُبُّ والاحْتِرامُ، ولكِنْ هذهِ الحالَةُ قَدْ يَعْتَريها شَيْءٌ مِنَ التَّكْديرِ ويَشوبُها لَوْثٌ مِنَ المُنَغِّصاتِ، فتَنْشَبُ الحُروبُ ويَحْمى وَطيسُها ويَشْتَعِلُ لَهيبُها، وتَسودُ حالَةٌ مِنَ الاضْطِرابِ والهَيَجانِ، والفَوْضى والغَلَيانِ، فإذا ما سَكَنَتِ الحَرْبُ وقَرَّتْ وعادَتِ الحالَةُ إلى ما كانَتْ عَلَيْهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ قيلَ: رَجَعَتِ الحَرْبُ إلى عُقْرٍ، وهذا المَعْنى يُقَرِّرُهُ الأَزْهَرِيُّ في تَهْذيبِ اللُّغَةِ بقَوْلِهِ:

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)
قالَ الأَزْهَرِيُّ (ت: 370هـ=981م):
«رَجَعَتِ الحَرْبُ إلى عُقْرٍ: إذا سَكَنَتْ». (وهَذِهِ الدَّلالَةُ سَجَّلَتْها المَعاجِمُ في بَقِيَّةِ العُصورِ)
الأزهري، تهذيب اللغة. تح: عبد الله درويش، ج: 1، ص: 220.

ومِنْ مَليحِ العِباراتِ قَوْلُهُمْ: رَجَعَ النّاظِرُ بَصَرَهُ؛ إذا أَعادَ النَّظَرَ في الشَّيْءِ الكَرَّةَ بَعْدَ الأُخْرى، وقَدْ جاءَ هذا التَّعْبيرُ في آياتِ القُرْآنِ الكَريمِ في قَوْلِهِ تَعالى في سورَةِ تَبارَكَ:

۞۞۞

1-25: و ـــ النّاظِرُ بَصَرَهُ: أَعادَ النَّظَرَ في الشَّيْءِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرى.
(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)
في القُرْآنِ الكَريمِ (11هـ=632م) قالَ اللهُ ﷻ:
﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ (الملك: 3)

ولِلعَرَبِ في التَّعْبيرِ في التَّيْئيسِ مِنْ وُقوعِ الأَمْرِ أَوِ اسْتِحالَةِ حُدوثِهِ عِباراتٌ مَسْبوكَةٌ وأَمْثالٌ مَحْبوكَةٌ، فمِنْ ذلكَ قَوْلُهُمْ: لا أَفْعَلُ ذلكَ حَتّى يَرْجِعَ أَبو مُلَيْكَةَ إلى عَصيدَتِهِ، كما روى سُحَيْمٌ أَبو اليَقْظانِ قِصَّةَ المَثَلِ بقَوْلِهِ:

1-26: o ولا أَفْعَلُ كَذا حَتّى يَرْجِعَ أَبو مُلَيْكَةَ إلى عَصيدَتِهِ: يُضْرَبُ في الشَّيْءِ، وقَدْ أَصْبَحَ كَوْنُهُ مُسْتَحيلًا.
(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)
قالَ سُحيم أبو اليقظان (190هـ=806م) يَذْكُرُ رَجُلًا يُكْنى بِأَبي مُلَيْكَةَ، وكانَ قَدْ صَنَعَ عَصيدَةً، ثُمَّ خَرَجَ في حاجَةٍ لَهُ، فلَمْ يَرْجِعْ، فَضُرِبَ بِهِ المَثَلُ:
«لا أَفْعَلُ كَذا حَتّى يَرْجِعَ أَبو مُلَيْكَةَ إلى عَصيدَتِهِ». (وهَذِهِ الدَّلالَةُ سَجَّلَتْها المَعاجِمُ في بَقِيَّةِ العُصورِ)
ابن قتيبة الدينوري، المعارف. تح: ثروت عكاشة، ج: 1، ص: 475.

ومِنْ أَمْثالِ العَرَبِ في اسْتِحالَةِ حُدوثِ الأَمْرِ أَوِ الشَّيْءِ قَوْلُهُمْ: حَتّى يَرْجِعَ الدَّرُّ في الضَّرْعِ، فهَيْهاتَ هَيْهاتَ لدَرٍّ خَرَجَ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ دَرَجَ، وقَدْ جاءَ هذا المَثَلُ على لِسانِ الفَرَزْدَقِ في تِبْيانِهِ اسْتِحالَةَ عَوْدِ الشَّبابِ بَعْدَ المَشيبِ. وهَلْ يُصْلِحُ العَطّارُ ما أَفْسَدَ الدَّهْرُ؟!

1-27: o وحَتّى يَرْجِعَ الدَّرُّ في الضَّرْعِ: يُضْرَبُ في اسْتِحالَةِ حُدوثِ الشَّيْءِ، أَوِ الأَمْرِ المَرْغوبِ فيهِ.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ الفَرَزْدَقُ (ت: 110هـ=728م) في الحِكْمَةِ يُبَيِّنُ استِحالَةَ عَوْدِ المَشيبِ إلى الشَّبابِ:

ولَيْسَ شَبابٌ بَعْدَ شَيْبٍ براجِعٍ
يَدَ الدَّهْرِ حَتّى يَرْجِعَ الدَّرَّ حالِبُهْ

ديوان الفرزدق. تح: علي فاعور، ج: 1، ص: 46.

ومِنْ أَمْثالِ العَرَبِ -كَذلِكَ- فيما يَسْتَحيلُ إِدْراكُهُ أَوْ حُصولُهُ، ولا يُرْتَجى تَحَقُّقُهُ، قَوْلُهُمْ: حَتّى يَرْجِعَ السَّهْمُ إلى فوقِهِ أَوْ عَلَيْهِ، وفُوقُ السَّهْمِ: مَوْقِعُ الوَتَرِ مِنْ رَأْسِ السَّهْمِ حيثُ يُثَبَّتُ الوَتَرُ مِنْهُ، والمَعْنى: حَتّى يَعودُ السَّهْمُ إلى مَكانِهِ في القَوْسِ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْهُ، وقَدْ جاءَ هذا التَّعْبيرُ عَلى لِسانِ البَشيرِ النَّذيرِ، النَّبِيِّ المُكَرَّمِ، مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ؛ في الحَديثِ الشَّريفِ؛ يَصِفُ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ البِدَعِ والأَهْواءِ:

1-28: ○ وحَتّى يَرْجِعَ السَّهْمُ إلى فوقِهِ أَوْ عَلَيْهِ، أَيْ: حَتّى يَعودَ إلى مَكانِهِ مِنَ القَوْسِ بَعْدَ رَمْيِهِ، وهُوَ أَمْرٌ لا يَحْدُثُ أَبَدًا.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ النَّبِيُّ ﷺ (ت: 11هـ=632م) يَتَمَثَّلُ لِأَهْلِ البِدَعِ بِقَوْلِ العَرَبِ في كُلِّ ما تَراهُ أَمْرًا يَسْتَحيلُ كَوْنُهُ أَوْ حدوثُهُ حُدوثُهُ:

«يَمْرُقونَ مِنَ الدّينِ مُروقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لا يَرْجِعونَ حَتّى يَرْجِعَ السَّهْمُ إلى فوقِهِ».

محمد القرطبي، البدع والنهي عنها. تح: عمرو عبد المنعم، ج: 1، ص: 108.

وغَيْرِها مِنَ الأَمْثالِ نَحْوِ قَوْلِهِمْ: حَتّى يَرْجِعَ غُرابُ نوحٍ، وقَوْلِهِمْ: حَتّى يَرْجِعَ نَشيطٌ مِنْ مَرْوٍ، وقَدْ سَطَّرَها الجاحِظُ في كِتابِ الحَيَوانِ بِقَوْلِهِ:

1-29: ○ ولا يَرْجِعُ فُلانٌ حَتّى يَرْجِعَ غُرابُ نوحٍ: يُقالُ لِلرَّسولِ الَّذي لا يَعودُ، أَوْ يُبْطِئُ عَنْ ذي الحاجَةِ مِنْ غَيْرِ إِنْجاحٍ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَتِ العَرَبُ (255هـ=869م، مِنْ شَواهِدِ الجاحِظِ) فيمَنْ أُرْسِلَ، فلَمْ يَعُدْ، أَوْ أَبْطَأَ مِنْ غَيْرِ إِنْجاحٍ:

«لا يَرْجِعُ فُلانٌ حَتّى يَرْجِعَ غُرابُ نوحٍ».

الجاحظ، كتاب الحيوان. تح: باسل عيون السود، ص: 419.

۞۞۞

1-30: ○ وحَتّى يرجِعَ نَشيطٌ مِنْ مَرْوَ: يُضْرَبُ لِلأَمْرِ يَسْتَحيلُ حُدوثُهُ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالتِ العَرَبُ (255هـ=869م، مِنْ شَواهِدِ الجاحِظِ) في اسْتِحالَةِ حُدوثِ الأَمْرِ المَرغوبِ فيهِ:

«حَتّى يرجِعَ نَشيطٌ مِنْ مَرْوَ».

[نَشيطٌ: هُوَ اسْمُ رَجُلٍ بَنى لِزِيادٍ دارًا بِالبَصْرَةِ، فهَرَبَ إِلى مَرْوَ قَبْلَ إِتْمامِها، فكانَ زِيادٌ كُلَّما قيلَ لَهُ: تَمِّمْ دارَكَ، يَقولُ: لا حَتّى يَرْجِعَ نَشيطٌ مِنْ مَرْوَ، فلَمْ يَرْجِعْ فصارَ مَثَلًا]

الجاحظ، كتاب الحيوان. تح: باسل عيون السود، ص: 419.

ولِلعَرَبِ فيمَنْ عادَ إلى أَصْلِهِ ورَجَعَ إلى طَبْعِهِ وخُلُقِهِ الكَريمِ أَوِ الخَبيثِ؛ أَمْثالٌ وأَقْوالٌ، فمِنْ ذلِكَ قَوْلُهُمْ: رَجَعَ فُلانٌ إلى إِدْرَوْنِهِ، ورَجَعَ إلى حِنْجِهِ وبِنْجِهِ، ورَجَعَ إلى سِنْخِهِ، ورَجَعَ إلى عِكْرِهِ، ورَجَعَ إلى مَحْتِدِهِ، ورَجَعَ إلى مَحْكِدِهِ، ورَجَعَ إلى مُرَكَّبِهِ ومَنْصِبِهِ، وقَدْ سَجَّلَ المُعْجَمُ التّاريخيُّ كُلَّ هذِهِ الأَمْثالِ، عَلى النَّحْوِ الآتي:

۞۞۞

1-35: ○ ورَجَعَ إلى إِدْرَوْنِهِ: عادَ إلى خُلُقِهِ الَّذي كانَ عَلَيْهِ مِنَ اللُّؤْمِ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ الصّاحِبُ بْنُ عَبّادٍ (ت: 385هـ=995م):

«رَجَعَ إلى إِدْرَوْنِهِ، أَيْ: خُلُقِهِ الَّذي كانَ عَلَيْهِ». (وهَذِهِ الدَّلالَةُ سَجَّلَتْها المَعاجِمُ في بَقِيَّةِ العُصورِ)

ابن عباد، المحيط في اللغة. تح: آل ياسين، ج: 9، ص: 287.

۞۞۞

1-36: ○ ورجَعَ فُلانٌ إلى حِنْجِهِ وبِنْجِهِ: عادَ إلى أَصْلِهِ.

۞۞۞

1-37: ○ ورَجَعَ فُلانٌ إلى سِنْخِهِ الكَريمِ أَوِ الخَبيثِ: عادَ إلى أَصْلِهِ؛ كَريمًا كانَ أَوْ خَبيثًا.

۞۞۞

1-38: ○ ورجَعَ فُلانٌ إلى عِكْرِهِ: عادَ إلى ما كانَ عَلَيْهِ.

۞۞۞

1-40: o ورجَعَ إلى مَحْتِدِه: إذا فَعَلَ شَيْئًا مِنَ المَعْروفِ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ إلى طَبْعِهِ وخُلُقِهِ الأَوَّلِ.

۞۞۞

1-42: o ورجَعَ إلى مُركَّبِهِ ومَنْصِبِهِ: عادَ إلى أَصْلِ مَنْبِتِهِ وحَسَبِهِ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ الخَليلُ بْنُ أَحْمَدَ (ت: 170هـ=787م):

«وتَقولُ: رَجَعَ إلى مُرَكَّبِهِ ومَنْصِبِهِ: أَيْ: أَصْلِ مَنْبِتِهِ وحَسَبِهِ». (وهَذِهِ الدَّلالَةُ سَجَّلَتْها المَعاجِمُ في بَقِيَّةِ العُصورِ)

الخليل، العين. تح: المخزومي، ج: 7، ص: 137.

ومِنْ جَميلِ الكِناياتِ في التَّعْبيرِ عَنِ الهَرَمِ والانْتِكاسِ وضَعْفِ الحالِ والارْتِكاسِ قَوْلُهُمْ: رَجَعَ فُلانٌ عَلى حافِرَتِه: إذا هَرِمَ وخَرِفَ، والحافِرَةُ: الطَّريقُ المَسْلوكَةُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، والحافِرَةُ بِمَعْنى المَحْفورَةِ، أَيْ: تُحْفَر؛ فَهِيَ فاعِلَةٌ بِمَعْنى مَفْعولَةٍ، أَيْ: طَريقٌ صَنَعَتْها حَوافِرُ الدَّوابِّ، وفي هَذا كِنايَةٌ عَنِ العَوْدِ إلى الحالَةِ الأولى مِنَ الضَّعْفِ، فمَعْلومٌ أَنَّ حَياةَ الإِنْسانِ تَبْدَأُ بِضَعْفٍ ثُمَّ قُوَّةٍ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِ القُوَّةِ يَكونُ الضَّعْفُ والشَّيْبَةُ، ومِنْ ذلِكَ ما حَكاهُ ابْنُ دُرَيْدٍ في جَمْهَرَتِه بِقَوْلِه:

1-32: o ورجَعَ الشَّيْخُ عَلى حافِرَتِهِ: هَرِمَ وخَرِفَ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ ابْنُ دُرَيْدٍ (ت: 321هـ=933م):

«ورَجَعَ الشَّيْخُ عَلى حافِرَتِهِ: إذا خَرِفَ». (وهَذِهِ الدَّلالَةُ سَجَّلَتْها المَعاجِمُ في بَقِيَّةِ العُصورِ)

ابن دريد، جمهرة اللغة. تح: رمزي بعلبكي، ج: 1، ص: 518.

ولِلعَرَبِ في التَّعْبيرِ عَنِ الرُّجوعِ بالخَيْبَةِ أَمْثالٌ، مِنْها: رَجَعَ فُلانٌ بالعَناقِ، ورَجَعَ بحسيفه بحَسيفَةِ نَفْسِه، ورَجَعَ بخُفَّيْ حُنَيْنٍ، ورَجَعَ بزَوْبَرِه، ورَجَعَ مِنَ الغَيْبَةِ بالخَيْبَةِ، ورَجَعَ عَلى غُبَيْراءِ الظَّهْرِ، ورَجَعَ بسُخْنَةِ عَيْنٍ وثِقْلِ دَيْنٍ، وأَقِفُ مَعَ المَثَلِ الأَخيرِ وهوَ قَوْلُ العَرَبِ: رَجَعَ فُلانٌ بسُخْنَةِ عَيْنٍ وثِقْلِ دَيْنٍ، وسُخْنَةُ العَيْنِ كِنايَةٌ عَنِ البُكاءِ مِنْ حُزْنٍ ووَجَعٍ وأَلَمٍ، فدُموعُ الحُزْنِ حارَّةٌ، ودُموعُ الفَرَحِ بارِدَةٌ، فسُخونَةُ العَيْنِ نَقيضُ قُرَّتِها، وفي هَذا التَّعْبيرِ يُسْتَشَفُّ مَعاني الغَمِّ والهَمِّ والبُؤْسِ والتَّحَسُّرِ، فإذا أُضيفَ إلى سُخونَةِ العَيْنِ ثِقلُ الدَّيْنِ الَّذي يُذْهِبُ النَّوْمَ مِنَ العُيونِ، فتَزْدادُ العُيونُ سُخونَةً إلى سُخونَتِها، وقَوْلُهُمْ: رَجَعَ بسُخْنَةِ عَيْنٍ وثِقْلِ دَيْنٍ، فيهِ وُقوعُ خِلافِ المَقْصودِ، ونَقيضِ الهَدَفِ المَنْشودِ، فالمُسافِرُ يَقْصِدُ مِنْ سَفَرِهِ أَنْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِما يَرى ويُشاهِدُ، ويَتَطَلَّعُ إلى اكْتِسابِ المَنافِعِ والفَوائِدِ وتَحْصيلِ الأَمْوالِ والعَوائِدِ، ورُجوعُهُ بسُخْنَةِ عَيْنٍ وثِقْلِ دَيْنٍ، أَكْبَرُ دَليلٍ عَلى خَيْبَتِهِ بَلْ خَيْرُ شاهِدٍ، وقَدْ حَكى أَبو مَنْصورٍ الثَّعالبيُّ قَوْلَ العَرَبِ في كِتابِهِ خاصّ الخاصّ بقَوْلِه:

1-52: o ورجَعَ بسُخْنَةِ عَيْنٍ وثِقْلِ دَيْنٍ: يُضْرَبُ مَثَلًا لِمَنْ رُدَّ مِنْ سَفَرِهِ بِخَيْبَةٍ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَتِ العَرَبُ (430هـ=1038م، مِنْ شَواهِدِ أَبي مَنْصورٍ الثَّعالِبِيِّ) فيمَنْ يَسْعى في طَلَبِ شَيْءٍ، فيَرْجِعُ بِخُسْرٍ، ويُرَدُّ عَنْ حاجَتِهِ بِخَيْبَةٍ:

«رَجَعَ بِسُخْنَةِ عَيْنٍ وثِقْلِ دَيْنٍ».

الثعالبي، خاص الخاص. تح: مأمون الجنان، ج: 1، ص: 55.

ومِنْ أَفْعالِ الجِذْرِ (ر ج ع) الفِعْلُ: ارْتَجَعَ، ولَهُ مَعانٍ عِدَّةٌ، ومِنْ ذلِكَ قَوْلُهُمْ: ارْتَجَعَ فُلانٌ إذا قالَ: إنّا للهِ وإنّا إلَيْهِ راجِعونَ، ومِنْ ذلِكَ قَوْلُ عمرِ عَمْرو بْن حَزْمٍ يَرْوي مَوْقِفَ عَمْرو بْنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنه عَنْهُما حينَ بَلَغَهُ مَقْتَلُ عَمّارِ بْنِ ياسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

5: ارْتَجَعَ	فعل

5-1: ✻ ارْتَجَعَ فُلانٌ: قالَ: إنّا للهِ وإنّا إلَيْهِ راجِعونَ.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ (ت: 54هـ=674م) يَذْكُرُ مَوْقِفَ عَمْرو بنِ العاصِ حينَ بَلَغَهُ مَقْتَلُ عَمّارِ بنِ ياسِرٍ في صِفّينَ:

«فقامَ عَمْرٌو فَزِعًا يَرْتَجِعُ حَتّى دَخَلَ عَلى مُعاوِيَةَ».

البيهقي، دلائل النبوة. ج: 2، ص: 551.

والعَرَبُ تَقولُ لِمَنْ باعَ ذُكورَ إبِلِهِ واشْتَرى إناثًا: ارْتَجَعَ فُلانٌ إبِلَهُ، فهَذِهِ الإناثُ سَتَكونُ سَبَبًا في إنْتاجِ وتَكاثُرِ الإبِلِ وتَعْويضِ ما باعَهُ صاحِبُها، فتَعودُ الإبِلُ إلى حالَتِها الأولى مِنَ العَدَدِ، وهذا المَعْنى أَوْرَدَهُ ابْنُ دُرَيْدٍ في جَمْهَرَتِهِ بقَوْلِه:

5-9: و ـــ فُلانٌ إِبِلاً ونَحْوَها: باعَ الذُّكورَ، ثُمَّ اشْتَرى إناثًا.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ ابْنُ دُرَيْد (ت: 321هـ=933م):

«ويُقالُ: ارْتَجَعَ فُلانٌ إِبِلاً؛ إذا باعَ الذُّكورَ، واشْتَرى الإِناثَ». (وهَذِهِ الدَّلالَةُ سَجَّلَتْها المَعاجِمُ في بَقِيَّةِ العُصورِ)

ابن دريد، جمهرة اللغة. تح: رمزي بعلبكي، ج: 1، ص: 461.

ومِنْ أَفْعالِ الجذْرِ (ر ج ع) الفِعْلُ: تَراجَعَ، ولَهُ مَعانٍ عِدَّةٌ، مِنْها قَوْلُهُمْ: تَراجَعَ الزَّوْجانِ: إذا عادا إلى بَيْتِ الزَّوْجِيَّةِ مِنْ بَعْدِ طَلاقٍ، وقَدْ جاءَ التَّعْبيرُ القُرْآنيُّ بذلِكَ في قَوْلِهِ تَعالى:

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

في القُرْآنِ الكَريم (11هـ=632م) قالَ اللهُ ﷻ:

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾. (البقرة: 230)

*****

ومِنْ مَعاني التَّراجُعِ: سوءُ الحالِ وتَبَدُّلُهُ، ومِنْ ذلِكَ ما أَوْرَدَهُ الزَّمَخْشَريُّ في أَساسِ البَلاغَةِ بقَوْلِهِ:

6-5: و ـــ أَحْوالُ فُلانٍ: ساءَتْ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: 538هـ=1144م):

«وتَراجَعَتْ أَحْوالُ فُلانٍ». (وهَذِهِ الدَّلالَةُ سَجَّلَتْها المَعاجِمُ في بَقِيَّةِ العُصورِ)

الزمخشري، أساس البلاغة. تح: باسل عيون السود، ج: 1، ص: 340.

ومِنْ أَسْماءِ الجذْرِ (رجع) الاسْمُ: تَرْجيع، ولَهُ مَعانٍ عِدَّةٌ، مِنْها: التَّرْجيعُ في الأَذانِ، ويَكونُ بتَكْريرِ الشَّهادَتَيْنِ، وللفُقَهاءِ فيهِ أَقْوالٌ، فمِنْ ذلِكَ قَوْلُ الإِمامِ أَبي حَنيفَةَ النُّعْمانِ:

10: تَرْجيع — اسم

10-1: ❋ التَّرْجيعُ في الأَذانِ (في الفِقْهِ): تَكْريرُ الشَّهادَتَيْنِ في الأَذانِ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ أَبو حَنيفَةَ النُّعْمانُ (ت: 150هـ=767م) عَنْ حُكْمِ التَّرْجيعِ في الأَذانِ:

«لا تَرْجيعَ في الأَذانِ».

البيهقي، الخلافيات. تح: محمود النحال، ج: 2، ص: 72.

وقَدْ حَكى الإِمامُ القُرْطُبيُّ مَذْهَبَ مالِكٍ والشّافِعيِّ بقَوْلِهِ:

(د م) (657هـ/1259م) إلى (1213هـ/1798م)

قالَ القُرْطُبِيُّ المُفَسِّرُ (ت: 671هـ=1273م):

«اتَّفَقَ مالِكٌ والشّافِعِيُّ عَلى التَّرْجيعِ في الأَذانِ».

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. تح: عبد الله التركي، ج: 8، ص: 64.

وعَلَّلَ العَظيم آباديّ تَخْصيصَ الشَّهادَتَيْنِ بالتَّرْجيعِ مِنْ بَيْنِ سائِرِ أَلْفاظِ الأَذانِ بقَوْلِهِ:

(ح) (1214هـ/1798م) إلى (1444هـ/2022م)

قالَ العَظيمُ آباديّ (ت: 1329هـ=1911م):

«وإِنَّما اخْتُصَّ التَّرْجيعُ بالتَّشَهُّدِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ أَلْفاظِ الأَذانِ».

والتَّرْجيعُ في عِلْمِ التَّجْويدِ: تَرْديدُ الصَّوْتِ بالمَدِّ، ومِنْ ذلِكَ ما رَواهُ أَبو الكَرَمِ الشَّهْرَزوريُّ في وَصْفِ قِراءَةِ النَّبيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ:

❁❁❁

10-2: والتَّرْجيعُ (في عِلْمِ التَّجْويدِ) هُوَ: تَرْديدُ الصَّوْتِ بالمَدِّ.

(ع) (132هـ/749م) إلى (655ه/1257م)

قالَ أَبو الكَرَمِ الشَّهْرَزوريُّ (ت: 550هـ= 1155م) في أَوْصافِ قِراءَةِ النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-:

«أَحَدُها المَدُّ بِغَيْرِ تَرْجيعٍ، والآخَرُ التَّرْديدُ والتَّرْجيعُ، والثّالِثُ القِراءَةُ حَرْفًا حَرْفًا وآيَةً آيَةً بِتَرَسُّلٍ وتَقْطيعٍ».

الشّهرزوريّ، المصباح. تح: الدوسري، ص: 684

والتَّرْجيعُ في عِلْمِ البَلاغَةِ: العَوْدُ إلى مَعْنًى تَقَدَّمَ إيرادُهُ بَعْدَ الشُّروعِ في كَلامٍ آخَرَ، مُتَوَصِّلاً إِلَيْهِ بِحُسْنِ التَّخَلُّصِ، وفي هذا يَقولُ الإِمامُ الطّيبيُّ في كِتابِهِ التِّبْيان في البَيان:

❁❁❁

10-3: و ـــ (في عِلْمِ البَلاغَةِ): أَنْ يَرْجِعَ المُتَكَلِّمُ إلى مَعْنًى مُهْتَمٍّ بِشَأْنِهِ، بَعْدَ أَنْ شَرَعَ في نَوْعٍ آخَرَ مِنَ الكَلامِ، فيَنْظُرُ إلى ما يَتَخَلَّصُ بِهِ إلى ذلِكَ المَعْنى، فإذا تَمَكَّنَ مِنْ إيرادِهِ كَرَّ إِلَيْهِ.

(د م) (657هـ/1259م) إلى (1213هـ/1798م)

قالَ شَرَفُ الدّينِ الطّيبيُّ (ت: 743هـ= 1342م) يُعَدِّدُ بَعْضَ فُنونِ البَديعِ:

«ومنْهُ التَّرْجيعُ، وهُوَ أَنْ يَكونَ المَعْنى مُهْتَمًّا بِشأْنِهِ، فإذا شَرَعَ في نَوْعٍ مِنَ الكلامِ؛ نَظَرَ إلى ما يَتَخَلَّصُ إليهِ، فإذا تَمَكَّنَ مِنْ إيْرادِهِ؛ كَرَّ كَرًّا إلَيْهِ».

الطيبي، التبيان في البيان. تح: يحيى مراد، ص: 171.

ومِنْ أَسْماءِ الجذْرِ (ر ج ع) الاسْمُ: رَجْع، ولَهُ مَعانٍ عِدَّةٌ، مِنْها: صَدى الصَّوْتِ، وسُمِّيَ رَجْعًا؛ لِتَرَدُّدِهِ، ومِنْ ذلِكَ قَوْلُ الشّاعِرِ إسْماعيل الحَمْدونيِّ يَصِفُ العودَ:

۞۞۞

14-2: و: الصَّوْتِ: تَرَدُّدُهُ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ إسْماعيلُ الحَمْدونِيُّ (ت: 260هـ=874م) يَصِفُ العودَ:

وسَجَّعتْ رَجْعُ صوْتٍ بيْنَ أرْبعَةٍ

سِرُّ الضَّمائرِ فيما بيْنَها عَلَنُ

ابن عبد ربه، العقد الفريد. تح: عبد المجيد الترحيني، ج: 7، ص: 79.

ومِنْهُ قيلَ للغَديرِ رَجْعًا؛ لأَنَّ الماءَ يَعودُ إلَيْهِ بَعْدَ انْقِطاعٍ، ويَجْري فيهِ الماءُ بَعْدَ تَوَقُّفٍ، ومِنْ ذلِكَ قَوْلُ الخَنْساءِ تَصِفُ سَيْفَ أخيها صَخْرٍ في قَصيدَةٍ تَرْثيهِ فيها وتُعَدِّدُ مَناقِبَهُ وصِفاتِهِ، فتَقولُ:

۞۞۞

14-8: و: الغَديرُ. (ج) رُجْعانٌ، ورِجَعٌ.

(ق. س) (480ق.هـ/169م) إلى (1ق.هـ/621م)

قالَتِ الخَنْساءُ (10ق.هـ=611م) تَصِفُ سَيْفَ أخيها صَخْرٍ في قَصيدَةٍ تَرْثيهِ فيها:

نِطاقُهُ أَبْيَضُ ذو رَوْنَقٍ

كالرَّجْعِ في المُدْجِنَةِ السّارِيَهْ

[الرَّوْنَقُ: الماءُ، المُدْجِنَةُ: السَّحابَةُ المُظْلِمَةُ الماطِرَةُ]

ثعلب، شرح ديوان الخنساء. تح: أنور أبو سويلم، ص: 405.

والعَرَبُ تُسَمّي المَطَرَ النّازِلَ مِنَ السَّماءِ رَجْعًا؛ لأَنَّهُ يَجيءُ ويَرْجِعُ، ويَتَكَرَّرُ كُلَّ عامٍ، وهذا يَتَواءَمُ مَعَ دَوْرَةِ الماءِ في الطَّبيعَةِ، فالمَطَرُ أَصْلُهُ ماءٌ تَبَخَّرَ مِنَ الأَرْضِ وارْتَفَعَ وحَمَلَتْ ذَرّاتِهِ الرِّياحُ لِيَتَكاثَفَ في طَبَقاتِ الجَوِّ العُلْيا مُكَوِّنًا سُحُبًا رُكامِيَّةً، ثُمَّ يَعودُ لِيَنْزِلَ عَلى الأَرْضِ مَطَرًا مَرَّةً أُخْرى، ولِهَذا سُمِّيَ رَجْعًا، وهذا الاسْتِعْمالُ حاضِرٌ في آياتِ القُرْآنِ الكَريمِ، فقَدْ أَقْسَمَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ بالسَّماءِ واصِفًا لَها بأَنَّها ذاتُ الرَّجْعِ:

۞۞۞

14-9: و: المَطَرُ؛ لِأَنَّهُ يَجيءُ، ويَرْجِعُ، ويَتَكَرَّرُ كُلَّ عامٍ.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

في القُرْآنِ الكَريمِ (11هـ=632م) قالَ اللهُ ﷻ:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾. (الطارق:11)

*****

ويُطْلَقُ عَلى العَذِرَةِ والرَّوْثِ رَجْعًا؛ ومِنْ ذلِكَ قَوْلُ جَريرٍ يَهْجو بَني مُجاشِعٍ:

14-11: و: الرَّوْثُ والعَذِرَةُ.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ جَريرٌ (ت: 110هـ=728م) يَهْجو بَني مُجاشِعٍ:

هُمْ مَهَّدوهُ رَجْعَهُ بَعْدَ رَثْمِهِ

وأَنْتُمْ شُهودٌ مُعْصِمونَ عَلى حَرَدِ

[مَهَّدوهُ: طَرَحوهُ. رَجْعُهُ: سَلْحُهُ]

ديوان جرير. تح: كرم البستانيّ، ج: 1، ص: 99.

ومِنْ أَسْماءِ الجذْرِ (ر ج ع) الاسْمُ: رَجيع، ولَهُ مَعانٍ عِدَّةٌ، مِنْها: الرَّجيعُ مِنَ الدَّوابِّ: وهوَ الكالُّ، الَّذي رَجَعْتَهُ مِنْ سَفَرٍ إلى سَفَرٍ، ومِنْ ذلِكَ قَوْلُ سَلامَةَ بنِ جَنْدَلٍ يَفْتَخِرُ:

24: رَجيع	اسم

24-1: ⁕ الرَّجيعُ مِنَ الدَّوابِّ: ما رَجَعْتَهُ مِنْ سَفَرٍ إلى سَفَرٍ، وهُوَ الكالُّ. (ج) رُجُعٌ.

(ق. س) (480ق.هـ/169م) إلى (1ق.هـ/621م)

قالَ سَلامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ (ت: 23ق.هـ=599م) يَفْتَخِرُ:

يَوْمانِ يَوْمُ مَقاماتٍ وأَنْدِيَةٍ

ويَوْمُ سَيْرٍ إلى الأَعْداءِ تَأْويبِ

وكَرُّنا خَيْلَنا أَدْراجَها رُجُعًا

كُسَّ السَنابِكِ مِنْ بَدْءٍ وتَعْقيبِ

ديوان سلامة بن جندل. تح: فخر الدين قباوة، ص: 94.

والرَّجيعُ: ما تَجْتَرُّهُ الإبلُ، سُمِّيَ بذلِكَ لِتَرَدُّدِه في فَمِها وجَوْفِها مَضْغًا وإخْراجًا، تَتَعَلَّلُ بِهِ حَتّى تُعْلَفَ ثانيَةً، وفي هذا يَقولُ الشّاعِرُ حُمَيْدُ بنُ ثَوْرٍ يَصِفُ إبلًا:

۞۞۞

24-4: و—: الجِرَّةُ؛ لِأَنَّ الإِبِلَ تَجْتَرُّها لِتُرَدِّدَ مَضْغَها تَعَلُّلًا بِها إلى وَقْتِ عَلَفِها.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ (ت: 60هـ=680م) يَصِفُ إبِلًا:

حُرِمْنَ القرى إلّا رَجيعًا تَعَلَّلَتْ

بِهِ عَرِضاتٌ لَحْمُهُنَّ مَشيقُ

ديوان حُميد بن ثور. تح: محمد البيطار، ج: 1، ص: 324.

والرَّجيعُ: العَرَقُ؛ ومِنْ ذلِكَ قَوْلُ لَبيدِ بنِ رَبيعَةَ يَفْتَخِرُ:

24-5: و—: العَرَقُ.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ لَبيدُ بْنُ رَبيعَةَ (ت: 41هـ=662م) يَفْتَخِرُ:

وخَرْقٍ قَدْ قَطَعْتُ بِيَعْمُلاتٍ

مُمَلّاتِ المَناسِمِ واللُّحومِ

كَساهُنَّ الهَواجِرُ كُلَّ يَوْمٍ

رَجيعًا بالمَغابِنِ كالعَصيمِ

[الخَرْقُ: المَكانُ الواسِعُ، العَصيمُ: بَقِيَّةُ القَطِرانِ]

ديوان لبيد بن ربيعة. تح: حمدو وطاس، ص: 119.

والعَرَبُ تُطْلِقُ عَلى كُلِّ طَعامٍ بَرَدَ ثُمَّ اعيدَ أُعيدَ تَسْخينُهُ: رَجيعًا، ومِنْ ذلِكَ قَوْلُ لَبيدِ بْنِ رَبيعَةَ يَفْتَخِرُ:

24-6: و— مِنَ الطَّعامِ والشِّواءِ: ما بَرَدَ ثُمَّ أُعيدَ تَسْخينُهُ ثانِيَةً.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ لَبيدُ بْنُ رَبيعَةَ (ت: 41هـ=662م) يَفْتَخِرُ:



وفِتْيانٍ صِدْقٍ قَدْ غَدَوْتُ عَلَيْهِمُ

بِلا دَخِنٍ ولا رَجيعٍ مُجَنَّبِ

[المُجَنَّبُ: الَّذي جَنَّبَهُ النّاسُ. والدَّخِنُ: الدُّخانُ]

ديوان لبيد بن ربيعة. تح: حنا نصر الحتّي، ج: 1، ص: 43.

وقَدْ أَوْرَدَ الصّاحِبُ ابنُ عَبّادٍ في المُحيطِ أَنَّ الرَّجيعَ مِنَ الشَّجَرِ هوَ النَّخيلُ، فقالَ:

۞۞۞

24-15: و—: مِنَ الشَّجَرِ: النَّخيلُ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ الصّاحِبُ بْنُ عَبّادٍ (ت: 385هـ=995م):

«والرَّجيعُ ... النَّخيلُ». (وهَذِهِ الدَّلالَةُ سَجَّلَتْها المَعاجِمُ في بَقِيَّةِ العُصورِ)

ابن عباد، المحيط في اللغة. تح: آل ياسين، ج: 1، ص: 250.

ومِنْ أَسْماءِ الجِذْرِ (ر ج ع) الاسْمُ: مَرْجِع، ولَهُ مَعانٍ عِدَّةٌ، مِنْها: تَسْمِيَةُ أَسْفَلِ الكَتِفِ مَرْجِعًا، وهذا المَعْنى حاضِرٌ في قَوْلِ عَنْتَرَةَ يَصِفُ فَرَسَهُ:

27: مَرْجِع	اسم

27-1: ۞ المَرْجِعُ مِنَ الكَتِفِ ونَحْوِها: أَسْفَلُهُ.

(ق. س) (480ق.هـ/169م) إلى (1ق.هـ/621م)

قالَ عَنْتَرَةُ (ت: 22ق.هـ=601م) يُشَبِّهُ أَسْفَلَ مِرْفَقَيْ فَرَسِهِ:

كأنَّ دُفوفَ مَرْجِعِ مِرْفَقَيْهِ
تَوارَثَها مَنازيعُ السِّهامِ

[دُفوفُ الشَّيْءِ: جانِباهُ]

ديوان عنترة. تح: حمدو طمّاس، ج: 1، ص: 52.

وسَمّى القُرْآنُ الكَريمُ عَوْدَةَ الخَلائِقِ يَوْمَ المَعادِ لِلعَرْضِ عَلى اللهِ والجَزاءِ؛ رُجوعًا، فقالَ سُبْحانَهُ وتَعالى في مُحْكَمِ تَنْزيلِه:

۞۞۞

27-2: و— في القُرْآنِ الكَريمِ: الرُّجوعُ يَوْمَ المَعادِ لِلجَزاءِ. (ج) مَراجِعُ.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

وفي القُرآنِ الكَريمِ (11هـ=632م) قال اللهُ ﷻ:

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. (المائدة: 105)

والمَرْجِعُ: ما يُرْجَعُ إِلَيْهِ في عِلْمٍ أَوْ أَدَبٍ مِنْ عالِمٍ أَوْ كِتابٍ، ومِنْ ذلِكَ قَوْلُهُمْ: المَصادِرُ والمَراجِعُ، لأمهاتِ لأُمّاتِ الكُتُبِ الَّتي يستفد يُسْتَفادُ مِنْها في البَحْثِ والتَّنْقيبِ، وهذا المَعْنى حاضِرٌ في المُعْجَمِ التّاريخيِّ بِشَواهِدِهِ الاسْتِعْماليَّةِ فمِنْ ذلِكَ:

27-3: و—: ما يُرْجَعُ إِلَيْهِ في عِلْمٍ أَوْ أَدَبٍ، مِنْ عالِمٍ أَوْ كِتابٍ. (مح).

(ح) (1214هـ/1798م) إلى (1444هـ/2022م)

قالَ إِبْراهيمُ مُصْطَفى (ت: 1382هـ=1962م):

«المَرْجِعُ (...) ما يُرْجَعُ إِلَيْهِ في عِلْمٍ أَوْ أَدَبٍ مِنْ عالِمٍ أَوْ كِتابٍ. مُحْدَثَةٌ (ج) مَراجِعُ».

إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج: 1، ص: 331.

وقالَ كوركيس عَوّاد (1406هـ=1985م) تاريخ الطَّبْعِ، يُشيرُ إلى مَراجِعِ تَحْقيقِه:

«فأَفْرَدوا لِتاريخِها مُؤَلَّفاتٍ خاصَّةً بِها، وَقَفْنا عَلى ذِكْرِها في ما بِيَدِنا مِنْ مَراجِعَ مَوْثوقٍ بِها».

بحشل، تاريخ واسط. تح: كوركيس عواد، ص: 11.

۞۞۞

27-5: ο المصادِرُ والمَراجِعُ: قائِمَةُ المُؤَلَّفاتِ الَّتي أَشارَ إِلَيْها المُؤَلِّفُ أَوِ اسْتَعانَ بِها في بَحْثِه.

(ح) (1214هـ/1798م) إلى (1441هـ/2020م)

قالَ عَلي تَوْفيق الحَمَد (1407هـ=1986م) تاريخُ الطَّبْعِ، يُعَلِّقُ عَلى لَفْظَة:

«ولَمْ أَعْثُرْ عَلَيْها في هَذِهِ الصُّورَةِ فيما رَجَعْتُ إِلَيْهِ مِنَ المَصادِرِ والمَراجِعِ».

الجرجاني، المفتاح في الصرف. تح: علي توفيق الحمد، ص: 90.

وبَعْدَ هَذا التَّطْوافِ، نَعودُ إِلى ما بَدَأْنا بِهِ ونَرْجِعُ إِلى ما قَرَّرْناهُ، مِنْ أَنَّ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ لا تَنْقَضي عَجائِبُها، ولا تَنْتَهي غَرائِبُها، وفي كُلِّ جِذْرٍ مِنْ جُذورِها، بَلْ في كُلِّ مُفْرَدَةٍ مِنْ مُفْرَداتِها مَيْدانٌ لِلبَحْثِ والتَّفَكُّرِ، والتَّأَمُّلِ والتَّدَبُّرِ، فحَرِيٌّ بِأَهْلِ العَرَبِيَّةِ أَنْ يَفيئوا إِلَيْها ويَتَفَيَّؤوا ظِلالَها، ويوظِّفوها في تَعامُلاتِهِمْ وكِتاباتِهِمْ وشُؤونِ حَياتِهِمْ، فاللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ تُكْسِبُ مُتَكَلِّميها عِزًّا وافْتِخارًا، وتَكْسوهُمْ هَيْبَةً ووَقارًا، ومَعَ بُزوغِ فَجْرِ المُعْجَمِ التّاريخيِّ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ لَمْ يَعُدْ لأَحَدٍ عُذْرٌ في التَّقْصيرِ بِمَعْرِفَةِ الأَلْفاظِ ومَعانيها، ولا الجَهْلِ بِدلالاتِها ومَبانيها، فهَذا المُعْجَمُ التّاريخيُّ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ يُقَدِّمُ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ غَضَّةً طَرِيَّةً، بِمَعانيها النَّدِيَّةِ، وتَراكيبِها السِّياقِيَّةِ، واسْتِعْمالاتِها الحَيَّةِ، فهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ؟!





كُتُبٌ ودِراساتٌ

- وقفةٌ معَ الأعْمالِ الفائِزةِ في جائِزَةِ الشّارِقَة للدّراسـاتِ اللّغويّـة والمُعجَميّـة «الدورة الرابعة 2021»
- سِرُّ صِناعةِ الإعرابِ لابنِ جِنّي
- عَرْضُ كتابِ «أَسْرَارُ الحَكَوَاتِيِّ»
- فَنُّ القَوْلِ بَيْنَ المَبْنَى والمَعْنَى وضَرُورَةُ الإبَانَةِ

وقفـةٌ معَ الأعْمـالِ الفائِـزةِ فــي جـائِـزَةِ الشّــارقَة للدّراسـاتِ اللّغَويّـة والمُعجَميّـة

فَرع الدِّراسات اللُّغويَّة «الدورة الرابعة 2021»

كتـاب: قَضـايـا الحَـدَث في اللِّسـانِيّات وفَلْسَـفَةِ اللُّغـة

للأســتاذ الدُّكتــور: شــكــري محمَّــد السَّــعــدي

حازَ العَرَبُ قَصبَ السَّبْقِ في البَيَانِ على اخْتِلافِ الزَّمَانِ والمَكَانِ، وتَرَبَّعت حرُوفُهُم منَصّةَ الرَّيْدِ في سَبكِ المُفرَدَاتِ ونَسْجِ المُركَّبَات بمِسْبَارِ البَرَاعةِ اسْتِهْلَالا، وحُسْنِ التَّخَلُّص انتِقَالا. حَتّى إنّ النَّاسَ لتَدِينُ لهذا الحَيِّ من قُريش ومن صَاهَرَ مَنَاهِجَهم واقْتَنَصَ قَوَاعِدَهم. ثُمَّ توالَتِ الهِمَمُ على هذا المُهمّ، فَأصلَحتِ الأَيدِي دَوَاوِينَ اللسَانِ، وزيَّنَتْ رُفُوفَهُ بأَسَانيدَ أنهَضَتْ الفُحُولَ من كلِّ مجثَم، وأثَارتْ كلَّ باركٍ مُستَلئم؛ فانصَهرَ تَاريخُ اللغَةِ ومَآثرُها في بُوتَقَةٍ حصَّنَتَها الأَجيَالُ والذِّمَمُ، وتظَاهَرتْ على تَرمِيم مُتُونِهَا المَجَامعُ والأُمَمُ؛ فَأقدم الجَمعُ على وادي السّباع، فتَرْجَموا هذه المُدركاتِ تَرجَمَةً عِلْميّةً تأليفاً وتَمحيصاً على اختلافٍ في المَشرَبِ والمأخَذِ..



هبة هشام

باحث لغويّ في مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

وممن خُصَّ بهذا الفضل، مجمَعُ الشّارقةِ للُّغةِ العربيّةِ حيث وقَّتَتْ جائزَةُ الشّارقةِ للدِّراساتِ اللُّغويَّةِ والمُعْجَميَّةِ محْوَراً للدِّراساتِ اللُّغويَّةِ لتُحَرضَ المَلَكاتِ على إبرازِ المُنْجَزاتِ العِلْمِيَّةِ الرَّصينَةِ الباحِثَةِ في واقِعِ اللُّغَةِ، وسُبُلِ تَعْزيزِ مَكانَتِها وحُضورِها بَيْنَ شَرائحِ المُجْتَمَعِ كافَّةً.

وانتَخَبَتْ مِنْ سجلِ المشاركاتِ اللُّغويَّةِ الرَّصينةِ ، دِراسَةَ الدُّكتور شكري محمّد السَّعدي بِعُنْوان: (قَضايا الحَدَث في اللِّسانيّات وفَلْسَفَةِ اللُّغَة) حائزةً المَرْكَزَ الأوَّلَ ضِمْنَ فِئَةِ الدِّراساتِ اللُّغَوِيَّةِ في جائِزَةِ الشّارِقَةِ للدِّراساتِ اللُّغَوِيَّةِ والمُعْجَمِيَّةِ خلالَ دَوْرَتِها الرّابعة للعام 2021م، وتحتَ مِحْوَرِ الدّراساتِ النَّحويَّة الحديثة وخدمة اللُّغة العربيَّة، وذلكَ لما تَمَيَّزَتْ به مِنْ أَصالَةٍ في الطَّرْحِ، ودِقَّةٍ في المنْهَجِ، وعُمْقٍ في التَّحْليلِ، انْطِلاقًا مِنْ غَرَضٍ رئيسٍ تمثَّلَ في بَحْثِ مَفْهومِ (الحَدَث) نشأةً وتطَوُّرًا بينَ المصادِرِ قديمِها وحديثِها، ضِمْنَ فنونٍ وصناعاتٍ شتّى.



وقَدْ تَرَكَّزَ عملُ الباحِثِ على فَحْصِ الأُصولِ الّتي انطلقَ منها واعتمَدَها أكثرُ الـمُصَنِّفينَ في (الحَدَث)، فَتَتَبَّعَ نشأةَ المفهوم في مَصادِرِه القديمَة، وتطَوُّرِه عبرَ مسالكَ مُلْتَوِيَةٍ أَفْضَتْ به إلى صُوَرٍ وهيئاتٍ مُختَلِفةٍ عندَ الدّارِسينَ المُحدَثين، مع حرْصِه على تنويعِ مجالاتِ البَحثِ وجَمْعِها بين القديمِ والحديث، والتَّقاليدِ العربيَّةِ والغربيَّة، وبينَ فنونٍ وعلومٍ مُخْتَلِفَةٍ تتصَدَّرُها اللِّسانيّاتُ وفلسفةُ اللُّغة، وتَضُمُّ إليها النَّحو العربيَّ والغربيّ، والمنطق وأصول الفِقه وعِلْمَ الكَلام، وقد انطلَقَ الباحثُ من مناقشَةِ آراءِ بعضِ الدّارسينَ الّذين أشاروا إلى حُضورِ مقولةِ الحَدَث عند مُختَلَفِ الأعلام، بُغيَةَ التَّحقُّقِ ممّا ذَهَبَ إليهِ هؤلاءِ الدّارسون وتدقيقِ صورةِ المقولَةِ الحدثيَّة عندَ الأعلامِ المذكورين، إضافةً إلى العودةِ إلى ثنائيَّة (الفعل والحركة) عند أرسطو، لكونها المُلهِمَ الأوَّلَ للباحثين في اللّسانيّات وفلسفة اللُّغة، وتَتَبُّعِها في مظانِّها، وقد توخّى الباحث في ذلك كلِّه منهجًا تحقيقيًّا

يُقارِنُ بينَ النُّصوصِ، ويوازي بين المفاهيمِ سَعْيًا إلى اسْتِجْلابِ حقيقَةِ الفعلِ والحركَة، من خلالِ شرحِ النَّصِّ المؤسِّسِ لهذه الثُّنائيَّةِ وتَجليَةِ غَوامِضِه، وتَتَبُّعِ الثُّنائيَّةِ في كِتاباتِ الفَلاسِفَةِ اللّاحِقين كذلك، كما ارتكزَ الباحثُ على استعراضِ المفاهيمِ والنَّظريّات والاتّجاهات الكُبرى في مبحثِ الحَدَث، ومناقشة أهمِّ القضايا والمسائلِ المُشْتَرِكَةِ مع بيانِ قيمَتِها ومداها وعمومها في التَّفكير الدّلاليّ، إلى جانبِ المقابَلَةِ بين الآراءِ المختَلِفَة، والإشارةِ مواطنِ الائتِلافِ والاخْتِلاف، وتَعْليلِ ما يَنْبَغي تَعْليلُه، واسْتِنْتاجِ ما يترتَّبُ عليها من ثَوابت.

انْتَظَمَ عِقْدُ هذه الدِّراسَة في مقدِّمَةٍ وقسمَين، احتَوى كُلٌّ مِنْهُما على بابَين ومَجموعَةٍ من الفُصولِ والمباحِث، وتمهيدٍ وخاتِمَةٍ خاصَّةٍ لِكُلِّ باب، جاءَتْ كُلُّها مُرَتَّبَةً على النَّحوِ الآتي:

القِسْمُ الأوَّل: الحَدَث في الأعْمالِ الفَلْسَفيَّة، وقَدْ قَسَمَه الباحِثُ على بابَين، تناولَ الأوَّلُ مِنْهُما مفهومَ تعدّد المداخل إلى دراسَةِ الحدَث في المُدَوَّنة الأرسطيَّة، وانْدَرَجَ تحتَه فَصْلان: اعتَنى الأوَّلُ منهُما بمناقشَةِ ثُنائيَّة الفعلِ والحركة، والمُطابقة بين ثنائيَّة العمل والإنشاء، وثنائيَّة العمل المُسْتَقِرّ والعمل المتعدّي، ودَور مفهوم الحدّ في الفصلِ بين الفعلِ والحركَة، بينَما تَناوَلَ الفَصْلُ الثّاني مسالِكَ تأويلِ ثُنائيَّةِ الفعلِ والحركَة، مثلَ: المسلكِ المدرسيّ، ومسلكِ الفلسفةِ التَّحليليَّةِ واللِّسانيّات وغيرها، أمّا البابُ الثّاني فقد تَناوَلَ فيهِ الباحِثُ مقولاتِ الفلاسِفَة التَّحليليّين، وانْدَرَجَ تحتَه أربَعَةُ فُصولٍ: ناقَشَ الفصلُ الأوَّلُ دلالات الفعل والشَّيء والحدَث والواقِعَة والحَدَث عندَ الفَلاسِفَةِ التَّحليليّين أمثال (برتراند راسل) وغيره، بينَما ركَّز الفصلُ الثّاني على مناقَشة جُملَةٍ من الموضوعات المتَّصِلَة بالحدث مثل: تقسيم الأحداث واختبارات التَّمييزِ بينَ أنْواعِ الأحداث ونتائجِها، أمّا الفصل الثّالث فَقَد تناوَلَ فيه الباحِثَ مجموعَةً من المفاهيم المتّصلَة بالحدث عند الفيلَسوفَين بيتر ستروسن ودونالد ديفدسن، بينَما عُنِيَ الفصل الرّابعُ والأخير بمناقَشة مفاهيم المحسوس والمعقول والكُلِّيِّ والجُزئيِّ الخاصَّة بالحَدَثِ وموقف النُّحاة والأصوليّين وعُلماء الدّلالة الغربيّين منها.

القسم الثّاني: الحَدَث في الأعمالِ النَّحويَّة واللِّسانيَّة، وفيه بابان، تناولَ الأوَّلُ مِنْهُما الحدث في الأعمالِ النَّحويَّة، وانْدَرَجَ تحتَه فَصْلان: يُناقِشُ المُؤلِّفُ في الفَصلِ الأوَّلِ مِنْها التَّعريفَ بالنَّحوِ العامِّ ومنزلة الحَدَث في تناوُلِ النَّحوِ العامّ وغيرها عند بور روايال، بينما خصَّصَ الفصلَ الثّاني لمُناقَشَةِ الحَدَث عندَ فردينان برينو، أمّا البابُ الثّاني فيُعْنى بدراسة الحَدَث في الأعمالِ اللِّسانيَّة، ويندرجُ تحتَهُ فُصولٌ أربَعة، اختصَّ الأوّل منها بدراسةِ الأعمالِ البِنْيَويَّة عند لوسيان تانيار وعلاقتها بالحَدَث، أمّا الفصل الثّاني من هذا الباب



خلال تسلم الجائزة

فيَعرِضُ فيه الباحثُ الأعمالَ الوظيفيَّة عند مايكل هاليدي مُعَرِّجًا فيها على الحَدَث في الجُملة، والحَدَث والوظائف المعنَويَّة وغير ذلك، بينَما ركَّز الفصلُ الثّالث على مُناقَشَة مفاهيم مُتَصّلَة بالحدث مثل: المُشارِكين والمُلابَسات وإيضاحِ الفَرْقِ بينَهُما، وطُرُقِ التَّعبير عنهُما، وغُموضِ الحدِّ بينَهُما، بينَما اعتَنى الفصلِ الرّابع والأخير من هذا الباب بدراسة الحَدَث من مِنْظورِ التَّصَوُّرِ الإسْناديّ.

وقد خَلُصَت الدِّراسَةُ إلى مجموعة من النَّتائج أهمُّها: أنَّ ما يَسَّرَ تجْلِيَةَ الحدَثِ باعْتِبارِه مقولَةً مُسْتَقِلَّةً إنَّما هو التَّمييزُ الذي أقامَهُ الفَلاسِفَةُ التَّحليليّونَ اللّاحِقون بينَ مَدْلولَين من مَدْلولاتِ القضِيَّةِ أو بعضِ عناصرِها، وأنَّ الفرقَ بينَ الذّاتِ والحَدَث من جِهَةِ التَّمثُّلِ اللُّغويِّ -على الأقلّ- إنَّما هو فَرْقٌ في الدَّرجَةِ لا فَرْقٌ في النَّوعِ، كما تَجْدُرُ الإشارةُ هنا إلى أنَّ طبيعَةَ القضايا التي تُثيرُها مَقولَةُ الحَدَث، وتَشَعُّبَ المسائل المُتَعَلِّقَةِ بها، وتنوُّعَ الصِّناعات والفنون المُتناوِلة لها، واتِّساعَ دائرَةِ التَّأليف فيها منذ مُنْتَصَفِ القَرْنِ الماضي إنَّما تَقومُ مُجْتَمِعَةً على ما لهَذِهِ المَقولَةِ مِنْ أَهميَّة أَدَّتْ إلى تسميَةِ المبحَث المُتَّصِلِ بها باسم (عِلْمِ الحَدَث)، وقد عبَّرَ الدّكتور عبد السَّلام عيساوي عن قيمة هذه الدِّراسة العلميَّة الرَّصينَة بقَولِه: «وقد لا نُبالِغ إذا قُلْنا إنَّ هذا المُؤلَّف يُعَدُّ من أهمِّ مراجِعِ المكْتَبَةِ العربيَّة الّتي تَناولَت قضايا الحَدَث وفصَّلَت فيه القَول، إذ نَظَرَ في مَقولَةِ الحَدَث من حيث بنيَتِها، ومكوِّناتها الذَّريَّة، وخَصائصِها المقوّمة لكيانِها وهويّتها، واهتمَّ بوظائفها نحو: تصوّر حدود الجُمْلَة والقضيَّة، وحدِّ الزَّمانِ والمَكانِ والذَّواتِ والأحداث... وَلَئِنْ كانَت اللِّسانيّات وفَلْسَفَة اللُّغة المجالَين الأساسيَّين اللَّذَين تحرَّك فيهما فقَدْ كانَ التُّراثُ العربيّ بروافده النَّحويَّة والمنطقيَّة والأصوليَّة قائدَه ومُلْهِمَه وهاجِسَه، إذ اتَّخَذَه موردًا يصدُرُ عنه، ومثابَةً يَعودُ إليها، ونافذةً يُطِلُّ منها على الفنون والصِّناعات والثَّقافات الأخرى».

سِرُّ صِناعةِ الإعرابِ لابنِ جِنّي



د. معتز وسام المحتسب
خبير لغوي في المعجم التاريخي

تتفاوتُ الكتبُ المؤلّفةُ في أهَمِّيَّتها ومكانتها، فبعضُ الكتبِ تُغني عن غيرها ولا يُغني عنها غيرُها، وبعضُها على العكس من ذلك، وهذا يرجعُ إلى اعتباراتٍ عدّةٍ، منها أن يكونَ الكتابُ فيه جِدّةٌ وابتكارٌ في موضوعه، ومنها أن يكونَ المؤلِّفُ منَ الأفذاذِ في العلمِ الذي يَنتمي إليه موضوعُ الكتابِ، فإذا اجتمعَ الأمرانِ في كتابٍ بلغَ الرُّتبةَ العليا في بابِه، وهذا ما يَنطبقُ على كتابِ سرِّ صناعةِ الإعرابِ.

فهذا الكتابُ فريدٌ في بابِه، لم يُنسجْ على مِنوالِه، ومؤلِّفُه أبو الفتح عثمانُ بنُ جِنّي (ت: 392هـ) عبقريٌّ من عباقرةِ العربيّةِ الأفذاذِ المعدودين على أصابعِ اليدِ الواحدة، فقد رسختْ أقدامُه في علوم العربيّةِ جميعِها، وجالَ فكرُه في خصائصِها، فأدركَ نظامَها وقوانينَها، وكشَفَ عن مكنوناتِها وأسرارِها، وتحرّرَ منَ الجمودِ والتّقليدِ في الأحكامِ المتعلّقةِ بها، فأتى بما أبهرَ العقولَ، وصارَ مرجعًا للعلماءِ بعدَه في علومِ اللّغةِ، خاصّةً فقهَ اللّغةِ وعلمَ الأصواتِ والتّصريفِ.

ومع هذه المكانةِ العاليةِ لكتابِ سرِّ الصّناعةِ ومؤلِّفه، خفيت أهمّيّةُ الكتابِ على كثيرٍ منَ المهتمّين بعلوم العربيّةِ في عصرنا، ولعلَّ من أسبابِ ذلك الاقتصارَ في عصرِنا على دراسةِ كتبٍ مختصرةٍ في النّحو والصّرفِ، دون دراسةِ فقهِ اللّغة وأصولِها وخصائصِها.

وقد ذكرَ ابنُ جنِّي في كتابِه هذا تفصيلاتٍ لم يُسبقْ إليها، ولا تكادُ تُذكرُ في كتابٍ بعدَه إلا أن يكونَ نقلاً عنه، وقد صرّحَ ابنُ جني في غيرِ ما موضعٍ من كتابه هذا بذلك، فقال مثلاً بعد أن ذكرَ الحروفَ الفرعيّةَ وفصَّل فيها: «وما علمتُ أنَّ أحدًا من أصحابنا خاضَ في هذا الفنِّ هذا الخوْضَ، ولا أشبعَه هذا الإشباعَ»، وقال في التّفريق بين حركةِ اللّامِ الجارّةِ ولامِ الابتداء: «وهنا زيادةٌ ما علمتُها لأحدٍ من أصحابنا»، وقال بعد أن فصَّل الكلامَ في لامِ التّعريفِ: «وما علمتُ أحدًا من أصحابِنا رحمهم

> **خفيت أهمّيّةُ كتابِ سرِّ الصّناعةِ ومؤلِّفه على كثيرٍ منَ المهتمّين بعلوم العربيّةِ في عصرنا، ولعلَّ من أسبابِ ذلك: الاقتصار في عصرنا على دراسةِ كتبٍ مختصرةٍ في النّحو والصّرف، دون دراسةِ فقه اللّغة وأصولِها وخصائصِها.**

الله وصلَ من كشْفِ أسرارِها إلى هذه المواضعِ التي شرحتُها وأوضحتُها»، وقال بعد أن تحدّث عن نون التّثنيةِ ونونِ الجمع السّالم: «ولم يتقصَّ أحدٌ من أصحابنا القولَ عليها هذا التّقصّيَ، ولا علمتُه أشْبَعه هذا الإشباعَ»، وقال بعد أن ذكر أصلَ لفظِ (إيّا): «فهذه أحكامُ تصريفِ هذه اللّفظةِ، ولست أعرفُ أحدًا من أصحابنا خاضَ فيها إلى ههنا، ولا قاربَ هذا الموضعَ أيضًا». إلى غيرِ ذلك منَ النّصوص التي تدلُّ على أنّه فصّلَ في بعض المسائل تفصيلاً بديعًا لم يُسبقْ إليه، ومن طالعَ كلامَ أهلِ العلم في مثلِ هذه المسائلِ علمَ أنّه لم يقلْ هذ الكلامَ ادِّعاءً.

وقد يتبادرُ إلى الأذهانِ أنَّ موضوعَ كتابِ سرِّ صناعةِ الإعرابِ في علم النّحو، لاشتمالِ عنوانِه على لفظ (الإعراب)، إلّا أنَّ النّاظرَ فيه يجدُ غيرَ ذلك، فالموضوعُ العامُّ للكتابِ هو علْمُ الأصواتِ وعلمُ التّصريفِ، والمرادُ بالإعرابِ في عنوانِ الكتابِ هو المعنى اللّغويُّ له، وهو الإبانةُ والإيضاحُ، لا المعنى الاصطلاحيُّ المعروفُ في علم النّحو، فكأنّه أرادَ في كتابه هذا أن يُبيِّنَ السِّرَّ في وضوحِ ألفاظِ الكلامِ العربيِّ.

وقد ذكرَ ابنُ جنِّي موضوعَ هذا الكتابِ في مقدّمتِه، فذكرَ أنّ كتابَه هذا يشتملُ على جميعِ أحكامِ حروفِ المعجم، وأحوالِ كلِّ حرفٍ منها، وكيفَ مواقعُه في كلامِ العربِ. فموضوعُه منصبٌّ على دراسةِ حروف المباني وبيانِ مخارجِها وصفاتِها وأحكامِها، وذِكْرِ ما يتعلّقُ بها من قضايا تصريفيّةٍ، كذكرِ تصريفِ أسمائِها وجموعِها والأفعالِ المشتقَّةِ للدّلالةِ على كتابتِها، وقد ذكرَ حروفَ المعاني الأُحاديةَ في أثناء الكلام على حروف بنائِها، وذلك من باب الاستطرادِ واستيفاءِ الكلامِ على الحروف المفردَةِ، وقد وقف عند كلِّ قضيةٍ من قضايا الكتابِ وقفةً متأنّيةً وأشبعَها بحثًا ودراسةً، بأسلوبٍ واضحٍ سهْلٍ مُؤصَّلٍ.

وما ذكرَه ابنُ جنِّي في هذا الكتاب هو كالتّقدمةِ لدراسةِ علْمِ التّصريف؛ إذْ لا يتأتّى للدّارسِ أن يُتقن علْمَ التّصريف إتقانًا صحيحًا دون أن يعِيَ موضوعاتِ هذا الكتابِ.

وفي هذا المقالِ عرضٌ مختصرٌ لموضوعِ هذا الكتاب.

بدأ ابنُ جنِّي كتابه هذا بمقدّمةٍ ذكرَ فيها مقصدَه من تأليفِه، ثم عقدَ تمهيدًا تحدَّثَ فيه عن ماهيةِ الصّوت، وآليَّةِ تَكَوُّنِه، وسببِ اختلافِ الأصواتِ، وكيف ينشأُ الحرفُ في المخرجِ، وبيَّن الفرقَ بين الصّوتِ والحرفِ من جهة الماهيَّةِ ومن جهة اللَّفظِ الدَّالِّ على كلِّ واحدٍ منهما، فذكرَ المعنى اللُّغويَّ لكلٍّ منَ الصّوت والحرفِ وأصلَ اشتقاقِ كلِّ واحدٍ منهما.

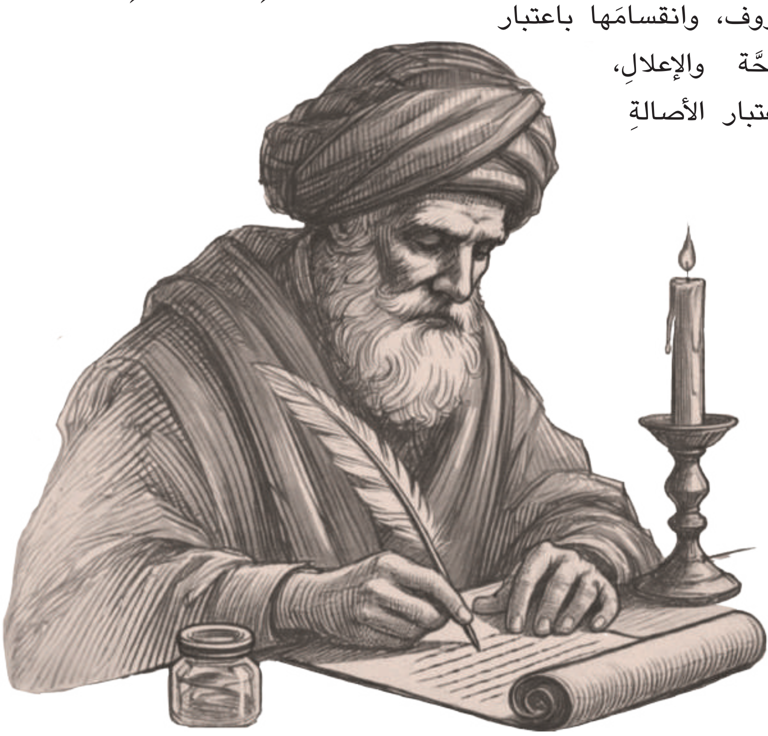
ثمّ تحدَّثَ عنِ الحركات وبيَّن أنَّـها أبعاضُ حروفِ العلَّة، وذكرَ العلاقةَ بين حروفِ العلَّة، وذكرَ بعضَ المسائلِ التّصريفيّةِ في باب الإعلالِ والإبدالِ التي يتوقّفُ إدراكُها على إدراكِ ماهيةِ الحركاتِ وعلاقتِها بحروف العلَّة، ثم ذكرَ حالةَ الحرفِ من جهة الحركةِ والسّكونِ، وزمنِ نُطقِ الحركة بالنّسبةِ إلى الحرف الذي تحمَّلَها.

ثم وضَّح المرادَ بحروف المعجمِ في هذا التّركيبِ الإضافيِّ، واستطردَ إلى ذكرِ المعنَى الكُلِّيِّ للجذرِ (ع ج م) وبيَّن الدّلالةَ الصّرفيّةَ لبناءِ (الإفعال) في لفظ المعجم أوِ الإعجامِ عند إضافتِه إلى الحروف.

ثمّ عقدَ ابنُ جنِّي بابًا ذكرَ فيه أسماءَ الحروف وأجناسَها، وترتيبَها، ومخارجَها، ومدارجَها، والحروفَ الفرعيّةَ المُستحسنةَ والمُستقبحةَ، والحرَكاتِ المشوبةَ بغيرها، وصفاتِ الحروف، وانقسامَها باعتبار الصِّحَّة والإعلالِ، وباعتبارِ الأصالةِ

> الموضوعُ العامُّ للكتاب هو علْمُ الأصواتِ وعلمُ التّصريفِ، والمرادُ بالإعرابِ في عنوان الكتابِ هو المعنى اللّغويُّ له.

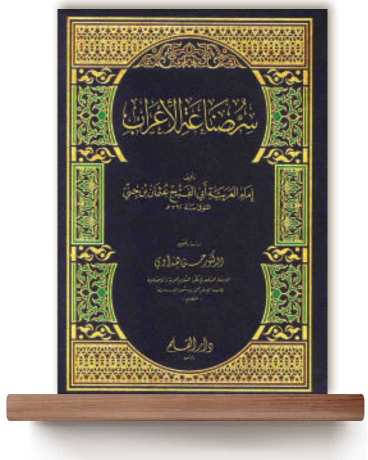
> كتابُ ابنِ جنِّي يشتملُ على جميعِ أحكامِ حروفِ المعجم، وأحوالِ كلِّ حرفٍ منها، وكيفَ مواقِعُه في كلامِ العربِ. فموضوعُه منصبٌّ على دراسةِ حروفِ المباني وبيانِ مخارجِها وصفاتِها وأحكامِها.



والزِّيادة، وتحدّثَ عنِ انسجام الحروفِ المتقاربةِ في التأليف وتنافُرِها.

ثمّ عقدَ تسعةً وعشرين بابًا، خصَّ كُلَّ حرفٍ من حروف الهجاءِ ببابٍ، ورتَّبها على ترتيبِ نصْرِ بنِ عاصم، وهو ما عُرف بالتّرتيبِ الأبتثي أوِ الألِفَبائيِّ، وفي كلِّ بابٍ من هذه الأبوابِ ذكرَ صفةَ الحرفِ الذي عقدَ البابَ لأجلِه من حيثُ الجهرُ أوِ الهمسُ، وبيَّن ما إذا كان يقعُ في الكَلِم العربيِّ أصلاً فحسبُ، وإذا ما كان يقعُ أيضًا زائدًا أو بدلاً من أصلٍ إبدالاً لُغويًّا أو قياسيًّا، وبيَّنَ بالتّمثيل وقوعَه أصلاً فاءً للكلمةِ وعينًا ولامًا ذاكرًا لكلّ حالةٍ مِثالَين غالبًا أحدُهما فعلٌ والآخرُ اسمٌ، ثمّ إذا كان الحرفُ يقعُ زائدًا بيَّنَ مواضعَ زيادتِه، وإذا كان يقعُ بدلاً بيَّنَ الحروفَ التي يُبدلُ منها، وإذا كان يَعرِضُ للحرف حذفٌ مطَّردٌ بيّنَ ذلك أيضًا، وفي مطلعِ باب الهمزةِ شرحَ معنى الأصالةِ والزّيادةِ والبدلِ.

وبعد أنِ انتهى مِنَ الأبواب التي عقدَها لكلّ حرفٍ من حروف الهجاءِ عقدَ فصلاً يُعَدُّ من أهمِّ فصولِ الكتاب من جهةِ أنَّ ما ذكرَه فيه لا يكادُ يوجدُ في كتابٍ غيرِه، وهذا الفصلُ في بيان تصريفِ أسماءِ حروفِ المعجم واشتقاقِها وجمْعِها، فذكرَ أنّ هجاءَ الحروف على ضربَين، أحدُهما ما كان على حرفين، وذلك: با، تا، ثا، حا، خا، را، طا، ظا، فا، ها، يا، وذكرَ في حرف الزّاي خلافًا، والضّربُ الآخرُ ما كان على ثلاثةِ أحرفٍ، وهو ما بقيَ مِنَ الحروف، وهذا التّقسيمُ يغفُل عنه كثيرٌ مِنَ المهتمّين بالعربيّةِ، لِظنِّهم



> هذا الكتابُ مِنَ الكتبِ المهمّةِ التي لا غِنَى عنها لمن أراد إتقانَ علْم الأصواتِ وعلْم الصرف، وفهمُ مسائلِه يفتحُ ذهنَ الدّارسِ لإدراكِ العربيّةِ وقوانينِها إدراكًا سليمًا.

أنَّ جميعَ الحروف هِجاؤها على ثلاثةِ أحرفٍ، بجعْلِ الهمزةِ في آخرها من أصلِ تسْميتِها.

ثمّ بدأَ في الحديثِ عنِ الحروف الثّنائيّةِ في هِجائِها، وبيَّن أنَّ الهمزةَ ليست من أصل تسْميتِها، وإنّما اجتُلبتْ لإظهار حركةِ الإعرابِ، ولأنَّ هذا اللّفظَ إذا نُوِّنَ وهو على حرفَيْن ثانيهما ألفٌ بقيَ على حرفٍ واحدٍ في النُّطق بسببِ التقاءِ السّاكنَين، لذا ضُوعفت الألفُ ثمّ قُلبت الثّانيةُ همزةً. ثمّ بيّنَ الخلافَ في أصل الألفِ في التّقدير، أهو واوٌ أم ياءٌ، ثم ذكرَ الفعلَ المشتقَّ من هذه الحروف بعدَ التّسميةِ للدّلالةِ على كتابتِها والخلافِ في ذلك، ثم ذكرَ جموعَ أسماءِ هذه الحروفِ.

ثمّ تحدّثَ عنِ الحروفِ الثّلاثيةِ في هجائِها، وبيَّن أنّها على ضربين، أحدُهما: ما ثانيه ياءٌ، وهو: جيم، سين، شين، عين، غين، ميم. والآخر: ما ثانيه ألفٌ، وهو: دال، ذال، صاد، ضاد، قاف، كاف، لام، واو. فبيَّن تصريفَها، والفعلَ المشتقَّ من هذه الحروف بعدَ التّسميةِ للدّلالة على كتابتِها، وجموعَ أسماءِ هذه الحروف والخلافَ في ذلك.

ثمّ عقدَ فصلاً في بيان مذهبِ مزْجِ العربِ الحروفَ بعضَها ببعض، فتحدَّثَ عنِ الحروف الخفيفةِ والحروفِ الثّقيلةِ في النّطق، وجعل ذلك تمهيدًا للحديثِ عنِ التّآلف بين الحروفِ حالَ تركيبِها، ونظامِ العربيّةِ في تجاوُرِ الحروفِ في التّأليف، وتأثُّرِ بعض الحروف ببعضٍ بسببِ هذه المجاوَرة.

وختمَ ابنُ جِنّي كتابَه بفصلٍ سمّاه: إفرادَ الحروفِ في الأمرِ ونظْمَها على المألوفِ مِن استعمال حروفِ المعجم، ذكرَ فيه أفعالَ الأمر التي تبقَى على حرفٍ واحدٍ؛ لكونِها منَ المعتلِّ اللّفيفِ، أو لكونِها منَ المعتلِّ النّاقصِ مع كَونِ فائِها أو عيْنِها همزةً، ثمّ خُفِّفتِ الهمزةُ على لغةِ بعضِ العرب.

وبعدُ، فهذا الكتابُ مِنَ الكتبِ المهمّةِ التي لا غِنَى عنها لمن أراد إتقانَ علْمِ الأصواتِ وعلْمِ الصرف، وفهمُ مسائلِه يفتحُ ذهنَ الدّارسِ لإدراكِ العربيّةِ وقوانينِها إدراكًا سليمًا.

هما أمرانِ، أحْلاهُما مُرٌّ



هما أمرانِ، أحْلاهُما مُرُّ

عبارة مشهورة جرت على ألسنة الأدباء والكُتّاب وحتّى بين العامّة، وهي تستخدم للدلالة على موقف يضطر فيه المرء للمفاضلة بين أمرين أفضلهما سيئٌ أو غير مرغوب فيه، وأصل هذه العبارة هو قول الشّاعر العباسيّ أبو فراس الحمدانيّ عندما خيّره أصحابه بين الفرار والموت، فقال:

وقال أُصَيْحابي: الفرارُ أو الرَّدى؟
فقلتُ: هما أمرانِ، أحْلاهُما مُرُّ

ولكنّني أَمْضي لِما لا يَعيبُني
وحَسْبُكَ من أَمْرَينِ خيرُهما الأَسْر



أسامة خضراوي



عَرْضُ كتابِ «أَسْرَارُ الحَكَوَاتِيِّ: جَمَالِيَّاتُ الحَكْيِ وَذَخَائِرُ السِّيَرِ الشَّعْبِيَّةِ»



د. هاني حجاج
كاتب/ مصر

تُمثّلُ السّيرةُ الشّعبيةُ عالَمًا إبداعيًا فسيحًا، و«ذلك لما امتلكتْه من خصوصيّاتٍ ومزايا فنيّةٍ وشكليّةٍ ومضمونيّةٍ، سهّلت لها استقطابَ العديدِ منَ الأشكالِ الفنيّةِ والأدبيّةِ في حركةٍ تناغُمٍ وتفاعُلٍ سَلسةٍ مرنةٍ لا يمكنُ فهمُ فوارقِها ومزاياها إلّا من خلالِ النّظرةِ المُتفحصةِ النّاقدةِ والدّقيقةِ.» (حربٌ، طلالٌ، أوّليّةُ النّصّ، نظراتٌ في النّقدِ والقصّةِ والأسطورةِ والأدبِ الشّعبيِّ، المؤسّسةُ الجامعيّةُ للدّراساتِ والنّشرِ والتّوزيعِ، بيروت لبنان، ط1، 1999م، ص 115). تَحملُنا السّيرةُ الشّعبيّةُ على استحضارِ صورةِ الحَكواتيِّ؛ وقد امتشقَ ربابتَه إذا جنَّ اللّيلُ راسمًا للنّاسِ فانتازيا تَتجلّى من خلالِها البطولةُ في كلِّ صُوَرِها. ولكنَّ نظرةً عَجلَى لتلكَ السّيرِ تبيّنُ لنا ما تُبطنُه من قيمٍ كالشّجاعةِ والحكمةِ وإلى أيِّ مدًى تُشكّلُ فضاءً دراميًّا مَلحميًّا حافظًا لذاكرةِ الشّعوبِ.

بل إنَّ بعضَ تلك السّيَرِ وُجدت أساسًا لتمكينِ الهويّةِ الثّقافيّةِ وتمكينِ عواملِ التّغريبِ والمَسْخِ التي تتعرّضُ لها الشّعوبُ العربيّةُ عند كلِّ اجتياحٍ. ولتعزيزِ هذا المُعطَى التّبريريِّ لدوافعِ إنشاءِ السّيَرِ وتداوُلِها يشيرُ البعضُ إلى أهمّيّةِ دراسةِ الشّعوبِ وتُراثِها لفهمِ الذّاكرةِ الثّقافيةِ وتفكيكِها. وفي هذا الإطارِ يرى بعضُ المُهتمّين بالسّيرةِ ودورِها في تشكيلِ الذّاكرةِ الثّقافيّةِ المُقاومةِ للعدوِّ أنَّ سيرةَ «الأميرةُ ذاتُ الهمّة» هي سيرةٌ فلسطينيّةٌ شعبيّةٌ تداولتْها الأجيالُ منذ القرنِ الثّامنِ الميلاديِّ حتى يومِنا. وقد شكّلتْ جُزءًا أصيلاً منَ الذّاكرةِ الفلسطينيّةِ ذلك أنّها باتت تُعطي فضاءً متّسعًا باتّساعِ السّيرةِ نفسِها للحُلم. وتمثّلُ السّيرةُ الشّعبيّةُ العربيّةُ بتعدُّدِ أشكالِها التّعبيريّةِ النّموذجَ الفعليَّ لما يُعرفُ في المُمارسةِ النّقديّةِ الحديثةِ بتداخُلِ الأجناسِ الأدبيّةِ وتَخطّي الحدودِ الشّكليّةِ والفنيّةِ الفاصلةِ بينها، فالسّيرةُ بهذا أعطتْ للكثيرِ منَ الفنونِ الإبداعيّةِ مشروعيّةَ التّداخلِ وهذا الفتحُ وجدناه في الرّوايةِ الحديثةِ على وجهِ الخصوص، فالسّيَرُ العربيّةُ ظلّت بعيدةً عن مجالِ البحثِ مرحلةً

معهـــد الشـــارقـــة للتـــراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE
نصون التراث ... نحفظ الهوية

طويلةً، وبدأ الاهتمامُ بها مؤخّرًا ولكنّها تحتاجُ إلى تكثيفٍ في جهودِ الباحثين المتخصّصين لزيادةِ جلاءِ أسرارِها التي لم تُذْلِ لنا بها كلِّها بعدُ. "وممّا لا شكَّ فيه أنّها تؤدّي دورًا مهمًّا في الوجدانِ الشّعبيّ، وفي إذكاءِ روحِ الإبداعِ الفَنّيِّ وتطويرِه وتهذيبِه، وتُمهِّدُه لمرحلةِ إبداعِ السِّيرِ الشّعبيّةِ العربيّةِ بصورتِها الفنيّةِ المُتكاملة. (السّيرةُ الشّعبيّةُ العربيّةُ: رُؤى منَ الماضي وتطلّعاتُ الحاضر، د. محمّد أحمد حمّود، مجلة أوراق ثقافية، العدد 24، 2023)

يصدرُ عن معهدِ الشّارقة للتّراث بالإمارات، كتابُ: "أَسْـرَارُ الحَكَوَاتِي: جَمَالِيَّاتُ الحَكْي وَذَخَائِرُ السِّيَرِ الشَّعْبِيَّة"، الذي يقع في ما يَربُو على الأربعمائة صَفْحَةٍ منَ القطْعِ المتوسّط، من تأليف الدّكتورِ أسامةَ خضراوي الباحثِ في مجال الدّراساتِ الثّقافيّةِ بجامعة محمّد الخامس بالرّباط، الطبعة الأولى: 1443 هـ/ 2022 م / الشارقة، والكتابُ من تقديم النّاقدِ الدكتور سعيد يقطين.. ويقولُ الدكتور عبد العزيز المسلم رئيسُ معهدِ الشّارقة للتّراث في مقدّمة الكتابِ: "القراءةُ ثمّ الكتابةُ، ثمّ يكون كلُّ شيء، هذه هي المُكوّناتُ الأولى التي تُبنى بها الحضاراتُ...، من هنا نبدأُ، من هذه الإصداراتِ النّوعيّةِ التي نختارُها لكم بعنايةٍ، كي نرسمَ طريقًا واضحًا للثّقافةِ الشّعبيّةِ، إصداراتٌ ديدَنُها الثّقافةُ، وفحواها المعارفُ التّقليديّةُ. ومِيزتُها الولوجُ إلى القلبِ دون تكلّفٍ أو تجهّم".

إنَّ الأدبَ الشّعبيَّ ليس هو أدبَ العامّيّةِ وليس هو أدبَ الفُصحى، بل هو تعبيرٌ عنِ الشّعبِ بكلّ طبقاتِه الاجتماعيّةِ والثّقافيّةِ العربيّةِ، فقد ساد عند عامّةِ المُثقّفين وخاصّةً رجالَ الإعلامِ إطلاقُ الأدبِ الشّعبيِّ على آدابِ العامّيّةِ وفنونِ العامّيّةِ المختلفة، وقد وقع كثيرون في هذا الخطأِ وعدُّوا الأدبَ الشّعبيَّ هو أدبَ الفلّاحين والطّبقاتِ الدّنيا في المدينة، وقد دفعت عدّةُ عواملَ إلى هذا الخطأ: منها أنّ جامعَ هذا الأدبِ الشّعبيِّ غالبًا ما يبدأُ عمليّةَ جمعٍ بين أبناءِ هذه الطّبقة؛ لأنّها الأكثرُ بُعدًا منَ المتغيّراتِ الطّارئةِ في العاداتِ والتّقاليدِ والتي تسرعُ



إليها الطّبقاتُ الثّريّةُ المُحبّةُ للتّغييرِ وإظهارِ علاماتِ الثّراءِ والرّغبةِ في التّميّزِ والاختلافِ عنِ المجموع ، وهي أسرعُ إلى تقليدِ الوافدِ والغريبِ وأمْيلُ إلى أن تقودَ حركةَ التّغيير في المظهرِ والسّلوكِ وأنماطِ الثّقافة المُتعدّدة، بينما ترتبطُ الطّبقاتُ العاملةُ بالأرضِ وقيَمِ العمل، أي بالإنتاج، وهذا الارتباطُ يفرضُ التّمسّكَ بتقاليدِ الأرض وتقاليدِ العمل التي هي جزءٌ من عمليّةِ الإنتاج ذاتِها، ومن هنا كان اتّجاهُ الدّارسين عنِ المأثورِ الشّعبيِّ إلى هذه الطّبقاتِ التي هي في طبيعتِها أكثرُ حفاظًا على التّراثِ وأشدُّ تمسّكًا بالتّقاليد والعادات الموروثة، ولو أنّ دخولَ وسائلِ الإعلامِ الحديثة، الصّوتيّةِ والمرئيّةِ، يُزعزعُ من استمرارِ ارتباطِها بالموروثِ الشّعبيِّ، فقد شوهدت في التّلفزيونات العربيّةِ برامجُ باسْمِ الأدبِ الشّعبيِّ يُقدّمُ فنونَ القول بالعامّيّةِ الموزونةِ والمَحكيّةِ من دون تجرّدٍ أو احترازٍ، واكتملتِ الدّائرةُ حين بدأتِ الجرائدُ في الوطن العربيِّ تُخصّصُ صفحاتٍ للشّعرِ العامّي، وأصبحَ منَ المألوف أن يُسمّى شاعرُ العامّيّة شاعرًا شعبيًّا لمجرّدِ أنّه يستعملُ العامّيّةَ في إبداعِه الشّعريِّ، " ومن هنا كانتِ الدّعواتُ إلى سرعة جمْعِ الموروثاتِ الشّعبيّةِ قبل انقراضِها بدخول القيمِ والسُّلوكيّاتِ التي تزحفُ بها وسائلُ الإعلامِ مع المُعاصرةِ والحداثةِ والانترنت ووسائلِ الاتّصالِ والتّواصلِ المُتطوّرةِ والسّهلةِ دون تخطيطٍ أو دراسةٍ تضعُ الحفاظَ على الموروث نُصبَ عينيها، فكلمةُ (شَعبيّ) تعني التّراثَ المشتركَ لكلّ طبقاتِ الشّعبِ وفئاتِه التي تجمعُهم بنسبةٍ ثقافيّةٍ مشتركةٍ وواحدةٍ". (المرجع السابق).

يُقدّمُ الكتابُ صورةً بسيطةً لإحدى تجلّياتِ جماليّةِ التّلقّي لهانس روبرياوس وإسقاطِها على ثنايا الأدبِ الشّعبيِّ، المُتمثّلِ في حلقةِ السِّيَرِ الشّعبيّةِ التي تمثّلُ مرآةً تعكسُ واقعَ الشُّعوبِ العربيّةِ، التّوّاقةِ

إلى البُطولاتِ والملاحمِ والأمجادِ مع احتفائِها بالفروسيّةِ والفارسِ العربيِّ بشِيَمِه ومبادئِه التي تجعلُه منارةً عربيّةً تنيرُ سماءَ الصّحراء العربيّة. وعنِ الكتاب يقول الدكتور سعيد يقطين في تقديمه: «ويمكنُ التّمثيلُ لهذا الاهتمام بكتابِ أَسْرَارُ الحَكَوَاتِي: جَمَالِيَّاتُ الحَكْي – وَذَخَائِرُ السِّيَرِ الشَّعْبِيَّة» لأسامة خضراوي، الذي عملَ فيه على البحثِ واستكشافِ ما تزخرُ به ساحةُ جامعِ الفنا من غِنًى ثقافيٍّ، من خلال تركيزِه على حلقةِ الرّاوي الشّعبيِّ؛ فجاءت دراستُه استجماعًا لِمَا تفرَّقَ في المصنّفاتِ القليلةِ وغيرِ المُتاحةِ حول خصوصيّةِ فضاءِ الحلقةِ في الثّقافةِ المغربيّةِ؛ وفي الوقت نفسه – وهذه من إحدى مُميّزاتِها- تحليلاً لصورةِ المُتلقّي الذي يتشاركُ مع الرّاوي الشّعبيِّ في التّواصُلِ حول السّيرةِ الشّعبيّةِ العربيّةِ التي أُعتَبِرُها ((موسوعةً حكائيّةً تاريخيّةً)); وكان لصلتِه بفضاءِ الحلقةِ واتّصالِه برجالاتِها أثرُه في طبْعِ كتابِه هذا بصفاتٍ خاصّةٍ».

سوف يجدُ القارئُ في هذا الكتابِ معلوماتٍ جديدةً، وأفكاراً تَستدعي التّعميقَ من خلال البحثِ في جوانبَ أخرى منَ الثّقافة الشّعبيّةِ بسبب التّرابطِ بين مختلفِ مُكوّناتِها. هذا الكتابُ إضافةٌ مهمّةٌ إلى المجهوداتِ التي قُدّمت في سبيلِ البحثِ واستكشافِ ثراءِ الثّقافةِ الشّعبيّةِ المغربيّةِ. ولا شكَّ في أنَّ أيَّ إضافةٍ في هذا المسارِ هي دعوةٌ إلى الانتباه إلى جانبٍ مهمٍّ من ثقافتِنا المغربيّةِ في مختلفِ تجلّياتِها وأبعادِها ومقاصدِها، خدمةً لواقعِنا الثّقافيِّ من خلال البحثِ في ذاكرتِه الثّقافيّةِ من جهةٍ، واستشرافًا لمستقبلٍ زاهرٍ من جهة أخرى. أمّا مصادرُ هذا البحثِ فكانت مُؤلّفاتِ النّقد العربيِّ، وكتبَ الأدبِ الشّعبيِّ والفولكلورِ، بالإضافة إلى كتبِ روبرت هولب الذي كان جامعًا مانعًا لأهمِّ أفكارِ نظريّةِ التّلقّي؛ إذ هي منارةُ هذا البحثِ، وقد رُجِعَ إلى قرابةِ عَشَرَةِ مؤلّفات وأزيدَ من تلك المُؤلّفات النّقديّةِ، التي تَشْمَلُ المساحةَ الزّمنيّةَ منذ ابتداءِ التّدوين إلى نهايةِ القرن السّادس عشر. وأمّا مراجعُ البحث فهي متعدّدةٌ وكثيرةٌ لا يتّسعُ المقام لذكرها (دراساتٌ، مقالاتٌ، ندواتٌ، مجلّاتٌ...)، منها ما يتعلّقُ بنظريّةِ التّلقّي، ومنها ما يتعلّقُ بالحلقةِ والأدبِ الشّعبيِّ وحيثياتِ نظريّةِ التّلقّي، في بُعدِها النّظريِّ كما هي في العصرِ الحديثِ في مؤلّفاتِ رُوَّادِها.

ومن أجل ولوجِ غِمارِ كتابِ أسرارِ الحَكواتي، قُسِّمَ إلى تأطيرٍ عامٍّ وخمسةِ فصولٍ موزعةٍ على النّحو الآتي:

1. التّأطيرُ العام: تطرّقَ فيه إلى مفهومِ الثّقافةِ الشّعبيّةِ ودورِها الوظيفيِّ في خلْقِ وعْيِ الشّعوب، مع تِبيانِ المجالِ الجُغرافيِّ الذي استقرّت عليه الدّراسةُ، وهو جَامِعُ الفنا بمدينةِ مُرّاكش، مُوضّحًا سببَ التّسميةِ والأحداثَ التّاريخيّةَ التي عاشتْها ساحةُ جامعِ الفنا، مع ذكرِ المناهجِ المُؤطّرة لهذا البحثِ.

2. الفصلُ الأوّلُ: تحدّثَ فيه عنِ الفُولكلورِ والأدبِ الشّعبيِّ، مُبْرِزًا خصائصَه ومفاهيمَه ومكوّناتِه، ومكانتَه وأهمّيَّةَ دراستِه، ومواضيعِه المُتعدّدةِ المُتشعبةِ الّتي تَخُصُّ السِّيَرَ الشّعبيةَ العربيّةَ، وعلاقتَها بالأدبِ الشّعبيِّ، والتي تُطْلَقُ على مجموعةٍ منَ الأعمالِ الحكائيّةِ الطويلةِ والقصيرةِ، ذاتِ سماتٍ فنيّةٍ إقليميّةٍ متشابهةٍ، وَ أهدافٍ ورُؤى تُراثيّةٍ وشَعبويّةٍ متماثلةٍ، إذ تكوّنُ في مجموعِها صِنفًا أدبيًّا مَتميّزًا فارقًا. وتستندُ الدّراسةُ إلى نشأةِ السِّيرِ العربيّةِ وارتباطِها بحياةِ النّاسِ وتاريخِهم وحضارتِهم، والتي تَنطلقُ من شخصيّةِ البطلِ وأخلاقِ الشّهامةِ والفُروسيّةِ والتي منها ما يَجنحُ قليلُه إلى الواقعِ المعاصرِ وكثيرُه إلى الخيالِ المحْضِ. وهي عمليّةُ رصْدٍ للسِّيرِ الشّعبيّةِ من حيث رَواجُها الشّعبيُّ وانتقالُها الشّفاهيُّ منَ الرُّواةِ إلى الجماهيرِ، وتأصيلٌ لعادةِ الاستماعِ إلى رُواتِها وشُعرائِها في المناسباتِ والاحتفالاتِ المُتعدّدةِ سواءٌ الدّينيةُ أوِ الوطنيّةُ، فضلاً عن كيفيةِ تناقُلِها وتدوينِ أيّامِها ومراحلِ تأليفِها وتجميعِها، وما يرتبطُ بالمأثورِ الشّعبيِّ لأبطالِها وأشكالِها التّعبيريّةِ بين النّثرِ والرّوايةِ وتوظيفِ الأساطيرِ والحكاياتِ الخُرافيّةِ فيها، والمواقفِ الشّعريّةِ التي أتتْ بها لإبرازِ أبطالِها وأفعالِهم. هي محاولةٌ للإضاءةِ على هذا الفنِّ العربيِّ الشعبيِّ، وارتباطِه بتيّارِ الحياة الشّعبيّةِ المُتدفّقِ والمُستمرِّ، وما يُضافُ إليه باستمرارٍ من مُكتسباتٍ جديدةٍ وخبراتٍ جديدةٍ تُضافُ إلى التّراثِ المُتبقّي فَتُكْسِبُهُ ثَرَاءً، وتُطوّرُ فيه ما يجعلُه مُستمرًّا في الوجودِ والحياة على وجه العموم.

3. الفصلُ الثّاني: تطرّقَ فيه إلى نمَطٍ منَ الأنماطِ الشّعبيّةِ، ألا وهو الحلقةُ، من خلال تِبيانِ مكوّناتِها ومفاهيمِها ورُوّادِها وأنواعِها،



مع التّطرّق إلى أهمِّ المُمارساتِ الشّعبيّةِ التي تناولَتْها، والقاموسِ المُتداولِ لدى الحَلايقيِّ/ الحَكواتيِّ. يُطلقُ على الرّاوي الشّعبيِّ في المغربِ "الحَلايقيّ" نسبةً إلى الحلقة، أي الدّائرةِ البشريّةِ التي تتشكّلُ حولَه حين يَشرعُ في الحَكي. وتُعتبرُ ساحةُ «جامع الفنا» بمدينة مُرّاكش إحدى أعرقِ وأشهرِ السّاحاتِ المُحتضنةِ لحلقاتِ الحَكواتيّين، ويتوافدُ عليها الزُّوّارُ من داخلِ المغرب وخارجه على مدارِ العام بالنّهار وباللّيل. "لذلك خصّها خضراوي بدراسته المُطوّلة، واصفًا حَكواتِيِّي السّاحة بالكائنات الهشّةِ اجتماعيًّا، والمُثقلة بأعباء الحياة اليوميّة، لكنّها في الآن ذاتِه قادرةٌ على إبهاجِ الجمهور وإبهارِه، بشكلٍ يوميٍّ، بمُحكيات شعبيةٍ آسرةٍ." (الرّاوي الشّعبيُّ يمثّلُ ذاكرةً جماعيّةً تقاومُ الزّمنَ، مقالُ عبد الرحيم الخصار، الاندبندنت العربية، عدد 28 فبراير 2024) و«كأنّ مبدعَ السّيرةِ الشّعبيّةِ أراد إشراكَ القارئَ والمُستمع في عصرِ تلك المعلومات ومكانِها، جاعلًا منَ المقام سيّدًا في إحداث الأثرِ المَرجُوِّ منَ الرّسالة أوِ الخطاب، هذا البوحُ منَ المُبدع يتوافقُ تمامًا مع فنّ السّيرةِ والتي تَعني في الأخير إظهارَ الأثرِ ليَقتديَ به ويَتبعَه الآخرون». (عرابي، خطري، البِنيةُ الأسطوريّةُ في سيرة سيف بن ذي يزن، نواره للترجمة والنشر مصر، ط 1، 1996م، ص 32).

> **كأنّ مبدعَ السّيرةِ الشّعبيّةِ أراد إشراكَ القارئَ والمُستمع في عصرِ تلك المعلوماتِ ومكانِها، جاعلًا منَ المقامِ سيّدًا في إحداثِ الأثرِ المَرجُوِّ منَ الرّسالةِ أوِ الخطابِ.**

4. الفصلُ الثّالثُ: أمّا الثّالثُ فتحدّث فيه عن ميكانيزماتِ الإبلاغِ والتّلقّي ونظريّةِ التّلقّي ورُوّادِها وأهمِّ المفاهيمِ الإجرائيّةِ التي جاءت بها هذه النّظريّةُ. "ومع هذا، فهذا العملُ يظلُّ دائمًا مُنطلقًا للتّعبيرِ عنِ القضايا المُعاشة، كما يظلُّ دائمًا هو الأداةَ الصّالحةَ للإسقاطاتِ السّياسيّةِ والاجتماعيّةِ، وللتّضميناتِ العقليّةِ والوجدانيّةِ، وللتّسجيل المستمرِّ والحيِّ والمتطوّرِ للعاداتِ والسّلوكِ والتّقاليدِ وما يُصيبُ المُثلَ من تغيّراتٍ وتطوّراتٍ طبقًا لما يُصيبُ المجتمعَ من تغيّراتٍ وتحوّلاتٍ". خورشيد، فاروق، أدب السيرة الشعبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان القاهرة، ط 1 1994م، ص44 .

5. الفصلُ الرّابعُ: تطرّقَ فيه إلى الحديثِ عنِ التّلقّي في الفُرجةِ الشّعبيّةِ والتّجلّياتِ السّيكولوجيّةِ للمتلقّي في الفُرجةِ الشّعبيّةِ، واختارَ نموذجًا قديمًا منَ العصرِ العبّاسيِّ للعتّابيِّ مُوضحًا فيه دورَ الحَكواتيِّ في التّأثيرِ على المُتلقّي/الجمهور، والأدواتِ التي تؤثّرُ فيه، مُستعينًا بمفاهيمِ جماليّةِ التّلقّي. وبسببِ الاستعمارِ والضّعفِ والتّردّي الذي آلت إليه الأمّةُ العربيّةُ، فقدِ "ازدهرت السّيرةُ الشّعبيّةُ في زمنٍ كان النّاسُ أحْوجَ ما يكونون إلى القوّةِ والبطولةِ في العصرِ المملوكيِّ الذي شهدَ اجتياحاتِ المغولِ والإفرنجِ الرّهيبةَ واستبدادَ سلاطينِ المماليك القاسي". (العنتيل، فوزي، الفولكلور قضاياه وتاريخه، بروس سركولوف، ترجمة أ. حلمي شعراوي وأ. عبدالحميد حوّاس، طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1989، ص 34).

6. الفصلُ الخامسُ: تناولَ فيه دلالاتِ الإبلاغِ والتّلقّي في حلقاتِ السِّير الشّعبيّةِ، واختارَ سيرةَ الأميرةِ ذاتِ الهمّة، وسيرةَ عنترةَ بنِ شداد، وسيفِ بنِ ذي يزن، مُسقطًا عليها مفاهيمَ جماليّةِ التّلقّي لتِبيان عناصرِ التّأثيرِ في المُتلقّي/الجمهور، والدّورِ الذي يَقُومُ بِهِ الحَكواتيُّ في صناعةِ الفُرجةِ الشّعبيّةِ، وفي النّهاية عقدَ مقارنةً بين السِّيرِ الشّعبيّةِ، واستخلصَ منها قِيمًا أصيلةً تُلخّصُ فحوَى السِّيرِ، مع ملاحظةِ تناسُقِها الشِّعريِّ على اختلافِ المصادرِ العربيّةِ. "ووجودُ الشّعرِ دليلٌ على اطّلاعِ مُؤلّفِي السِّيرة على ديوانِ العرب؛ بل هو دليلٌ على أنّ من تعرّضوا لكتابةِ السِّيرِ كانوا من أكثرِ النّاسِ ثقافةً في أدبِهم ومأثورِهم؛ إذ كانت هذه السِّيرُ مجالًا لإبرازِ هذه الثّقافةِ الشّاملةِ التي لا تَكتفي بالإلمام بالجوانبِ الهامّةِ التّاريخيّةِ والاجتماعيّةِ والبيئيّةِ لموطنِ السِّيرة وأحداثِها". (عبد الله، إبراهيم، التّلقّي والسّياقاتُ الثّقافيّةُ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 2، 2005، ص، 115).

7. الخاتمةُ: عبارةٌ عن نتائجَ وخُلاصاتٍ خلُصَ إليها في هذا البحث الشّاملِ. في كتابِ "أسرارُ الحَكواتيّ"، الذي أشادَ يقطين بالجُهدِ الكبيرِ المبذولِ في تأليفِه، سعَى أسامةُ خضراوي إلى نفضِ الغُبارِ عن مخزونٍ ثقافيٍّ مهمٍّ، كانت ألسنةُ الرّواةِ الشّعبيّين إلى عهدٍ قريبٍ تتداولُه بصِيغٍ وأشكالٍ مختلفةٍ، يمتزجُ فيها المتوارثُ بالفرديِّ، إذ يعمدُ هؤلاء الرّواةُ إلى إضافةِ أحداثٍ وتفاصيلَ وحواراتٍ جديدةٍ إلى مَحكياتٍ سابقةٍ، في سياقِ الاجتهادِ الفرديّ. فالسِّيرُ الشّعبيّةُ حين تخرجُ من بطونِ الكتبِ، أو من مصادرِها الأُولى تصيرُ نصوصًا شفاهيةً خارجَ الملكيّةِ الفرديّةِ، إذ تغدو مِلكًا للجميع. "لهذا فصلَ الباحثُ في مُستهلّ كتابِه بين الأدبِ الذّاتيّ والأدبِ الشّعبيِّ. فهو بصددِ الاشتغالِ بمادّةٍ يصعبُ التّحكّم فيها، لِصُعُوبَةِ إسنادِها إلى مرجعٍ محدّدٍ". (عبد الرحيم الخصار، مرجع سابق).

فَنُّ القَوْلِ بَيْنَ المَبْنَى والمَعْنَى وضَرُورَةُ الإبَانَةِ

عرضٌ لكتابِ "الصّناعتين"

سعيًا لربْطِ الحاضرِ بالماضي، ومُحاولةً للاستفادةِ من تُراثِنا العَربيِّ في مجالِ النّقدِ الأدبيِّ، قد يكونُ مُناسبًا أن نتحدّثَ عن قَضيّةِ «البِنْيةِ الأدبيّة» عند شيخِ نُقّادِ العربيّةِ ومُؤسّسِ علْمِ البلاغةِ أبي هلالِ العَسكريِّ، وذلك من واقعِ مُؤَلَّفِهِ «كِتَابُ الصِّنَاعَتَيْنِ».

و«الصِّناعَتَيْنِ» كتابٌ تأسيسيٌّ في علْمِ البلاغة، ونَحْسبُ أنّه لا غِنًى عنه للباحِثين، وقد حازَ به مُؤلِّفُه قصَبَ السَّبْقِ على مُعاصريه، وبه ذاعَ صِيتُه كبيرًا في تُراثِ العَربِ والعربيّة، ولا شكَّ أنّ اعتبارَه فنونَ الأدبِ صناعةً هو فهمٌ ثاقبٌ ورأيٌ صائبٌ؛ فلكلِّ نشاطٍ إبْداعيٍّ قوانينُه وأصولُه، والموهبةُ لا جدوَى منها ما لم يَصْقُلْها العلْمُ وتُنَمِّيها الثّقافةُ.



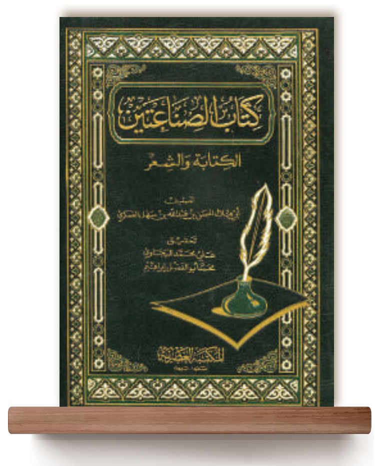
حاتم السروي
شاعر وقاص/ مصر

وكتابُ الصّناعَتين يتناولُ الأعمالَ الشِّعريّةَ والمَنثورةَ منذُ العصْرِ الجاهليِّ حتّى عصْرِ أبي هلال، الذي تألّقَ فيه الفنُّ وأصبحَ الشِّعْرُ في الذِّروةِ منَ الجمالِ والبهاءِ والصَّنْعة، ومن واقعِ تلك النّصوصِ التي أعمَلَ فيها أبو هلالٍ خبرتَه الفَنِّيَّةَ ومَهاراتِه النّقديّةَ استطاعَ أن يَستخرِجَ قواعدَ علْمِ البلاغةِ، وبهذا لم يَعُدِ النّقدُ مُجرّدَ انطباعٍ ولكنْ علمٌ يقومُ على فهْمِ الأدواتِ البَلاغيّةِ.

وفي بدايةِ الكتابِ يَشرعُ المُصنِّفُ في تحديدِ المُصطلَحين الرَّئيسَين في هذا المجالِ، وهما: البَلاغةُ: وهي التي تُنهي المَعنى إلى قلْبِ السّامعِ فيفْهُمُه. والفَصاحةُ: وهي أداةُ البَلاغةِ ووَسيلتُها. ويُمكنُ القولُ اختصارًا أنَّ البلاغةَ مُهمّتُها المعنَى؛ أمّا الفصَاحةُ فتتناولُ اللّفظَ.

وعلى هذا يُمكنُ القولُ إنّ الكلامَ البليغَ شريفُ المَقصدِ عظيمُ المعنَى لا يكونُ فصيحًا بالضّرورةِ إذا افْتَقرَ إلى حُسنِ الصّياغةِ وانْتقاءِ الألفاظِ وجودةِ السَّبكِ وشرَفِ الدِّيباجةِ.. فالقولُ البليغُ الفصيحُ هو ما تَبيّنَ لنا فيه جمالُ الشّكلِ وجلالُ المضْمون.

ويزيدُ الأمرَ وُضوحًا قولُ أبي هلالٍ في مُستهلِّ الصِّناعتَين: «ويجوزُ أن يُسمَّى الكلامُ الواحدُ فصيحًا وبليغًا إذا كان واضحَ المعنَى سهْلَ اللّفظِ جيِّدَ السَّبكِ غيرَ مُستنكَرٍ فَجٍّ ولا مُتكلِّفٍ وخِيمٍ.. وهناك من يَشترطُ كلَّ ما سبقَ في كلِّ الكلامِ ثمَّ يزيدُ عليه الفخامَةَ والجَزالَةَ».



ومن أمثلةِ ما سبقَ ذِكْرُه: حديثُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنَّ هذا الدّينَ مَتينٌ فأوغلُوا فيه برِفْقٍ؛ فإنَّ المُنبَتَّ لا أرضًا قطَعَ ولا ظهْرًا أبقَى».

وممّا سبَقَ يُمكنُ القولُ إنَّ أبا هلالٍ العَسكريَّ كان من أوائلِ النُّقّادِ الذين تطرّقُوا إلى مفهومِ (البِنيةِ) في العملِ الأدبيِّ الذي يتألّفُ مِنَ الشّكلِ والمضْمونِ أو (المبنَى والمعنَى) ويُؤكّدُ لنا أنَّ العملَ الأدبيَّ شأنُ كلِّ كلامٍ غايتُه الأُولى هي (الإبانةُ) وهنا تَكمنُ كبرَى المُشكلاتِ الأدبيّةِ في الوقتِ الرّاهنِ، فهناك من يَعتقِدون أنَّ الغُموضَ والتّرميزَ والشِّفراتِ من لوازمِ العمَلِ الأدبيِّ، ودليلٌ أكيدٌ على مَوهبةِ الكاتبِ وأصالتِه الإبداعيّةِ؛ مع أنَّ البَلاغةَ هي إيضاحُ المعنَى وتحسينُ اللّفظِ أو هي



أبو العتاهية



أبو هلال العسكري

كما يقول أبو هلالٍ أيضًا: «أن تُفْهِمَ السّامعَ حاجتَك بالألفاظِ الحَسنةِ».

على أنَّ أبا هلالٍ ما يَلبثُ أن يَنحازَ إلى اللّفْظِ الحسَنِ قبْلَ المعنَى مُثيرًا بهذا الانحيازِ قضيّةَ (تكريسِ الشّكلِ)، ذلك أنَّ المَعانيَ مُشاعٌ بين النّاسِ يَعرِفُها الجميعُ باختلافِ ثقافاتِهم، ومن هنا يكونُ فضْلُ البَلاغةِ الأوّلُ مُتمثِّلًا في جودَةِ اللّفظِ وصَفائِه، وحُسْنِه وبهائِه، مع الجَزالةِ والرَّصانَةِ، والسُّهولةِ والنَّصاعَةِ، وأن يكونَ سَلِسًا بحيثُ يَسْلَمُ من حَيْفِ التّأليفِ ويَبْعُدُ عن سَماجةِ التّركيبِ وإذا وردَ على الفهْمِ الثّاقِبِ قبلَه ولم يرُدَّه، وعلى السَّمْعِ المُصيبِ اسْتَوعبَه ولم يَمُجَّه، هكذا يُخبرُنا أبو هلالٍ.

انظرْ إلى حياتِنا مثلًا، سوفَ تَجدُ أنَّ اتّفاقًا يقومُ بين الجميعِ على مفهومِ (النّقْصِ البَشريِّ) وأنّه يتعيّنُ علينا تَحمّلُ بعضِنا فكلُّنا عُيوبٌ، على أنَّ هذا المفهومَ لم يُصبحْ معنًى بليغًا إلّا عندمَا صاغَه شعراءُ مُجيدون كان منهم بشارُ بنُ بُردٍ الذي قال:

إذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الأُمورِ مُعَاتِبًا
صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِي لا تُعَاتِبُهْ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أخَاكَ فَإنَّهُ
يُقَارِفُ ذَنْبًا مَرَّةً أَوْ يُقارِبُهْ
إذا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرارًا عَلَى الْقَذَى
ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشارِبُهْ ؟

وأبو هلالٍ إذ يَنتصرُ إلى جانِبِ الشّكلِ والبِناءِ في العمَلِ الفنّيِّ ـ وهو انتصارٌ لا يَحيفُ على المعنَى كما سيمُرُّ بنا ـ فهو يَستدلُّ على موقفِه بعدّةِ أمثلةٍ، ويقولُ: إنَّ الكلامَ إذا كان لفْظُه حُلوًا عذْبًا سلِسًا سَهلًا، ثمّ كان معناه وسَطًا (يعني ليس بالعميقِ وفي الوقتِ ذاتِه ليس بالهزيلِ وإنّما في الوسطِ) دخلَ في جُملةِ الجيّدِ... وليس تحت ألفاظِ الشّعرِ كبيرُ معنًى، ولكنّها ألفاظٌ رائقةٌ مُعجِبةٌ" والشّعرُ هنا لا ينصرِفُ إلى كلِّ ما نَظمَتْه العربُ فبعضُ القصائدِ أو كثيرٌ منها تَحملُ كُبرَياتِ المعاني، وإنّما يَعني أبو هلالٍ بالشّعرِ هنا مثالًا ذكرَه في الصّناعَتين، وهو قولُ أحدِهم:

وَلَمَّا قَضَيْنا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ
وَمَسَّحَ بِالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
أخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحادِيثِ بَيْنَنَا
وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأباطِحُ

فالشّاعرُ البدويُّ هنا يُخبرُنا عن أمرٍ اعتياديٍّ هو من تفاصيلِ حياةِ البَدْوِ وليس فيه ما لا نَعرفُه عنهم، فهو يقولُ إنّهم لمّا قضَوا مَناسكَ الحجِّ، وشَدُّوا رِحالَهم على الإبلِ، ثمَّ انطلقُوا لا يَنتظرُ بعضُهم بعضًا، جعلُوا يَتحدّثونَ بينَما الإبلُ تسيرُ في الأوْدِيةِ!.

ثمَّ يتساءلُ أبو هلالٍ: إذا كان المعنَى عميقًا أو جيّدًا على الأقلِّ وكانتِ الألفاظُ على النّقيضِ محدودةَ الجَمالِ أو صعْبةً أو أنّها باردةٌ، فما الحالُ إذن؟ والإجابةُ أنّه إذا كان المعنَى صَوابًا واللّفظُ فاترًا،

كانَ العملُ الفنّيُّ مُستهجنًا ملفوظًا ومَذمومًا مَردُودًا.

ومنّ الشّعرِ الفاترِ قولُ أبي العَتاهيةِ:

مَاتَ وَاللهِ سَعِيدُ بْنُ وَهْبِ
رَحِمَ اللهُ سَعِيدَ بْنَ وَهْبِ
يَا أَبَا عُثْمَانَ أَبْكَيْتَ عَيْنِي
يَا أَبَا عُثْمَانَ أَوْجَعْتَ قَلْبِي

فهذا فاترٌ والفاترُ مِسْخٌ وبه سُخفٌ لا يُطَاقُ في الشّعرِ. ويرَى أبو هلالٍ أنَّ الباردَ في شعرِ أبي العتاهيةِ كثيرٌ، والشّعرُ عنده كلامٌ منسوجٌ ولفظٌ منْظومٌ، وأحسنُ الشّعرِ ما تَلاءمَ نسْخُه ولم يسخُفْ، وحَسُن لفظُه ولم يَهجنْ، ولم يُستعملْ فيه الغليظُ منَ الكلامِ فيكونُ جلفًا بَغيضًا. ومن اعتقدَ بأنَّ الأفضلَ منَ الكلامِ هو غليظُه أو مُبهمُه فهو جاهلٌ كما يقولُ أبو هلالٍ: " غلبَ الجهْلُ على قومٍ فصارُوا يَستجيدون الكلامَ إذا لم يقِفُوا على معناه إلّا بكَدٍّ، ويَستفْصِحُونَه إذا وجدُوا ألفاظَه كَزّةً غليظةً وجافيةً غريبةً.. إنّهم يَسْتَحقرون الكلامَ إذا رأَوْه سَلِسًا عذبًا وسَهلًا حُلوًا مع أنَّ أجودَ الكلامِ هو السّهلُ المُمتنِعُ».

فأبو هلالٍ والحالُ هذه يَميلُ كلَّ المَيلِ إلى الكلامِ المَيسورِ والعبارةِ السَّهْلةِ المأخَذِ ولكنّه يَحترزُ فيقول: إلّا ما كان لفظُه سهْلًا ومعناه مكشوفًا بَيِّنًا، فهو من جملةِ الجميلِ المردودِ، ومثالُه قولُ إسْمَاعِيلَ صَبْرِي(ت1341 هـ/ 1923م) وَهُوَ مِنَ شُعَراءِ مِصرَ المُحْدَثِينَ :

يَاربِّ قَدْ قَلَّ صَبْرِي
وَضَاقَ بِالحُبِّ صَدْرِي
وَاشْتَدَّ شَوْقِي وَوَجْدِي
وَسَيِّدِي لَيْسَ يَدْرِي
مُغَفَّلٌ عَنْ عَذَابِي
وَلَيْسَ يَرْحَمُ ضُرِّي
إنْ كَانَ أَعْطَى اصْطِبَارًا
فَلَسْتُ أَمْلِكُ صَبْرِي

وهكذا يُمكنُ أن يَستمرَّ الكلامُ إلى ما لا نهايةَ لهُ، وكلُّه غيرُ ذي فائدة، وهذا ليسَ بالشّعرِ بل هو «نظمٌ» أيْ كلامٌ مرصوصٌ له وزنٌ وقافيةٌ، أضفْ إلى هذا أنَّ قائلَ هذه الأبياتِ يُخاطبُ حبيبَه فيصِفُه بالمغفّل!.

ثمّ ينتقلُ أبو هلالٍ إلى اتّساقِ المعنَى في بنيةِ القصيدةِ أوِ الكتابةِ النّثريّةِ، ويُعلّمُنا أبو هلالٍ أنَّ الشّعرَ لا يكفِي أن يكونَ جميلًا فقط من حيثُ اللّفظُ، فالجمالُ لا يأتِي مِنَ العِبارةِ وحدَها بل أيضًا من انْسِجامِ المعانِي.

فلذلك يَنتقِدُ أبو هلالٍ ما قالَه امرؤ القيسِ في وصْفِ جـوادِه إذ هو في سُرعتِه أُلْهوبٌ من شدّةِ الرّكضِ ولكنّها سُرعةٌ تأتِي منَ السّوطِ والزّجْرِ:

فَلِلسَّاقِ أُلْهُوبٌ وَلِلسَّوْطِ دِرَّةٌ
وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَهْوَجَ مِنْعَبِ

فهو إذنْ لا يُسرعُ إلّا بضربِ السَّوْطِ وزجْرِه بالشّتمِ والوَخْزِ، فلهذا يقولُ أبو هلالٍ: «فلو وُصِفَ أخسُّ حمارٍ وأضْعَفُه ما زاد على ذلك»!!

ومن مُجافاةِ المنطقِ أيضًا قولُ كُثيِّر عزةَ يمدحُ الخليفةَ:

وَإنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِرِفْقِه
غَزَا كَامِنَاتِ الوُدِّ مِنِّي فَنَالَهَا

أيْ أنَّ الخليفةَ برِفْقِه استطاعَ أن يَكسبَ وُدَّ كُثيِّرٍ، والأحرَى به أن يقولَ عكْسَ هذا؛ فالشّاعرُ هو الذي يحتاجُ إلَى مَوَدَّةِ الخليفةِ وليس الخليفةُ بحاجةٍ إلى مودّتِه!.

وفي المقابلِ هناك أشعارٌ أجملُ وأرقُّ وفيها جمالُ الشّكلِ وانْسِجامُ المعنَى، ومنها قولُ عباسِ بنِ الأحنفِ:

فَإنْ تَبْخَلُوا عَنِّي بِبَذْلِ نَوَالِكُمْ
وَبِالوَصْلِ مِنْكُمْ كَيْ أصبَّ وَأَحْزَنَا
فَإنِّي بِلَذَّاتِ المُنَى وَنَعِيمِهَا
أَعِيشُ إلَى أَنْ يَجْمَعَ اللهُ بَيْنَنَا

ويُحدِّثُنا أبو هلالٍ عنِ الإيجازِ في العملِ الفنِّي فيقولُ إنّه قد يُبْتَسرُ فيصبحُ اقتضابًا يَجورُ على المعنَى، والإطنابُ قد يُسهبُ إلى حدِّ الثّرثرةِ والتّطويلِ ممّا يُورثُ المللَ، وبعدَها يتكلَّمُ عنِ التّشبيهِ بوصْفِه سَيّدًا لأساليبِ البلاغةِ، ويُوضّحُ لنا حالاتِ قُبحِ التّشبيهِ وعيوبِه، ويَتطرّقُ إلى الاستعارةِ والمجازِ والكنايةِ والتّعريضِ وغيرِها من مجالاتِ علْمِ «البيانِ»، ومنَ البيانِ يَنتقلُ إلى «البَديعِ» فيَشرحُ معنَى السّجعِ والمقابلةِ والمُطابقةِ والتّذييلِ، وكلُّها من فنونِ "تطريزِ الكلامِ».

وبالجُملةِ فالكتابُ مَعِينٌ لا يَنْضَبُ لكلِّ مُحِبٍّ أو عَاشقٍ فَنَّ البلاغةِ ، ولولا خوفُ التّطويلِ الذي نهانَا عنه أبو هلالٍ لاستَفَضْنا في الوقوفِ على الكثيرِ ممّا وردَ في الكتابِ، ولنا معه إطلالةٌ أخرى وخاصّةً مع ما تحدّثَ عنه أبو هلالٍ في بيانِ «التّكميلِ» أو تمامِ المَعْنَى فلهُ في ذلك لفتاتٌ وأمثلةٌ منَ المُهمّ والمُمتعِ أن نتدارَسَها، وليتَ النُّقّادَ اليومَ يَهتمّون بكتابِ الصّناعتَينِ كما اهتمَّ به نُقّادُ الأمسِ؛ فهذا الكتابُ لهم نِعمَ الزّادُ والمرجِعُ.



مِن أعْلامِ العَربِيّة

- وَقَفَاتٌ مَعَ إبْدَاعِ شاعِرَيْن: التّجاني يوسف بشير ومحمّد محمّد علي
- أحمد زكي باشا: أوّلُ من أدخل علامات التّرقيم إلى اللّغة العربيّة
- ابن الأمين الشنقيطي.. من أعلام العربية في عصر النهضة

وَقَفاتٌ مَعَ إبْداعِ شاعِرَيْن:

التّجاني يوسف بشير ومحمّد محمّد علي



التجانـي يوسـف بشير

الشّاعر محمد محمد عليّ



أ.د. بكري محمد الحـاج
رئيس مجمع اللّغة العربيّة
بالخرطوم

تهدفُ هذه الورقةُ لتجديدِ الإسْهام مع مجمعِ اللّغةِ العربيّةِ بالشّارقةِ في أعْمالِ مجلّتِه الرّائدةِ التي تَسعَى لخدمةِ اللّغةِ العربيّةِ، وتسعَى الورقةُ إلى تعريفِ القُرّاءِ الكرام بالشّاعرَيْن السُّودانيّين التّجاني يوسف بشير، ومحمّد محمّد علي، اللّذَين يجمعُ بينَهُما نهْلُ العلْم من مَعينِ المعهدِ الدّينيِّ، والتّعلقُ بالجمالِ، والحبُّ العميقُ لمصرَ، والتّقديرُ لفضْلِها عليهما، في التّعليمِ والثّقافةِ، وصقْلِ الموهبةِ الشِّعريّةِ، وذلك من خلالِ مُقتَطَفاتٍ من بعض قصائدِهما، كما تُشيرُ الورقةُ إلى الكفايةِ الإبداعيّةِ التي يتمتَّعُ بها الشّاعران، في اتِّساقِ مُكوِّناتِ نُصوصِهما الشِّعريّةِ وانسجامِها، بالقَدْرِ الذي يُتيحُه المجالُ للوُقوفِ عندَها على نَحْوٍ مُوجَزٍ، وذلكَ على الوَجْهِ الآتي:

التّجاني يوسف بشير:

وُلِدَ التّجاني في أمّ درمانَ عام 1937م، وعاشَ خَمْسَةً وعِشْرينَ عامًا، وكانَ لِتَعْليمِهِ في المعهَدِ الدّينيّ أثرٌ في حياتِه، فتخلَّقَ بقيَمِ الدّينِ، وقد صَوَّرَ في شِعْرِه عَطْفَه على الفُقَراءِ بقولِه((1)):

سُبْحانَكَ اللّهُمَّ نَفْـ
سٌ كلُّها عَطْفٌ ولين
وَتَرٌ مِن النّايِ المقَدَّ
سِ.. مِنْ بَقايا المرسَلين

ويَقولُ ذاكِرًا أيّامَ دِراسَتِه بالمعْهَد، مُتَعلِّقًا بِذِكْرياتِها((2)):

يا مَعْهَدي ومحطَّ عَهْدِ صِبايَ مِنْ
دارٍ تَطَرَّقَ عَنْ شبابٍ نابهِ
اليَوْمَ يَدْفَعُني الحَنينُ فَأَنْثَني
وَلْهانَ مُضْطَرِبًا إلى أعْتابِه

وقدِ استَطاعَ هذا الشّاعِرُ العَبْقريُّ المُلهَمُ أن يَنْقُلَ مَضامينَ رِسالتِه إلى المتلقّي عن طَريقِ هذا النَّصِّ الشِّعريِّ الّذي تَرابَطتْ مُكوِّناتُ جُمَلِهِ المتَتابِعةِ؛ فحَظِيَ بالتَّماسُكِ اللّفظيِّ، بفضْلِ أداةِ النّداءِ في صدْرِ البيتِ الأوّلِ، وأداتَي العطْفِ، والضّمائرِ البارزةِ والمُستَتِرةِ، كما اكتسَبَ هذا النَّصُّ في هذَينِ البَيتَيْنِ الانسِجامَ

1 – ديوان إشراقة، للتيجاني يوسف بشير : ٦٨ .
2 – المصدر السابق : ٧٧ .

الدّلاليّ، عن طَريقِ التَّرابُطِ بين المسنَدِ والمسنَدِ إليه في جملةِ (اليومَ يَدفعُني الحنينُ) التي تقدَّمَ فيها المكمل (اليوم) عنايةً واهتمامًا به، وشدًّا للانتباه. ومثلُ هذا الانسجامِ والتّرابُطِ الدّلاليِّ نجدُه في جُملةِ:(فأَنْثَني وَلْهانَ مُضْطّربًا) التي ترابَطَ فيها الفِعْلُ وفاعِلُه، والحالُ المتعدّدُ (ولْهانَ مُضطربًا) مع صاحبِ الحالِ. وهذا التّماسكُ اللَّفظيُّ، والانسِجامُ الدَّلاليُّ مَكَّنَ الشّاعرَ مِنَ التَّعبيرِ عن مشاعِرِه تجاهَ المعهدِ الّذي نهَلَ العلْمَ في ربوعِه في مرحلةِ الصِّبا من عمرِه.

وتحدَّثَ في شِعرِه كذلك عن بيْئتِه الاجتماعيّةِ وما يُلاقيه هو وأهلُها من حرمانٍ، ولكنَّ هذه الظُّروفَ لم تمنعْه من أن تَشرئبَّ نفسُه إلى المعالي، وأن يُؤدّيَ واجبَه في توجيهِ الشَّبابِ وأفْرادِ الأُمَّةِ جميعًا إلى التَّعلُّقِ بها، ولذلك نَجِدُ في شِعرِه العِنايةَ والحَفاوةَ بقَضايا الأُمَّةِ العربيَّةِ بصِفةٍ عامّةٍ، ومصرَ على وجهِ الخُصوصِ، ونجدُ هذا بارزًا في شِعْره الذي حيّا فيه رِيادةَ مصرَ، كما أكّدَ على العلاقةِ الخاصَّةِ لشَعْبِ وادي النّيلِ جنوبِه وشمالِه، ويصوّرُ هذا في أبياتٍ من قصيدةٍ له بقولِه: ((3))

إنّما مصْرُ والشَّقيقُ الأخُ السو
دانُ كانا لخافقِ النِّيلِ صدْرًا
حَفِظا مجْدَه القديمَ وشادا
منه صِيتًا ورَفعا منه ذكْرا

ويقولُ في قَصيدَةٍ أُخرى بعنوانِ (رسولُ التّاريخ): ((4))

جئتَ مصْرَ فأحدقتْ بكَ صَبا
بةُ مصْرَ وطوَّقتْك الكِنانه
هشَّ أهْرامُها وقام أبو الهَو
لِ يحيّي على المدَى سُودانَه

وفي هذَينِ البَيتَينِ اللّذينِ يُجسِّدانِ العلاقةَ الأخويَّةَ بين شَعْبَيْ وادِي النّيلِ نلحظُ تَكرارَ كلمةِ (مصر) في شطرَي البيتِ الأوّلِ، وهذا من قَبيلِ التّرابُطِ المُعجميِّ عند علماءِ اللّسانياتِ النّصّيةِ عن طريقِ التّكرارِ، وهو»شَكْلٌ من أشْكالِ التّماسُكِ المُعجميِّ التي تتطلَّبُ إعادةَ عنصُرٍ مُعجميٍّ، أو وجودَ مُرادفٍ له، أو شبهِ مرادفٍ له ...»((5)). ويتآزرُ التّكرارُ



المعهد العلمي - أم درمان

استَطاعَ الشّاعِرُ العَبْقريُّ المُلهَمُ التّجاني يوسف بشير أن يَنْقُلَ مَضامينَ رِسالتِه إلى المتلقّي عن طَريقِ هذا النَّصِّ الشعريِّ الّذي تَرابَطتْ مُكوِّناتُ جُمَلِهِ المتَتابعةِ.

تحدَّثَ في شِعرِه كذلك عن بيْئتِه الاجتماعيّةِ وما يُلاقيه هو وأهلُها من حرمانٍ، ولكنَّ هذهِ الظُّروفَ لم تمنعْه من أن تَشرئبَّ نفسُه إلى المعالي.

3- ديوان إشراقة، مصدر سابق: ١١٧.
4- المصدر السابق: ١٢١.
5- نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي: ١٠٦.

مع الضَّمائرِ، وأدواتِ العطْفِ لتحقيقِ التَّماسُكِ اللَّفظيِّ لهذا النَّصّ، في حين يتجلّى الانسجامُ الدّلاليُّ بين مُكوِّناتِ النَّصِّ واضِحًا في التَّرابُطِ بين الـمُسندِ الفعليِّ والفاعلين في عددٍ من هذه الجُملِ الفعليَّةِ المتَتابعةِ، وأعانَ هذا الشَّاعرَ المبدعَ في نقلِ مَضامينِ رِسالَتِه اللُّغويَّةِ في حُبِّ مِصْرَ إلى المتلقِّي.

وأمّا عن بيْئتِه المحليَّةِ فنجدُه قدِ احتفَى بها، وصوَّرَت أشعارُه طبيعتَها، ويقولُ الدُّكتور عبدُ المجيد عابدين في هذا الصَّدَد: «وحبُّ التّجانيّ لمظاهرِ الطَّبيعةِ شيءٌ واضحٌ كلَّ الوُضوح في شِعْرِه، كانت الطَّبيعةُ مجالَ تأمُّلاتِه، ومحطَّ سَلواه» ((6))، وأفرَدَ مساحةً من ديوانِه للنّيلِ، وجلالِه وخلَّده، يقولُ((7)):

أنتَ يا نيلُ يا سَليلَ الفراديسِ نيلُ موفَّقٌ في مسَابِك
ملءُ أوفاضِك الجلالُ فمرحَى بالجلالِ الـمُفيضِ من أنسابِك
حضنَتْك الأملاكُ في جنّةِ الخُلْدِ ورقّتْ على وضِئِ عُبابِك

وهكذا، فإنَّ التّجانيَّ على الرَّغم من قِصَرِ حياته فإنَّه أودعَ ديوانَه قصائدَ حَرَّى توزّعتْ بين هَمِّه الخاصِّ، وقضايا الأمَّةِ، ومن قصائدِه الخالدةِ قصيدتُه (أُنشودةُ الجنِّ) الّتي يتغَنّى بها الشّاعرُ الكبيرُ سيّد خليفة يقول فيها:

إنَّ التّجانيَّ على الرَّغم من قصَرِ حياته فإنَّه أودعَ ديوانَه قصائدَ حَرَّى توزّعتْ بين هَمِّه الخاصِّ، وقضايا الأمّةِ، ومن قصائدِه الخالدة قصيدتُه (أُنشودةُ الجنِّ) الّتي يتغَنّى بها الشّاعرُ الكبيرُ سيّد خليفة.

قُمْ يا طريرَ الشَّبابِ غنِّ لنا غنِّيا حُلوُ يا مُستطابُ أنشودةَ الجِنِّ
واقطفْ ليَ الأعنابَ واملأ بها دنّي من عبقريِّ الرّبابِ أو حرمِ الفنِّ

الشّاعرُ محمّد محمّد عليّ:

كان التَّجانيُّ سابقًا لمحمَّد محمَّد عليّ، ولكنَّهما تشابَها في النّشأةِ والإعْدادِ العِلْميِّ، والتَقَيا كذلك في أغْراضِ الشِّعر، وفي هذا يَقولُ الدُّكتور فاروقُ الطَّيِّب: «ولـمّا كانَ التّجانيُّ سابقًا، فلا بُدَّ أن يَكونَ محمَّد محمَّد عليّ شديدَ النَّظرِ إليهِ لِـمَكانَتِه ومُعاصَرَتِه»((8)) .

وعن سيرتِه، ومراحِلِ حياتِه، فقَد ذكرتِ المصادرُ أنَّه وُلِدَ بحلفايةِ الملوكِ بالخرطومِ بحري عام 1922م، وتنقَّلَ بينَها وبين رفاعةَ بولاية الجزيرةِ، خلالَ مَراحلِ تعليمِه الأولى، ثم تخرَّجَ في معهَدِ أمِّ دُرمانَ الثّانويِّ عام 1945م، وحصلَ على الدَّرَجَةِ الجامعيَّةِ، ودرجةِ الماجستيرِ من كليَّةِ دارِ العُلوم بالقاهرةِ، واشتغلَ بعدَ ذلكَ بالصَّحافةِ والتَّدريسِ، وله بعضُ الكُتُبِ غيرِ المطبوعةِ، إضافةً إلى ديوانَيْن مطبوعَيْن هُما (ألحانٌ وأشجانٌ)، و(ظلالٌ شاردةٌ)، وكتابٌ مطبوعٌ بعنوان (مُحاوَلاتٌ في النَّقد)،





6- التيجاني شاعر الجمال، للدكتور عبد المجيد عابدين: ٤٧.
7- ديوان إشراقة: ١٤٣.
8- بين الشاعرين: التيجاني ومحمد محمد علي: ٧٩.





كان التَّجانيُّ سابقًا لمحمَّد محمَّد عليّ، ولكنَّهما تشابَها في النَّشأةِ والإعْداد العِلْميِّ، والتَقيا كذلك في أغْراضِ الشِّعر.

وكانت وفاتُه في شهر سبتمبر عام 1970م((9)) .

وكان شظَفُ العيش قاسمًا مشتركًا بين التّجانيّ ومحمّد محمّد علي، وعلى الرّغم من محاولةِ الصُّمودِ في وَجْهِ الظُّروفِ القاسيَةِ، فقد أَوْرَدَ في شِعْرِه شيئًا منَ الألمِ والأنينِ منها، يقولُ((10)):

عبثتْ أواذي الحياةِ بِزَوْرَقِي
والرّيحُ زَمْجرَ بالشِّراعِ الموثقِ
وبدَا السَّحابُ كأنَّهُ لَيْلٌ أَتَى
يَهْوي على اللَّيلِ الكَبيرِ المُطْبِقِ
وَحْدي أُصارِعُ للنَّجاةِ فلا هُدى
عَبْرَ الطَّريقِ ولا مدامعَ مُشفِقِ

وإذا كان التّجانيّ قد خصَّ دراستَه بالمعهدِ العلميِّ بما يُشيرُ إلى تبرُّمِه بها لتقييدِها لانطلاقته،»فإنَّ محمّد محمّد عليّ عبَّر عن ذلك بقصيدةٍ كاملةٍ لا عن طريق التّلميح ... بل بصورةٍ صارخةٍ»((11))، ومن هذا الضّربِ ما نجدُه في قصيدةٍ له بعنوان (أشجان) يقولُ فيها((12)):

شَبِعْتُ هُدوءًا وارْتَويتُ سَكينةً
فمنْ لي بِيَومٍ يَتْرُكُ البَحْرَ صاديَا
لقد أَخْرَسَ الصَّمْتُ المُخَيِّمُ مَنْطِقي
وأَفْنَيتُ في جَوفِ الظَّلامِ شَبابِيَا

وفي تحليلِ هذيْن البيتَين في ضوءِ مُعطياتِ اللِّسانياتِ النّصّيَّةِ نَرى التّماسُكَ اللّفظيَّ مُتحقّقًا عن طريق الضّمائرِ وأدواتِ العطْفِ في الجُمَلِ الفِعليَّةِ المتكرّرةِ التي حَفِلَ بها هذان البيتان، فضْلاً عنِ التّضامِّ((13)) في قولِه: (شبعتُ هدوءًا وارتويتُ سكينةً) حيث المقابلةُ بين الفعلَين: (شبع، وارتوى) والمكمِّلَين الاسميَّين (هدوءًا، وسكينة). وتَوفَّر الانسجامُ الدّلاليُّ عن طريق التّرابطِ الواضحِ بين الفعلِ والفاعلِ والمكمّلِ، في عدد منَ الجُملِ التي من بينها على سبيلِ المثالِ ما وردَ في البيت الثّاني (لقد أخرسَ الصمتُ المخيّمُ منطقي) وكذلك التّرابطُ الدّلاليُّ بين الصّفةِ والموصوفِ (الصّمتُ المخيّمُ). ويتكرّرُ الانسجامُ الدّلاليُّ أيضًا في الشّطرِ الثّاني منَ البيت الثّاني بين المسنَدِ والمسنَدِ إليه والمكمّلِ في قوله: (وأفنيتُ في جوف الظّلامِ شبابيا) وقد تقدّمت شبهُ الجملة (في جوف الظلام) على المكمّلِ (شبابيا). وكلُّ ذلك أعانَ الشّاعرَ محمّد محمّد عليّ في نقلِ مشاعرِه إلى المخاطَبِ على هذا النّحوِ منَ النّظمِ الإبداعيِّ.

9- انظر: ترجمة لحياته في مقدمة ديوانه: (ظلال شاردة) بقلم الدكتور عون الشريف قاسم: ٧ – ١٦.

10- ديوان ألحان وأشجان، لمحمد محمد علي ٤٢.

11- بين الشاعرين: التيجاني ومحمد محمد علي: ٧٤.

12- ديوان ألحان وأشجان: ٦٠.

13- الاتِّساق في العَربية: دِراسَة في ضَوء عِلم اللغَة الحَدِيث، لجبار سويس حنيحن الذهبي: ٦٤.

ويقولُ في قصيدةٍ أخرَى مُصوِّرًا حياتَه في المعهدِ وسخطِه عليها((14)):

كرهتُ جلوسي أمامَ الشّيوخ
أودِّعُ عامًا وأسلكُ عامْ
ولي عزماتٌ كبارٌ شِدادُ
تَهدُّ الجبالَ وتُردي الحِمامْ

ولكنَّ هذا لم يمنعْه من أن يتطلّعَ إلى تحقيقِ العُلى، وبلوغِ المراتبِ الرَّفيعةِ، وحَمْلِ هُموم أُمَّتِه وتطلُّعاتِها، وبخاصّةٍ تجاهَ القضيّةِ الفلسطينيّةِ التي خصَّها ببعضِ أبياتٍ يقولُ فيها((15)):

فلسطينُ أما لها قصّةٌ
سيكتُبُها بالدّماءِ البنون
ومِن منبعِ النّيلِ من عُدْوتَيه
نَزفَ السَّفينَ وراءَ السَّفين

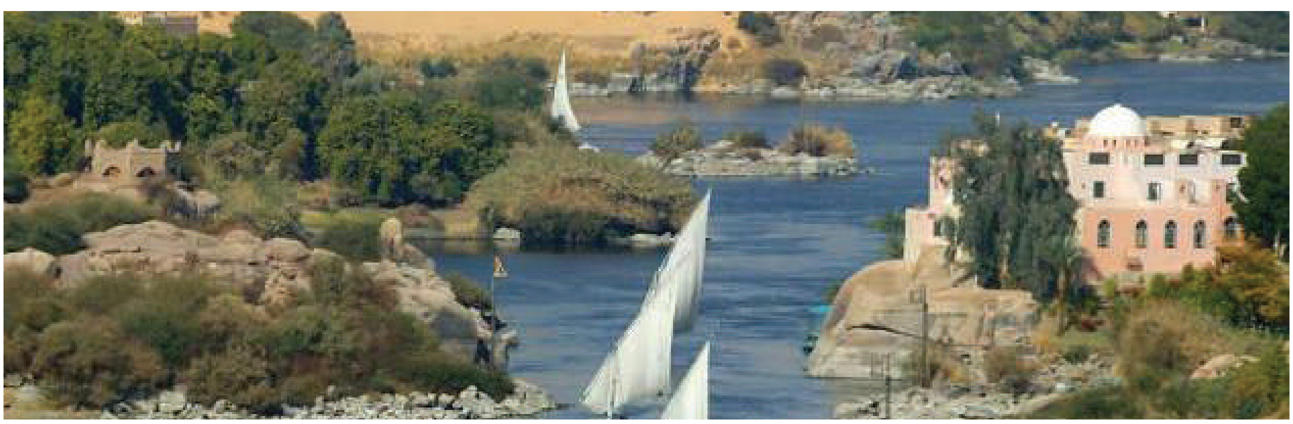
ويتكرّرُ هذا الانفعالُ بهموم أمّتِه العربيّةِ في عدد منَ القصائدِ التي يضيقُ المجالُ عن ذكرِها، ومن بينِها تحيّتُه لمؤتمر القمّةِ العربيّةِ، وله قصيدةٌ أخرى يتحدّثُ فيها عن خيراتِ أفريقيا، يقولُ((16)):

إفريقيا كانت مجاهلَ ظُلمةٍ
فكأنَّ من خُلِقُوا بها لم يُخلَقُوا
سمنَ الدّخيلُ وأخصبَ أهلُه
فكسَاه من ألقِ الهناءةِ رونقُ
إنَّ الشّعوبَ وإن تطاولَ ليلُها
كالشّمسِ تَسري في الظّلام فتُشرقُ

وأمّا مصرُ فقد خَصَّها بقصيدةٍ بعنوان: (مصرُ الباسلةُ) يقول في مُسْتَهَلِّها((17)):

أحنُو عليكَ بقلبِ شاعرِ
وأذودُ عنكَ بعزمِ ثائرِ
لكِ في فُؤادي موطنٌ
رحبٌ على الأيّامِ عامِر

وفي هذه النّصوص من شِعر محمّد محمّد عليّ، ومن قبْلِه التّجاني يوسف بشير، مجالٌ رحبٌ للوقوف على الإمكاناتِ التّعبيريّةِ التي حملت المضامينَ الشِّعريّةَ اللُّغويّةَ التي أراد الشَّاعران نقْلَها إلى المخاطَبين، كما تتوفّرُ نماذجُ جيّدةٌ متنوّعةٌ للتّحليلِ النّصّي أوِ الخطابيِّ، وكان يمكنُ التّوسعُ، لكنَّ المجالَ لا يُسعفُ، ولعلَّ ما تقدّمَ من نصوصٍ وتحليلٍ موجزٍ يحملُ إضافةً في إبرازِ نتاجِ هذين الشّاعرَين المُبدِعَين.



وادي النيل – السودان

14– ديوان ألحان وأشجان: ٦٥.
15– ديوان ظلال شاردة لمحمد محمد علي: ١٠١.
16– انظر قصيدته بعنوان تحية لمؤتمر القمة في ديوان: (ظلال شاردة): ١١٣، وقصيدته بعنوان (إفريقيا الجديدة): ٧٨.
17– ديوان ألحان وأشجان: ٧٩.

أعرابيٌّ في السّوقِ



رَوى الجاحِظُ أنَّه دخلَ سوقَ البَصرةِ يومًا، فاسْتَوقَفَه أعرابيٌّ، فقالَ: يا أبا عُثمانَ، اسمَعْ كيفَ أقولُ الشِّعرَ!

فقالَ الجَاحظُ: هاهنا في السُّوقِ يا رَجُل؟!

فقالَ: ناشدتُكَ الله إلا سَمِعْت.

فقالَ: هاتِ، أَسْمِعْنِي.

فقالَ الأعرابيُّ:

إِنَّ دَاءَ الحُبِّ سُقْمُ
لَيْسَ يُهْنِيهِ القَرَارُ

ونَجا مَنْ كانَ لا يَعْـ
ـشَقُ مِنْ تِلْكَ المخَازِي

فقالَ الجاحظُ: يا رَجُل، القافيةُ الأولى راءٌ والثَّانيةُ زاي؟!

فقالَ الرَّجلُ: لا يُهِمُّ، فلا تُنَقِّطْ.

فقالَ الجاحظُ وقد تميَّزَ غَيظًا: القافيةُ الأولى مَضْمومَةٌ، والثّانيةُ مَكسورةٌ!!

فضَربَ الأعرابيُّ يَدًا بِيَدٍ مُستَحْمِقًا الجاحظَ، وقالَ: يا سُبْحَانَ الله! أَقولُ لا تُنقِّطْ، فيُشَكِّل!!



أحمد زكي باشا

أوّلُ من أَدخل علامات التّرقيم إلى اللّغة العربيّة

أحمد زكي باشا، رائدٌ كبير من رواد الثقافة العربية في أوائل القرن الماضي، كرّس حياته وجهوده الفكريّة والثقافيّة، للعناية بالثّقافة العربيّة والتّراث العربيّ، فهو أوّل من وضع علامات التّرقيم في اللغة العربيّة، وأوّل من استعمل مصطلح «تحقيق» على غلاف الكتاب العربيّ، وأشهر من عمِل على إعادة إحياء التّراث العربيّ الإسلاميّ، حيث عمل على جمع المخطوطات العربيّة وتصويرها بالفوتوغرافيا وتحقيقها، عُرف ولُقّب بشيخ العروبة، حيث كان من أكثر الدّاعين إلى الوحدة العربيّة، وجعل من منزله مكاناً لالتقاء الزائرين من الدول العربية الأخرى، وعمل بالكتابة والنشر والترجمة، إلى جانب تدريسه بالجامعة المصرية، كما سعى إلى تحرير الأسلوب العربيّ من التّقليد.



خلف أحمد محمود أبوزيد
كاتب/ مصر

وتوجيه الكتابة إلى المضمون والهدف، دون الاعتماد على المقدّمات والسّجع والزّخارف والمحسنات البديعيّة، فقد بذل أحمد زكي باشا جهوداً مضنية في سبيل الحفاظ على التّراث العربيّ واللغة العربيّة، وهذا ما سوف نلقي عليه الضّوء عبر هذه السّطور.

المولد والنّشأة:

وُلد أحمد زكي باشا بالإسكندريّة عام 1867م، وتلقّى تعليمه في القاهرة، حيث تخرّج في مدرسة الإدارة، "كلية الحقوق الآن"، سنة 1887م، درس فنّ التّرجمة، حيث أجاد الفرنسيّة إجادة تامّة، بالإضافة إلى الإنجليزيّة والإيطاليّة واللاتينيّة، وعمل مترجماً في مجلس النّظّار "الوزراء" وقد تدرّج في المناصب حتّى صار سكرتيراً له، ثمّ أستاذًا للغة العربيّة في الإرساليّة العلميّة الفرنسيّة، فمترجماً في مجلس النّظّار، وجمع إلى جانب ذلك تدريس التّرجمة، كما كان كثير السّفر والتّرحال، فقد سافر إلى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا والشام وإسطنبول والقدس واليمن وغيرها، وتركت هذه الأسفار أثراً كبيراً في حياته العلمية والأدبية، حيث أتاحت له زيارة عشرات المكتبات والاطلاع على مؤلفات أعلام الشرق والغرب. رفع أحمد زكي باشا لواء التّجديد في الثّقافة العربيّة وعُرف بانتقاده للأساليب التّقليديّة في الكتابة العربيّة، وطالب بلغةٍ واضحة ومألوفة تلبّي احتياجات الأمّة الفكريّة





والحضاريّة، إذ اعتمد أسلوبه في الكتابة على التّشكيل البصريّ، فتحرّر من السّجع والمحسنات البديعيّة، وقد تعدّدت عطاءاته في مجال خدمة الثّقافة العربيّة، ويمكن لنا توزيع أنشطته العلميّة، على ثلاثة ميادين أساسيّة هي:

تحقيق التّراث العربيّ وإعادة نشر كنوزه:

اتّجه نشاط "أحمد زكي باشا" إلى الاهتمام بالتّراث العربيّ والإسلاميّ، وضرورة تحقيقه والمحافظة عليه باعتباره أحد الدّعائم المهمّة للثّقافة العربيّة والإسلاميّة، فهو أوّل من عمل على إحياء التّراث العربيّ ودراسته، ولم يُعرف أحدٌ ارتاده قبله، وسعى إلى تحقيقه وكشف ذخائره، والدّفاع عنه والرّد على كلّ من يحاول تحريفه أو تزويره، وبذل من وقته وماله كلّ ما يملك، إذ حَرص على جمع كنوزه من مكتبات إسطنبول وأوروبـا، والعديد من دول المشرق، وتصويره فوتوغرافيًا ومراجعته والتّعليق على نشره، مناديًا بضرورة التّوسع في نقل خزائن تراثنا العربيّ المخطوط، من خارج الوطن العربيّ بالتّصوير الشمسيّ، تمهيدًا لتحقيقه وبعثه من جديد، وتقدّم في الوقت نفسه بمشروع لإحياء التّراث العربيّ، في مجلس الوزراء في ذلك الوقت، بحضور الخديوي "عباس حلمي" حاكم مصر في ذلك الوقت الذي أقرّ المشروع تحت إشراف المجلس الأعلى لدار الكتب المصريّة، وفي هذا المشروع تمت طباعة العديد من كتب التّراث العربيّ، بتحقيق أحمد زكي باشا من أهمها: "نكت الهميان في نكت العميان" للصلاح الصفدي، وكتاب "الأصنام" للكلبي، الذي كان يُظنّ أنّه مفقود، و"الأدب الصغير" لابن المقفع، و"التاج في أخلاق الملوك" المنسوب للجاحظ، والجزء الأوّل من كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" للعمري، فتمت طباعة العديد من كتب التّراث وتحقيقها ونقل المخطوطات التّراثيّة، فأحيا العديد من أمهات الكتب التّراثيّة التي كانت في طيّ النّسيان، كما اهتم أيضاً بالآثار والمواقع التّاريخيّة والحضاريّة والأبحاث العلميّة التّاريخيّة والجغرافيّة واللغويّة، وأسماء الأعلام التي أولاها اهتماماً كبيراً بوصفها جزءاً من خطته الفكريّة العامّة، في إحياء روح التّراث العربيّ والإسلاميّ، وتعريف الأجيال الجديدة بكنوزِه وذخائره.

أوّل من أدخل علامات التّرقيم إلى اللغة العربيّة:

قدّم أحمد زكي باشا جهوداً كبيرة في خدمة اللغة العربيّة، وتطوير أساليب الكتابة



مسجد شيخ العروبة أحمد زكي باشا بشارع البحر الأعظم بالجيزة

العربيّة، بعد أن أدرك مدى الفوضى التي يعيشها أبناء الأمّة العربيّة من المعاصرين، نتيجة انعدام الضّوابط في استعمال علامات التّرقيم، وإهمال قسم منهم لهذه العلامات المهمّة، والتي أدرك أهميتها جميع أبناء اللغات في العالم، حيث وجد أن القراء من الجيل الجديد يتعثّرون في ضبط النّصوص، ويصلون حيث يجب الوقف، ويخلّون بقواعد التّلاوة، ويعجزون عن إعطاء الكلام حقّه من النّبر والتّنغيم، ومن أهمّ إنجازاته في ذلك أنّه أدخلَ علامات التّرقيم إلى اللغة العربيّة، حيث كان استخدام علامات التّرقيم عشوائياً اجتهادياً، لا يخضع لضوابط مقننة في اللغة العربيّة، فحاول تدارك النّقص الحاصل في الكتابة العربية، فوضع أسس وقواعد علامات التّرقيم باختيار مصطلح "التّرقيم" في العصر الحديث، ذلك المصطلح الذي ما زال شائعًا عند أبناء العربيّة في عصرنا هذا، مستفيداً في ذلك كله من تضلعه في علوم العربية، ومعرفته بأمهات المخطوطات القديمة في الوقف والابتداء؛ فوضع رسالته الموسومة بـ«رسالة التّقرير في علامات التّرقيم»، ثم مؤلفه «التّرقيم وعلاماته في اللغة العربيّة» الذي صدر عام 1911م، مسجلاً أوّل سابقة عربيّة في العصر الحديث، حيث تناول قضيّة التّرقيم وعلاماته في اللغة العربيّة، ووضّح أهميّة هذه العلامات في تسهيل الفهم والإدراك لدي المتلقّين، فهي تعينهم على فهم المقاصد التّعبيرية التي وُضعت من أجلها الجُمل والعبارات، حيث يقول «دلّت المشاهدة وعزّزها الاختيار على أن السّامع والقارئ يكونان على الدّوام في أشدّ الاحتياج إلى نبرات خاصّة في الصّوت أو رموز مرقومة، في الكتابة يحصل بها تسهيل الفهم والإدراك»، كما تناول قضيّة التّرقيم بين القدماء والمحدثين، وأشار إلى العلامات



التّرقيميّة المستخدمة التي وفدت إلينا من الغرب، والتي لم يعهدها علماء اللغة قديماً، كالفاصلة المنقوطة؛ وأقواس الاقتباس»، وتناول الأسس والقواعد التي ينبغي مراعاتها في الكتابة، وعرض القواعد الخطّيّة المتّبعة في رسم بعض الحروف والحركات الإعرابيّة الموضوعة عليها، ووضّح مدى أهمية هذه الحركات في ضبط الأعلام الجغرافية والتاريخية، كما أشار إلى ظاهرة اختزال بعض الكلمات مثل كلمة "إلخ" التي تعني إلى آخره، والجُمل الدّعائية الشائعة الاستعمال، وإنّه بهذا المؤلف رسم الحدود التّعبيريّة للعلامات الترقيميّة في اللغة العربيّة، أضف إلى ذلك أنه كان له أثرٌ كبير، في تخفيض عدد الحروف العربية اللازمة للطّباعة الحديثة، حيث اختصر حروف الطّباعة العربيّة من 905 شكلاً إلى 132 شكلاً و46 علامة، بعد أن أجرى بنفسه تجاربَ يومية في مطبعة بولاق في عمليةٍ استغرقت ستة أشهر، كما عمل على تحسين لغة الدّواوين في زمانه، وفي الكشفِ عن التّعابير العربيّة الوافية بمتطلبات الحداثة المعاصرة، فأخذ على عاتقه مبادرة وضع كلمات في اللغة العربية، تعادل الألفاظ الدّخيلة الأوروبيّة، مثل كلمة "سيارة" كما نبّه الصّحافة إلى الأصول العربيّة للعديد من أسماء الأماكن الإسبانيّة والبرتغاليّة، التي نُسِخت بشكل غير دقيق إلى اللغة العربيّة.

إبراز الوجه المشرق للحضارة الإسلاميّة:

وقد حرص أحمد زكي باشا على إظهار الوجه المشرق للحضارة الإسلامية والتعريف بإنجازاتها العلمية الكبيرة، التي قد يجهلها الغرب، وذلك من خلال مشاركاته في مؤتمرات المستشرقين لتوضيح الصورة الناصعة للحضارة الإسلامية، حيث ألقى محاضرات عديدة عن آثار العرب الخالدة في أوروبا من خلال العديد من المؤتمرات، ونذكر منها مؤتمر المستشرقين في العاصمة البريطانية لندن عام 1892م، مؤتمر المستشرقين في برلين شمال ألمانيا عام 1904م، مؤتمر المستشرقين في آثينا عام 1912م، حيث كان على تواصل دائم مع دوائر الباحثين والمستشرقين الغربيين بسبب اهتماماته العلميّة الواسعة ومنشوراته

العديدة عن الحضارة الإسلاميّة وتاريخ العلوم عند العرب، حتّى أصبح زميلًا في الجمعيّة الجغرافية الملكيّة والجمعية الملكيّة الآسيويّة في لندن، هذا إلى جانب وضعه عددًا من رسائل في جوانب مهمة من عطاءات الحضارة الإسلامية في مجال العلوم، وقد وصل عدد هذه الرّسائل إلى ثلاثين رسالة عالجت موضوعات علميّة متعددة، ومهمة في تاريخ الحضارة الإسلامية، ومن هذه الرّسائل: رسالة في اختراع العرب البارود والمدافع، وما قاله العرب في ذلك، والطّيران في الإسلام، كما أجرى بحوثًا أثبتت أنّ العرب هم أوّل من اكتشف منابع النّيل، وأول من أثبت كروية الأرض قبل الأوروبيين بثلاثة قرون.

عطاءات أخرى:

وإلى جانب هذه الإنجازات العظيمة، التي قام بها أحمد زكي باشا، فقد ترك مكتبة عامرة بعدد ضخم من الكتب والمخطوطات، وهي مودعة في دار الكتب المصرية، تحت عنوان "المكتبة الزكية"، تحمل اسم صاحبها إلى اليوم، وتحوي مئات النسخ المخطوطة التي كانت من الركائز الرئيسة التي اعتمدت عليها دار الكتب المصريّة في بناء دعائمها، ومن أسباب اشتهارها بنفائس الكتب والمخطوطات وذخائرها، حيث حوت مكتبته عددًا ضخمًا من الكتب، بلغ أكثر من 18 ألف كتاب ما بين مطبوع ومخطوط، جمعها من مصر وكل بلاد العالم التي زارها، وكان من أبرز ما حوته مكتبته: مجموعات من الخرائط والصور المجموعة، التي ترجع إلى العهد العباسي، المجلة الآسيوية، التي كانت تصدر من باريس من أول عدد 1882م إلى ما بعد سنة 1930م، مجموعة الكتب، التي صدرت في مطبعة بولاق ومطبعة مدرسة الطب، الكتب العربية المطبوعة في أوروبا، في مجالات الفلسفة والطب والعلوم والفلك والأدب، من أهمّها، كتاب "القانون لابن سينا"، جزء من كتاب "الشفاء لابن سينا" طبع في روما 1593م، إلى جانب عشرات الكتب النادرة، التي طبعت في الشام والجزائر ومراكش ومالطه.

مؤلفاته:

وقد أثرى «أحمد زكي باشا» المكتبة العربية، بما يزيد عن 31 مؤلفاً في التاريخ وأدب الرحلات والأدب واللغة وتحقيق كتب التراث، في مجال تحقيق التراث نذكر، «الأدب الكبير والأدب الصغير لابن المقفع»، «التاج للجاحظ»، "نكت الهميان في نكت العميان للصفدي»، «الأصنام وأنساب الخيل للكلبي»، ومن مؤلفاته، «الدنيا في باريس والسفر إلى باريس»، «موسوعات العلوم العربية»، «قاموس الجغرافيا القديم»، «دروس في الحضارة الإسلامية»، «أسرار الترجمة»، «ذيل الأغاني»، «نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام»، «تاريخ المشرق»، كما ترك العديد من الدراسات المهمة عن الأندلس، حيث يعد أول عربي زارها في العصر الحديث، وأول من اطلق عليها الفردوس الإسلامي المفقود، وهام بها غراماً، وعبر عن ذلك بقوله «قلبي بأندلس مُدله وعقلي بأطلاله موله، وهيامي بأهله حديث قديم، وغرامي بساكنيه مقعد مقيم، وحنيني إليه متجدد حيناً بعد حين، فاعذروني على هذا الهوى العذري، فقد خانني شعري، ولم يساعفني نثري»، ويكفي أن هذه الدراسات أول دراسات من نوعها في العصر الحديث، نذكر منها: «مدائن الأندلس»، «قاموس الأعلام الأندلسية»، «مدن الفن الأندلسي»، «نصوص عن الأندلس»، مترجمة عن الفرنسية، «سرقسطةش وهي مدينة أندلسية عربية، هذا إلى جانب مئات المقالات، التي كتبها في مجموعة من الصحف والمجلات العربية آنذاك، كالأهرام والمقطم والبلاغ والمؤيد والهلال والمقتطف والمعرفة والشورى، ومجلة المجمع العلمي بدمشق.

وفاته:

وبعد حياة حافلة بالعطاء رحل «أحمد زكي باشا» عام 1934م، تاركاً ثروة كبيرة من الآراء والأفكار والتصويبات والتحقيقات، في مجال اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والآثار، وأعمالا كثيرة في مجال إحياء التراث العربي، ونقله وتوثيقه وتصنيفه، الأمر الذي يضعه عن جدارة بين رموز وأعلام إحياء النهضة العربية الإسلامية الحديثة.

المصادر والمراجع:

(1) أحمد زكي باشا، الملقب بشيخ العروبة، حياته أراؤه آثاره، أنور الجندي، سلسلة أعلام العرب، الناشر وزارة الثقافة المصرية، عام 1964م .

(2) الترقيم في اللغة العربية، جعفر صادق حمودي التميمي، مجلة الفيصل، العدد 177، ربيع الأول 1412هـ ــ أكتوبر عام 1991م.

(3) مجلة التمدن الإسلامي، العدد الثالث، السنة الرابعة، (1357هــ 1938م).

(4) مجلة المخطوطات العربية، العدد الثاني، مايو 2020.

(5) موسوعة المترجمين العربية "أحمد زكي باشا" نسخة إلكترونية.

من صحراء شنقيط إلى حضارة مصر

ابن الأمين الشنقيطي.. من أعلام العربية في عصر النهضة



د. أحمد غوثم اقّمد
سكرتير تحرير مجلة الرافد الرقمي

عَتَبَةٌ

ونحنُ رَكْبٌ مِنَ الأشرافِ مُنتظمٌ ... أَجَلُّ ذا العصر قَدْراً دُونَ أَدْنانا
قدِ اتَّخذْنا ظُهورَ العِيْسِ مدرسةً ... بِها نُبَيّنُ دِيْنَ اللهِ تِبْيانَا

العلامة المختار بن بُوْنا الجَكَنِيُّ (ت: 1220هـ)

عَتَبَةٌ

لقد حمَل علماءُ باديةِ شنقيط لواءَ الحركةِ العلميّةِ العربيّة، فكانت لهم فتوحاتٌ علميّةٌ ومعرفيّةٌ في إفريقيا، ونفَحاتٌ في البلاد العربيّةِ وآسيا، وأظهرت خِيَامُ بَدْوِ الشناقطة، ومدارسُهم المتنقّلةُ - المحاظر- أَنَّ العلم عند العرب ليس رَبِيبَ الحضارةِ؛ بل هو تَوْأَمُ الإنسان يلازمُه ملازمةَ الظلِّ في الحِلِّ والتَّرْحال. وكان شعارهم في هذه الجولات احتضانَ العربيّة: تعلُّماً وتعليماً، وتأليفاً وشعراً، وشرحاً وتعليقاً على أمّهات المعاجم العربيّة وغيرها؛ حتّى إنّ انتماءهم للحضارة العربيّة جعل أمرَ الانتسابِ السلاليّ أمراً ثانويّاً، وهذا ما يؤكّده الشاعر الشنقيطيّ، حيث يقول:

إنّا «بني حسنٍ» دلّتْ فصاحتُنا.. أنّا إلى العَرَبِ العَرْباءِ ننتسبُ
إنْ لم تقم بَيِّناتٌ أنّنا عربٌ.. ففي اللّسانِ بيانٌ أنّنا عربُ

ولعلّ من أبرز الأعلام الذين استوعبوا ثقافةَ شنقيط، وعملوا على نقلها خارجَ قُطْرِهم: العلامةَ محمد محمود بن التلاميد، الشنقيطي داراً، التُّرْكُزِيُّ نِجاراً، الحَرَميّ مُهاجَراً ومَزاراً، المِصْريّ الأزهريّ مَوْئلاً وقَراراً (1245-1322هـ)، الذي حقَّق "القاموسَ المحيطَ"، وصحَّح كتابَ «المخصَّص»، وذادَ عن حِمى اللّغةِ العربيّة من خلال كتابِه "إحقاق الحقِّ وتبريءُ العربِ ممّا أَحْدَثه عاكشٌ اليَمنيُّ في لغتهم ولاميّةِ العربِ". والعلّامةَ مُحمّد الأمين بن محمد المختار "آبّ" علماً، الشنقيطيّ الجَكَنِيَّ، الحَرَمِيّ مَوْئلاً وقَراراً (1325-1393هـ)، إمامَ العلم بالحرميْنِ، وخادمَه بالمشرقين والمغربين، مَن طاعتْ له علومُ الآلة ونصوصُ الشريعة؛ فكانت له اليدُ الطُّولى في علوم الشريعة معقولِها ومنقولِها، فهو: المفسّرُ والمحدّثُ، والفقيهُ، والأُصوليُّ، واللّغويُّ، والشاعرُ. ومنهم -أيضاً- العلّامةُ محمّد الخَضِرُ بنُ ما يَابَى الشنقيطيُّ (1285-1354هـ). صاحبُ التآليفِ المفيدة، والتحقيقاتِ السديدة.

وسنتوقّف في هذا المقال عند عَلَم من أعلام الشناقطةِ سارتْ بأخباره الرُّكْبانُ، وتفاخرتْ به الأممُ والبُلدانُ، وكان سفيراً من سُفراء بلادِ شنقيط في مراكز العلمِ في الشرق؛ إنّه العلّامة:

أحمدُ بنُ الأمينِ الشنقيطيُّ (1280هـ/1331هـ)، العالمُ الأديبُ اللغويُّ، صاحبُ كتاب الوسيط في تراجمِ أُدباءِ شنقيط، وغيرِه من الدراسات النحويّةِ والتحقيقاتِ اللغويّةِ؛ الذي عاش في شنقيط مُدَّةَ ازدهارِ العلوم الأدبيّة والشرعيّة، وانتقل إلى مِصرَ بدايةَ عصرِ النهضةِ وما رافَقَها من العوامل المتعدِّدة، كالبعثات العلميّة وظهورِ التَّرْجَمة والصِّحافةِ والطِّباعةِ، فجاءت مؤلَّفاتُه





جامعةً بين جزالةِ اللغةِ وفصاحتِها كما في شنقيط، وبين الأسلوبِ السهلِ الخالي من التعقيد والتكلُّفِ كما في البيئة المِصريّة.

ومِــنَ الإشــعــاع الثقافيِّ الراسخِ الأوّلِ، والنهضةِ العلميّةِ الأدبيّةِ الرائجةِ تأليفاً ونشراً ثانياً، كان ابنُ الأمين مِنَ المُخَضْرَمينَ؛ لجمعه بين هاتينِ الثقافتينِ (شنقيط/ مصر).

فمَن هو ابنُ الأمين؟ وكيف كانت رحلتُه إلى المشرق؟ وما أبرزُ مؤلَّفاتِه وتحقيقاتِه وشروحِه؟ وكيف كان صدى موسوعتِه "الوسيط في تراجمِ أُدبــاءِ شنقيط" في المشرق والمغرب، بل وفي موريتانيا؟

ابنُ الأمين.. التّعريفُ والتعرُّفُ

رغم أنَّه ألَّفَ موسوعتَه المسمّاةَ بالوسيط في تراجمِ أُدباءِ شنقيط؛ إلّا أنّه لم يكتب ترجمةً لنفسه، كما لم يكتب رحلتَه بين الغربِ والمشرق، ولم يُعْرَفْ عنه إلّا أنّه نزيلُ القاهرةِ وبها تُوُفِّيَ.

لكنَّ المؤلَّفاتِ العلميّةَ التي خلّفَها، تأليفاً وشرحاً، وتعلّماً وتعليماً، والسِّجالاتِ النحويّةَ واللّغويّةَ التي دارت بينَه وبينَ معاصِريه، كانت كفيلةً بإعطاء صُورةٍ عنِ الشَّأْوِ البعيدِ الذي بلغَه في علوم اللّغةِ والأدبِ.

وقد حاول بعضُ المعاصرين أن يضعوا له ترجَمةً، فكانوا فِئَتين: فِئَةً منَ المَشارِقة، وفِئَةً منَ الشناقِطة.

أوّلاً: المَشارِقةُ:

1) يوسف إليان سركيس في كتابه: معجمُ المطبوعاتِ العربيّة، طبعة (1349هـ/1931)، وقد قال: «الشنقيطيُّ أحمدُ بنُ الأمينِ نزيلُ القاهرةِ، المتوفَّى سنة 1331هـ، وعمره اثنان وأربعون سنة».

2) خير الدين الزِّرِكْلِيُّ، وقد قال في كتابه (الأعلام): «أحمد بن الأمين الشنقيطيُّ عالمٌ بالأدب، من أهل شنقيط، نزلَ القاهرةَ وتوفِّي بها».



مدينة شنقيط القديمة في موريتانيا. منظر للآثار والشوارع والمساجد في البلدة القديمة

3) أمّا فؤاد سيّد فإنّه في مقدّمةٍ كَتَبَها للطّبعة الثانيّةِ من كتاب "الوسيط"، أعطى فيها معلوماتٍ جديدةً، حيث: سَمّى بعضَ شيوخِ الرجل، وذَكر سنةَ خروجِه إلى الحجّ، وسنةَ تأديتِه له، ووِجْهَتَه من بعد ذلك، ثمّ إنّه حدَّد مجيئَه إلى مصرَ بسنة 1320هـ، انطلاقاً من أنّها سنةُ طبعِ أحدِ كُتبِه فيها.

ثانياً: الشناقطة:

1) المختارُ بنُ حامدٍ في موسوعته.

2) هارونُ بنُ الشيخِ سِيْدِيّا؛ وقد لخَّص ما ذَكره فؤاد سيّد، وزاد عليه أنَّ آلَ الأمين: «بيتٌ معروفٌ بالنَّجابة والذّكاء، قَلَّما تكونُ لأحدٍ خُؤولة منهم إلّا عُرف ذلك في ذَكائه وحِفظِه».

3) العلّامةُ محمّدُ المختارُ بنُ ابّاهْ، الذي جاء بمعلوماتٍ جديدةٍ عنه لم يأتِ بها غيرُه، ذَكرها في مقدّمة الطبعةِ الرابعة من كتاب الوسيط، وخلاصتُها: تقريبُ مولده، والقولُ إنّ أمَّه من قبيلة الأقْلال، وتعيينُ محلِّ نشأتِه، وكيف بدأ دراستَه.

حياتُه وبيئتُه:

ممّا لا شكَّ فيه أنّ شخصيّةَ أحمدَ بنِ الأمين تكوّنتْ أساساً في مسقط رأسِه بلادِ شنقيط، ونشأ على ما يَنشأ عليه فِتيانُ ذلك الزمانِ، حيث درس في أعوامه الأولى القرآنَ الكريم، ومبادئَ العلومِ الإسلاميّةِ والعربيّةِ، وأبدى في وقت مبكر ميوله للشعرِ وحفظه.

وبعد أنْ أخذ ما أَخذ من علم في بيوت نشأتِه الأولى، تَجوَّل في منطقة «القبلة»، وأَخذ من أشهر مدارسِها -المحاظر- كمدرسة آلِ ألُمّا، فقد قال في ترجمته لشيخه المختارِ بنِ ألُمّا (1243-1308هـ): «وقد قـرأتُ عليه نُبْذَةً من النحو". وكمدرسة يَحْظِيْهْ بنِ عبد الودود، فقد قال في ترجمة عبد الودود بن عبد الله (...-1268هـ): "وعلى الحسن تخرَّج أستاذُنا سيبويه زمانِه يَحْظِيْهْ بنِ عبد الودود».

هذا عن الدراسات الأساسيّةِ؛ أمّا التكوينُ الثقافيُّ والإنتاجُ الفِكريُّ فكان بلا منازعٍ في مُهاجَرِه ومَحَطِّ رحلِه مصرَ، ففيها توافرتْ له المراجعُ والبيئةُ المناسبة، فبدأ نشاطاتِه التأليفيّةَ، وتحقيقاتِه العلميّةَ.

رحلتُه إلى المشرقِ:

لا تُسعفنا الأخبارُ بكثير من التفاصيل عن هذه الرحلةِ، حيث اختفتْ أخبارُ ابنِ الأمين منذ خروجِه من شنقيط ولقائِه بالشيخ ماءِ العَينيْنِ في السَّمَارَة، واجتماعه بعبد الرحمن الجُزُوْلِيِّ بمُرّاكِش، إلى أن قال هو: "قدمت المدينة المنورة سنة سبعَ عشْرةَ وثلاثمائة وألفٍ».

وبعد تأديته فريضةَ الحجِّ سافر إلى بلاد التُّرك، فقال يعني نفسَه ورجلاً من أهل أُوْرَانَ: «وسافرْنا إلى أنْ قضينا فريضةَ الحجِّ، ثمّ سافرْنا إلى بلاد التُّرك، ثمّ تفرَّقْنا».

وفي سنة 1320هـ قدم إلى مصرَ، وفيها استقرَّ به المُقامُ، وشرع يبني صيتَه الثقافيَّ السامِقَ، فنسي الأهلَ والأوطانَ والحياةَ الخاصَّةَ، ونَذر حياتَه للبحث والتأليف وشَرْحِ أمّهاتِ التراثِ العربيِّ إلى أنْ تُوُفِّيَ سنة 1331هـ.

وخيرُ مُخبرٍ عنه في هذه المرحلةِ من حياته هي أعمالُه التي أنجزَها؛ والعلاقاتُ الوطيدةُ التي بناها مع بعضِ الأعيان من مصرَ، مثلِ السيد توفيقٍ البَكريّ الذي شرح كتابَه







«صهاريج اللُّؤلؤ»، ومثلِ أحمد تيمور الذي زوَّده بنسخة من ميميّة حُمَيْدِ بنِ ثَوْر الهِلالي. أمّا الشخصيّة التي كان لها الأثرُ الأكبرُ في حياته مُدَّةَ وجودِه في مِصرَ، فهي السيد أمينُ الخانْجِيُّ، قال فؤاد سيّد واصفاً علاقتَهما: «والمعروفُ أنّ المؤلِّف كان على صِلَة وثيقةٍ طولَ مُدّةِ إقامتِه بمصرَ بالمرحوم السّيّد أمينِ الخانْجيّ الكُتُبِيّ الشهير، وهو الذي هيَّأ له وسائلَ التأليفِ والتحقيقِ، ويسَّر له طبعَ جميعِ ما أخرجَه من آثار تقريباً. وقد علمتُ أنّه أعدَّ له سكناً خاصّاً في المطبعة التي كانت تَطبعُ هذه الكتبَ، وهي المطبعة الجَماليّة».

آثارُه:

دخل ابنُ الأمينِ مصرَ فجرَ النهضةِ العربيّة الحديثة، وأيّامَ كانت ساحتُها الثقافيّةُ ذاخِرةً بالعلماء،حَفيَّةً بإحياء الـتـراثِ العربيِّ شرحاً وتحقيقاً وتصحيحاً، فانغمس في ذلك غيرَ عابئٍ بأهلٍ أو مَسقطِ رأس، أو تأسيسِ حياةٍ خاصّةٍ، فحطَّ رِحالَه وألقى عصا تَسْيارِه، وبقي هناك مؤلِّفاً وشارحاً إلى أنْ تُوُفِّيَ سنةَ 1331هـ.

وقد كانت آثارُه في مُجملها تخدم الـتـراثَ الأدبــيَّ اللغويَّ على وجه الخُصوصِ، وهذه الآثارُ قسمان: كُتُبٌ ألَّفها، وأُخرى شرحها.

أولا: الكتبُ المؤلَّفةُ:

1) كتاب الدُّرَرفي منعِ عُمَر:

وهي رسالةٌ ألَّفها ردّاً على قول الشيخ محمّد محمود بن التلاميد التُّرْكُزِيِّ الشنقيطيِّ القائلِ بصَرْفِ عُمَرَ، وأورد فيها أقـوالَ علماءِ اللّغةِ والنحوِ في المسألة. جاء في مقدِّمتها: "وبعدُ؛ فقد ألَّفتُ رسالةً أنيقة، ذاتَ ألفاظٍ رقيقة، ومعانٍ دقيقة... وسمَّيْتُها الدُّرَر في منعِ عُمَر، فأقولُ مستعيناً بالله:

اعلمْ أنَّه حدثتْ مسألةٌ كثُر فيها الكلامُ، وتشتَّتِ الأفهامُ، في القرن الرابعَ عشرَ، وهي خلافٌ حصل بين سيبويهِ النحويّ البصريّ والشيخِ محمد محمود بن التلاميد التُّرْكُزِيّ الشنقيطيّ في (عُمَرَ)، الذي على وزن فُعَلٍ، فقال سيبويه: إنّه معدولٌ عن عامرٍ عَلَماً، وأنّه ممنوعٌ من الصَّرْف للعلميّة والعَدْلِ المقدَّرِ. وقال محمدُ محمود: إنّ عُمَرَ منقولٌ من جمع عُمْرةٍ، وأنّه مصروفٌ، ودليلُه أنّ الأصلَ في الأسماء الصرفُ، والمنعُ عارضٌ، وأنّ المنقولَ عن الجمع المنكَّرِ يجب صرفُه، وأنّه لم يُسمع في الشعر إلّا مصروفاً، وأنّ عِلّةَ المنع تقديريّةٌ».

والناظر في هذا النصِّ يُدرك تمامَ ذكاءِ وفِطْنةِ ابن الأمين؛ فهو لم يُواجهِ الشيخَ الشنقيطيَّ مباشرةً لعاملَي السِّنِّ والغُربةِ؛ وإنّما جاء بتوريةٍ جَعل من خلالِها الخلافَ بين سيبويه والشنقيطيِّ؛ والحقيقةُ أنّ الـخلاف حصل بين الشّنقيطيّيْنِ فقط، ولا دخل لسيبويه في القرن الرابعَ عشرَ.

وقد أفاض ابنُ الأمينِ في تحرير محلِّ النِّزاعِ في المسألة، وأتى بأقوال أئمّةِ النحوِ، كسيبويه والفارسيّ والزَّمَخْشريّ وابن مالكٍ، وذَيّلَ الكتابَ بثلاثَ عشْرةَ فائدةً في مسألة (عمر) ما اجتمعتْ في كتاب غيرِ رسالتِه هذه. وقد طُبعت هذه الرسالةُ بمطبعة الموسوعات، شارع باب الخلق بمصر، لصاحبها إسماعيل حافظ، الخبير بالمحاكم الأهلية.



2) **كتابُ الدُّرَرُ اللَّوامعُ على هَمْعِ الهَوامعِ شرحِ جَمْعِ الجوامع:**

وهو شرحٌ ماتعٌ ومفيدٌ على "هَمْعِ الهوامع على جَمْع الجوامع"، أكمل فيه ابنُ الأمين الشواهدَ التي تركها جَلالُ الدين السيوطيُّ، وشرَحها وبيَّن ما فيها من اللّغة والغريب، بل ويَذكر قصَّةَ الشاهد، والقصيدةَ التي ورد فيها، ومَن قالها إلى غير ذلك.

وقد طُبع في جزأين الأوّلُ منهما بمطبعة كردستان العلمية سنة 1328هـ، والثاني بالمطبعة الجمالية في السنة نفسها. وقد حقَّقه وشرَحه الدكتورُ عبد العال سالم مكرم، وأُعيد طبعُه سنة 1401هـ، وطبعتْه دارُ الكتب العلمية سنة: 1419هـ.

3) **شرحُ المعلَّقات وأخبارُ شُعرائها:**

لا شكّ أنّ المعلَّقات معروفةٌ عند العربِ؛ لكنّ جَمعَها في كتاب واحدٍ وتصحيحَها، وإظهارَ ثقافةِ حِفظِها كما يُحفظ القرآنُ الكريم، والترجمةُ لقائليها، ربّما كان الشيءَ الجديدَ الذي أَحْدَثَه أحمدُ بن الأمين الشنقيطيُّ، ويعود إليه الفضلُ في إحياء ثقافةِ حفظِ الشعرِ، والشّواهدِ اللّغويّةِ أيّامَ النهضةِ العربيّةِ الحديثة.

وقد طُبع هذا الشرحُ بمصر سنة 1329هـ، ثمّ طُبع بعد ذلك مرّات.

4) **طَهارةُ العرب:**

وسبب تأليفِه له أنّه وجد في قازانَ بالرّوس كتاباً لملحدٍ يُشكِّك في صِحّة أنسابِ العربِ، ومِن ثَمّ في صِحّة نسبِ رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلَّم، فألّف هذا الكتابَ دِفاعاً عن الإسلام، وذَبّاً عن النبيِّ صلّى الله عليه وسلَّم، وإثباتاً لطَهارة أنسابِ العربِ، وألَّفه بـ(قازانَ لليلتين مَضَتا من رمضان، سنة: 1326)، وقد طُبع بدار الكتب العربية بدمشق، سنة: 1328.

> **لا شكّ أنّ المعلَّقات معروفةٌ عند العربِ؛ لكنّ جَمعَها في كتاب واحدٍ وتصحيحَها، وإظهارَ ثقافة حفظها كما يُحفظ القرآنُ الكريم، والترجمةُ لقائليها، ربّما كان الشيءَ الجديدَ الذي أَحْدَثَه أحمدُ بن الأمين الشنقيطيُّ.**

> **لقد حمَل علماءُ باديةِ شنقيط لواءَ الحركةِ العلميّة العربيّة، فكانت لهم فتوحاتٌ علميّةٌ ومعرفيّةٌ في إفريقيا، ونفَحاتٌ في البلاد العربيّةِ وآسيا.**

5) **الوسيط في تراجم أُدباء شنقيط:**

المَعْلَمَةُ التاريخيّةُ والمَأْثُرةُ الأدبيّةُ التي تُعتبر المرجعَ الأبـرزَ للشعر الشنقيطيِّ؛ بل هي الموسوعةُ التي كان يُراد لها أنْ تقدِّم تعريفاً عن بلاد شنقيط وأعلامِها للوسط الثقافيِّ المشرقيِّ؛ فإذا بها مع ذلك تتبوَّأ في موريتانيا نفسِها أهميّةً وقيمةً أكبرَ من تلك التي حَظِيتْ بها في المشرق والمغرب. وقد طُبع أكثر من مرّة، وآخرُها طبعة دائرة الثقافة بالشارقة، سنة: 2017.

ثانياً: الكتبُ المشروحةُ:

1) الإعلامُ بمثلَّث الكلام لابن مالك، طبع سنة 1329هـ بمصر.

2) أمالي الزَّجّاجيّ، طبع سنة 1324هـ بمصر.

3) تُحفةُ الممدود في المقصور والممدود لابن مالك، طُبع بمصر سنة 1329هـ.

4) تحقيقُ ديوان الحُطيئة، طُبع بمطبعة التقدّم بمصر.

5) ديوانُ الشَّمّاخ بن ضِرار الغَطَفانيّ، طبع بمطبعة السعادة سنة 1327هـ بمصر.

6) ديوانُ طَرَفَةَ بن العبد، طبع بقازان سنة 1909م.

7) ليس في كلام العرب لابن خالَوَيْه، طبع بمصر سنة 1327هـ.

8) الأضداد في اللغة للأنباريّ النحويّ، طبع بالمطبعة الحسينية بكفر الطماعين بمصر.

9) صَهاريجُ اللُّؤْلُؤ للسيد توفيق البكري، طُبع سنة 1324هـ بمصر.

ختاماً؛ هذه نُبْذَةٌ مختصرةٌ عن عَلَم من أعلام العربيّةِ نَذَرَ حياتَه لخِدمة لغةِ القرآنِ الكريم، والحِفاظِ على تُراث الأمّة، وتدُلُّ مصنَّفاتُه المؤلَّفةُ أو المشروحةُ دلالةً واضحةً على الخِدْمات الجَمَّة التي خَدم بها ابنُ الأمينِ الشنقيطيُّ اللغةَ العربيّةَ، والأدبَ العربيَّ بشِقَّيْه الشِّعْريِّ واللّغويِّ.



أَدَبٌ ونَقدٌ

- الرواية الإماراتية.. وقفــة مــع رواية رائحــة الزنــجبيل لصالحة عبيد غابش
- اللُّغزُ في شِعْرِ الأميرِ الشّاعرِ أبي الرَّبيعِ المُوَحِّديّ
- صـــورة الناقــة في شـــعر ذي الرّمّـــة قراءة فنيّة
- الغُرْبةُ في الشِّعْرِ العَربيِّ.. حَنينٌ وحسرةٌ وأشــواقٌ
- عرائسُ الشّعر القديم : وجدليّة تعليقِها على أستارِ الكعبة



الرّوايةُ الإماراتيّةُ.. وَقْفةٌ مع رواية رائحة الزنجبيل لصالحة عبيد غابش

عُرفت الرواية في الساحة الأدبية الإماراتية منذ زمن ليس ببعيد، حيث يُعد فن الرواية في دولة الإمارات العربية المتحدة فنًا حديثًا؛ إذ تعود بدايات ظهوره إلى عقد السبعينيات من القرن المنصرم، ولكن على الرّغم من حداثة الرواية في الساحة الأدبية الإماراتية إلا أنها «تجاوزت مرحلة الطفولة بما تحمله من سذاجة المحاولة وتجريبيّتها، ووصلت إلى مرحلة متقدمة؛ لا يمكننا ادّعاء أنّها مرحلة النّضج، ولكنّها مرحلة متقدّمة لحدّ ما»، فمع القفزة الحضارية والثقافية والاقتصادية التي شهدتها الدولة في تلك الفترة تَحوَّل مجتمع الإمارات البسيط من بين رمال الصحراء وملوحة البحار إلى عالم حديث وسريع التطور سبق العديد من الدول التي تقدَّمت عنه بسنوات طويلة.



آمنة الهاشمي
باحث لغويّ في مجمع اللغة العربيّة بالشارقة

مما أدى إلى زيادة الاتّصال الثقافي بالدول الأخرى، ممّا أنتج صراعًا أدبيًّا وثقافيًّا مُتَميِّزًا غير مسبوق في دولة الإمارات العربية المتحدة، وانتشر التعليم في البلاد وانتعشت بذلك الساحة الأدبية وظهر فنّ الرواية ونمى نموًّا سريعًا لافتًا للأنظار.

وممّا لا شك فيه أن الرواية في بداية عهدها كانت غير مكتملة؛ بسبب عدم وجود الوعي الفنّي الكافي بشروط كتابة الفنّ الرّوائي، ولكن سرعان ما تبدَّل الأمر، فمع تطوّر المجتمع الإماراتي وتحوُّلِه، تطوَّر فَنُّ الرِّواية حتى يتلاءم مع تلك التّحولات، فتفاعل الروائيون مع سرعة الأحداث والمتغيرات، وأصبحوا على دراية بأنَّ الأحداث والمتغيرات التي طرأت على المجتمع لابد لها من كتابة مختلفة خارجة عن المألوف والتقليدي، فلمعت العديد من الأسماء الرِّجالية والنسائية في سماء الساحة الأدبية الإماراتية، ومن بين تلك الأسماء: الأديبة صالحة عبيد غابش، التي كانت لها لمساتها الواضحة في ترسيخ هذا الفن في المشهد الأدبي الإماراتي.

عُرفت صالحة عبيد غابش شاعرة أوَّلًا وروائية ثانيًا، وقد أَثْرَت المشهد الثقافي الشّارقيّ الإماراتي بالعديد من الأعمال البارزة. ولأَنَّ الرواية قادرة على "التقاط اليومي والمعيش والقضايا الاجتماعية المعقَّدة والمتجددة وإعادة تدويرها ضمن أطر من تشابكات فنية" ، نجد الأديبة صالحة غابش

قد قدَّمت عملها الروائي الأول (رائحة الزنجبيل) الصادر عن دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة- 2008م، في إطار الحياة الاجتماعية وما بها من قضايا متعلقة بالفرد الإماراتي. وقد خاضت الأديبة غمار الرواية وقدمت (رائحة الزنجبيل)، وتعد هذه الرواية «واحدة من الروايات الإماراتية التي تقدم مقولتها الفكرية ببراعة فنية لافتة، إذ تنسرب أفكارها من بين العلاقات اللغوية والفنية المتشابكة، دون أن تُشعر القارئ بثقل اللغة الذهنية التي قد يقع الروائي في شركها، فينتج لغة أيديولوجية تعوّق السرد الروائي»، وتُعَدُّ من أبرز الروايات في الأدب الإماراتي من حيث كونُها تكشف عن جوانب هامة تتعلق بالمجتمع الإماراتي وأفراده.

تدور أحداث الرواية حول شخصيتها الرئيسة (علياء الغافي) لترصد لنا من خلالها التحولات التي طرأت على المجتمع الإماراتي وبالتحديد إمارة الشارقة بعد الطّفرة الاقتصادية والثقافية التي شهدتها الدولة، فترصد لنا معالم إمارة الشارقة القديمة. تحمل الرواية بين دفّتيها مشاعر الحنين إلى الماضي، وتظهر نغمة الحنين بصورة جلية أثناء حديثها عن الأحياء القديمة وبالتحديد منزل جدها في منطقة الحيرة التي تعد اليوم إحدى أشهر المناطق في إمارة الشارقة ومن أقدمها، لذلك نلاحظ أن الرواية جاءت مشبَّعة بعبق الماضي، كما أنها طعَّمت الرواية بتاريخ إمارة الشارقة ومناطقها إلى جانب إبراز التحولات التي مرَّت بها البيئة



صالحة عبيد غابش

الاجتماعية والاقتصادية في الإمارة. أشارت الكاتبة في روايتها إلى مشاعر المودة والتَّقارب التي كانت تسود المجتمع فيما مضى، كما حرصت على رصد أهم العادات والتقاليد التي تخص المجتمع الإماراتي، حيث بدا المجتمع في الرواية «مجتمعًا عربيًّا له عاداته وتقاليده الاجتماعية، وجذوره الدينية، وخرافاته الشعبية، وانتماؤُهُ المكاني».

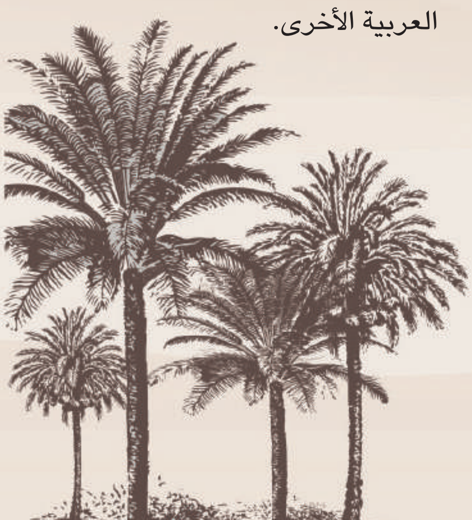
ولم تغفل عن ذكر علاقة الإنسان الإماراتي بالبحر الذي كان مصدرًا لرزقه إما عن طريق صيد الأسماك أو البحث عن اللؤلؤ، ففي الماضي "اكتسبت الدولة على غرار بقية دول الخليج العربي سمات مرحلة ما قبل اكتشاف النفط حيث الوضع الاقتصادي التقليدي والثقافة التي تربط بين الصحراء والبحر وعادات وتقاليد حركة الموانئ والتجارة وصيد اللؤلؤ والأسماك».

ممّا يلفت انتباه قارئ رواية (رائحة الزنجبيل) بلوغها درجة عالية من النضج الفني والفكري، ولا شك أن التناول السريع لهذه الرواية يظلمها،

تَحوَّل مجتمع الإمارات البسيط من بين رمال الصحراء وملوحة البحار إلى عالم حديث وسريع التطور سبق العديد من الدول التي تقدَّمت عنه بسنوات طويلة

كما أن إشباع الحديث عنها لا يناسب هذا السياق؛ حيث تحتاج الرواية إلى دراسة تفصيلية خاصة بالجانب الفني فيها. وبذلك كان للروائية صالحة غابش دورها البارز في ترسيخ دعائم فن الرواية الإماراتية المعاصرة في المشهد الأدبي الإماراتي.

وأخيرًا لعل ما ذكرناه بشكل موجز في هذا المقال يُبَيِّن لنا أن الرواية الإماراتية تؤكد انتسابها وانتماءها إلى الرواية العربية والعالمية على الرغم من حداثتها وصغر سنّها، فهي تسير في نضجها بشكل متكافئ مع الأقطار العربية الأخرى.





عَبَّرُوا بها عن دواخِلِهم الملأى بالشَّجَنِ والـمُعاناةِ

الـغُرْبَةُ في الشِّعْرِ العَربيِّ.. حَنينٌ وحسرةٌ وأشواقٌ



فوّاز الشّعّار
كاتب

تردّدَ مفهومُ الغُربَةِ في الشِّعرِ العربيِّ، عبرَ عصورِه الأدبيَّة، لالتِحامِ الشِّعرِ بواقعِ أُمَّته، وارتبطَ في المعاجم العربيّةِ بالمكانِ والبُعدِ عنه؛ فيُقال: الغَرْبُ، أي: الذَّهابُ والتَّنحّي، والغَرْبُ هو الابتعادُ عنِ الوطن أيضًا. وفي معاجمِ اللُّغة: التَّغريبُ: النَّفيُ عن البلاد، وغَرَبَ، وأغْرَبَ عنّي، أي: تَباعد. والغُربةُ والغَربُ: النَّوى والبُعدُ؛ والـمُغَرِّبُ الذي يأخُذُ في ناحيةِ الـمَغرِبِ؛ قال قَيْسُ بنُ الـمُلَوَّح:

وأَصْبَحْتُ مِن لَيْلى الغَداةَ كناظِرٍ مع الصُّبحِ في أَعْقابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ

وغَرَّبَ القومُ: ذَهَبوا في الـمَغْرِبِ؛ وأَغْرَبوا: أَتَوا الغَرْبَ؛ وتَغَرَّبَ: أَتى من الغَرْب، والغَرْبُ الذَّهابُ والتَّنَحّي عنِ النّاسِ.

إذن الغُربَةُ هي البُعدُ والتَّنحّي، وهناك نوعان من الغُرْبَة: مادِّيَّة، وهي: البُعد عنِ الأهل والوطن، ومعنويّةٌ بالخُروجِ عن المبادئِ والأعراف. وكثيرٌ منَ الشُّعراء على مَدار التَّاريخ، تناولوا الغربةَ، بحسب الحال المسبِّبة لها.

ففي الشِّعرِ الجاهليّ، كانتِ الطَّبيعةُ الصَّحراويَّةُ والحياةُ الرَّعويّةُ سببًا للانْتِقالِ من مكانٍ إلى آخرَ، بحثًا عن أَسبابِ العَيش، فيَرتحِلُ الشّاعرُ تاركًا وراءَه أهلًا وأحبّةً، ولذلك كانت مطالعُ القصائدِ الجاهليّةِ في كثيرٍ منَ الأحيانِ عنِ الأَطلالِ والإحساسِ بالغُربة، والحَنينِ إلى ديارِ الأحبَّة؛ يقولُ عنترة:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ
أم هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بعْـدَ تَوَهُّـمِ
يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالجِواءِ تَكَلَّمـي
وَعِمي صَباحًا دَارَ عَبْلَةَ واسلَمي
كَيْفَ المَزارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُها
بِعُنَيْزَتَيْنِ وأَهْلُنا بالغَيْلَمِ
إنْ كُنْتَ أَزْمَعْتَ الفِراقَ فإنَّما
زُمَّتْ رِكابُكُمْ بِلَيْلٍ مُظْلِمِ

وامرؤ القيس، حين مرّ بجوارِ قبرِ امرأةٍ، عند عودتِه من زيارة ملكِ الرّومِ وقد ألبسَه ثيابًا مسمومةً، قال:

أجارَتَنا إنَّ الخُطوبَ تَنوبُ
وإنـي مُقيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ

أجارَتَنا إنّا غَريبانِ هَهُنَا
وكُلُّ غَريبٍ للغَريبِ نَسيبُ
أجارَتَنا مافاتَ لَيْسَ يؤوبُ
وما هُوَ آتٍ في الزّمانِ قَريبُ
ولَيْسَ غَريبًا مَنْ تَناءتْ دِيارُهُ
ولَكنَّ مَنْ وارى التُّرابَ غَريبُ

فالغُربةُ، وحَّدَتْ مُصيبتَيْهما، كما يرى.

واستمرَّ مفهومُ الغُربَةِ حاضِرًا، بعد العصرِ الجاهليّ؛ ففي العصرِ الأُمويِّ ظهرتِ الغربةُ المادِّيَّةُ والنَّفسيَّةُ لدى الشُّعراء؛ فهذا قيسُ بنُ الملوّح يَشْكو المرارةَ والألَمَ، وهو يمرُّ بالدِّيارِ بعدَ هِجْرانِها، وإن كانَتْ غُرْبَتُه مَقْرونَةً بإحساسٍ عميقٍ منَ الشَّوقِ إلى الحبيبةِ:

أَمُرُّ عَلى الدِّيارِ دِيارِ لَيْلى
أُقَبِّلُ ذا الجِدارَ وذا الجِدارا
وما حُبُّ الدِيارِ شَغَفْنَ قَلبي
ولَكِن حُبُّ مَن سَكَنَ الدِيار

ومثلُه يقفُ الصّمّةُ بنُ عبد الله القُشيريُّ، حين رحلَ عن موطنِه؛ فيقولُ:

أَتَبكي عَلى رَيّا ونَفسُكَ باعَدَتْ
مَزارَكَ مِن رَيّا وشَعْباكَما مَعا
فَما حَسنٌ أَن تَأتيَ الأَمْرَ طائِعا
وتَجْزَعَ أنْ داعي الصَّبابَةِ أَسمَعا
كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ وَداعَ مُفارِقٍ
ولَمْ تَرَ شَعْبَي صاحِبَينِ تَقَطَّعا
وأَذْكُرُ أَيَّامَ الحِمَى ثُمَّ أَنْثَني
عَلى كَبِدي مِن
خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعا
فلَيْسَتْ عَشيّاتُ الحِمَى بِرَواجِعٍ
إِلَيْكَ، ولكنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعا



وكذلك ابنُ زُرَيق البغداديُّ الَّذي قصدَ الأندلُس، بعد أن تركَ بغدادَ طلَبًا للرِّزق، وماتَ غريبًا فيها:

أَسْتَوْدِعُ اللهَ في بَغْدَادَ لي قَمَرًا
بِالكَرْخِ مِنْ فَلَكِ الأَزْرارِ مَطْلَعُهُ
وَدَّعْتُهُ وبِوُدِّي لَوْ يُوَدِّعُني
صَفْوُ الحَياةِ وأَنّي لا أُوَدِّعُهُ
وكَم تَشَبَّثَ بي يَوْمَ
الرَّحيلِ ضُحًى
وأَدْمُعي مُستَهِلّاتٍ وأَدمُعُهُ
لا أَكْذِبُ اللَّهَ ثَوْبُ الصَّبْرِ
مُنْخَرِقٌ عَنّي بِفُرقَتِهِ لَكِنْ أَرَقِّعُهُ
إِنّي أَوَسِّعُ عُذري في جِنايَتِهِ
بِالبَيْنِ عَنْهُ وقَلْبي لا يُوَسِّعُهُ

وفي الغُربَةِ الشَّخصيَّةِ، نَجِدُ أبيات أبي الطيِّب، التي يَشْكو فيها غُربَتَه بِمِصرَ، بعد أنْ ترَكَ بَلاطَ سيفِ الدَّولة الحَمْدانيّ، وحين يلمُّ به المرَضُ تشتعلُ النّفْس شوقًا إلى الأحبَّة؛ فيقولُ:

مَلُومُكُما يَجِلُّ عن المَلامِ
ووَقْعُ فَعالِهِ فَوْقَ الكَلامِ
ذَراني والفَلاةَ بلا دَليلٍ
وَوَجْهي والهَجيرَ بلا لِثامِ
فإِنِّي أَسْتَريحُ بِذي وهَذا
وأَتْعَبُ بالإِناخَةِ والمُقامِ

ثمَّ يقولُ مُخاطِبًا الحُمَّى:

أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدي كلّ بِنْتٍ
فكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزِّحامِ
جَرَحْتِ مُجَرَّحًا لَمْ يَبْقَ فيهِ
مَكانٌ لِلسُّيوفِ ولا السِّهامِ
أَلا يا لَيْتَ شِعْرَ يَدي أَتُمْسي
تَصَرَّفُ في عِنانٍ أَو زِمامِ

وألمُ المُتنبّي مضاعَفٌ فقدِ اجتَمَعَ فيه ألَمُ الغُربَةِ والشَّوق، وألَمُ الحُمّى على جِسْمِهِ الضَّعيفِ. وتتجلَّى غُربَتُه أيضًا أَثْناءَ وُجودِهِ في فارس حيثُ قال:

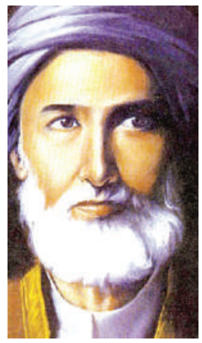
مَغاني الشِّعْبِ طِيبًا في المَغاني
بِمَنْزِلَةِ الرَّبيعِ مِنَ الزَّمانِ
ولَكِنّ الفَتى العَرَبِيّ فيها
غَريبُ الوَجْهِ وَاليَدِ وَاللّسانِ
مَلاعِبُ جِنَّةٍ لَو سارَ فيها
سُلَيمانٌ لَسارَ بِتَرْجُمانِ

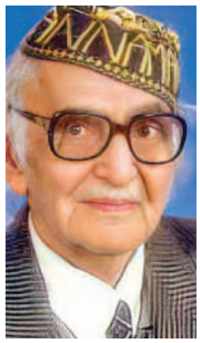
فعلى الرَّغم مِنْ جمالِ الشِّعْب، فإنَّه لا يَشْعُرُ بأيِّ انْتماءٍ إلى المكان. أمّا غُربَةُ أبي فراس الحَمْدانيّ، فتَجَلَّتْ وهو في سِجْنِ الرّوم، فها هو يَسْمَعُ هَديلَ حَمامةٍ على شجرةٍ عاليةٍ قُرْبَ سِجْنِه، فيتذكّرُ الأهلَ والوطنَ:

أَقُولُ وَقَدْ ناحَتْ بِقُرْبِي حَمامَةٌ
أيا جارتا هَلْ تَشْعُرين بحالي؟
مَعاذَ الهوى ما ذُقْتِ طارِقَةَ
النَّوى، ولا خَطَرَتْ
مِنكِ الهُمُومُ بِبالي
أيا جارتا، ما أنْصَفَ الدَّهْرُ بَيْنَنا
تعالَيْ أُقاسِمْكِ الهُمُومَ، تَعالي

وتشتدُّ وطأةُ غربته كلّما تذكّر أمّه في الدّيارِ:

لَوْلا العَجُوزُ بِمَنْبِجٍ ما
خِفْتُ أَسْبابَ المَنِيّهْ
ولَكانَ لي، عَمّا سَأَلْـ
ـتُ مِنَ الفِدا، نَفْسٌ أَبِيَّهْ
يا أُمَّتا لا تَحْزَني
وَثِقي بِفَضْلِ اللهِ فِيَّهْ
يا أُمَّتا لا تَيْأَسي
لِلَّهِ أَلْطافٌ خَفِيَّهْ

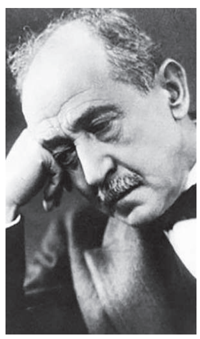

أبو فراس الحمداني


محمد الجواهري


محمود درويش


محمود البارودي


امرؤ القيس


أحمد شوقي


بدر السياب


أبو الطيب المتنبي

في العَصْرِ الحديث، عاشَ الشُّعَراءُ غُرَباءَ عندما ألجأتهمُ الأوضاعُ السِّياسيَّةُ إلى هِجرَةِ أوطانِهم والتَّغرُّبِ عنها، كالشّاعِرَين محمود سامي البارودِيّ، وأحمد شوقي، اللَّذَين نَفاهُما الإنكليزُ خارجَ وطنِهما مطلَعَ القرنِ الماضي.

فالبارودِيّ بَقِيَ في المَنفى بمدينةِ كولومبو، أكثَرَ مِنْ سبعةَ عشرَ عامًا يُعاني الوحشةَ، والسّقمَ والبُعدَ عن وَطَنِه، وممّا قاله:

كَفَى بِمَقامي في سَرَنْدِيبَ غُرْبَةً
نَزَعْتُ بها عَنّي ثِيابَ العَلائِقِ
ومَنْ رامَ نَيْلَ العِزِّ فَلْيَصْطَبِرْ عَلى
لِقاءِ المَنايا واقْتِحامِ المَضايِقِ
أَمَرْتُ بِمَعْرُوفٍ وأَنْكَرْتُ مُنْكَرًا
وذلِكَ حُكْمٌ في رِقابِ الخَلائِقِ

كذلك كان نَفْيُ شوقي وإبعادُه إلى إسبانيا ومعاناتُه الغُربةَ المكانيَّةَ والزَّمانيَّةَ، سببًا لِما سُمِّيَ «أندلسيَّات شوقي»؛ يقول في سينِيَّتِهِ الشَّهيرة:

اخْتِلافُ النَّهارِ واللَّيْلِ يُنْسي
اذْكُرا لِي الصِّبا وأيّامَ أُنْسي
وصِفا لي مُلاوَةً مِنْ شَبابٍ
صُوِّرَتْ مِنْ تَصَوُّراتٍ ومَسِّ
وسَلا مِصْرَ: هَلْ سَلا القَلْبُ عَنْها
أَوْ أَسا جُرْحَهُ الزَّمانُ المُؤَسّي
كُلَّما مَرَّتِ اللَّيالي عَلَيْهِ
رَقَّ والعَهْدُ في اللَّيالي تُقَسّي

ومن شوقي إلى السَّيّاب، فأوّلُ ما يتبادرُ إلى الذِّهنِ غربتُه، وهو يحلمُ بحُضنِ الأمّ التي لَنْ تعودَ لتُقبِّلَ دمعَ

صغيرِها، تبدأُ حياتُه بحرمانٍ لا يردّ ألــمَه أيُّ فرحٍ:

كأنَّ طفلًا باتَ يَهْذي قَبلَ أنْ يَنام:
بأنَّ أُمَّهُ الّتي أفاقَ منذُ عامْ
فَلَمْ يَجِدْها، ثُمَّ حِينَ لَجَّ في السُّؤال
قالوا له: «بَعْدَ غَدٍ تَعودْ ...»
لا بُدَّ أنْ تَعودْ

أمّـا محمَّد مهدي الجواهريّ، فأشْعارُ الغُرْبةِ والحَنين، إلى العِراق، تشعُّ في دواوينِه، ومنها قولُه:

لَقَدْ أسْرى بِيَ الأَجَلُ وطولُ مسيرةٍ مَلَلُ
وطولُ مَسيرةٍ مِنْ دونِغايٍ مَطْمَعٌ خَجِلُ
ويا أحْبابيَ الأَغْنينَ مَنْ قَطَعوا ومَنْ وَصَلوا
سَلامٌ كُلُّهُ قُبَلٌ كأنَّ صَميمَها شُعَلُ
وشَوْقٌ مِنْ غَريبِ الدّارِ أَعْيَتْ دونهُ السُّبُلُ

ويحنُّ إلى دجلةَ التي كانت له مَعَها تَفاصيلُ عَذْبَةٌ، فيَقولُ:

حَيَّيْتُ سَفْحَكِ عَنْ بُعْدٍ فَحَيِّيني
يا دِجْلَةَ الخَيْرِ، يا أُمَّ البَساتينِ
حَيَّيْتُ سَفْحَكِ ظَمْآنًا أَلوذُ بِهِ
لَوْذَ الحَمائمِ بَيْنَ الماءِ والطّينِ
يا دِجْلَةَ الخَيْرِ يا نَبْعًا أُفارِقُهُ
على الكَراهَةِ بين الحينِ والحينِ
إنِّي وَرَدْتُ عُيونَ الماءِ صافيةً
نَبْعًا فَنَبْعًا فما كانَتْ لِتَرْويني

ومثلُ السيّاب عانى محمود درويش، مـرارةَ الاغْتِراب، وكـواهُ الحنينُ إلى الوطنِ والأهلِ لترحالِه الدّائم، وابتعادِه القَسْريِّ عنهم، ويرتبطُ الحنينُ ارتباطًا وَثيقًا بالغُربةِ في شِعْرِه، وفي الشّعر الفلسطينيّ عمومًا، ويقولُ في قَصيدَتِه التي غنّاها مارسيل خليفة:

أحِنُّ إلى خُبْزِ أُمّي
وقَهْوةِ أُمّي ولَمْسةِ أُمّي..
وتَكْبُرُ فِيَّ الطُّفولَةْ
يَوْمًا على صَدْرِ يَوْم
وأعْشَقُ عُمْري لأَنّي إذا مُتُّ
أَخْجَلُ مِنْ دَمْعِ أُمّي

لقد كانَ الحَنينُ إلى الوَطنِ، والأُمِّ، والحبيبَةِ مِنْ مَوضوعاتِ الشُّعَراءِ الّذينَ عَبَّروا عن غُربَتِهم عَلَّهُم يَلْقَوْنَ وِصالاً مَنشودًا، أو يَلْفِظونَ من صُدورِهم زَفَراتٍ حَرّى تُخرجُ معَها لَهيبَ الشَّوقِ، لقد كانَ شِعرُهم مرآةَ نُفوسِهم الّتي تُعبِّرُ عن واقِعِهم وبيئَتِهم.



المصادر والمراجع

- «الغربة في العصر الجاهليّ»، عبد الرازق الخشروم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1981
- «الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث»، ماهر حسين
- «الوطن في الشعر العربي من من الجاهليّة إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلاديّ«، وهيب طنوس
- كتاب «الأمالي» للقالي
- دواوين: عنترة، وقيس بن الملوّح، والصمّة بن عبدالله القشيريّ،والمتنبّ،ي وأبي فراس، ومحمد مهدي الجواهري، وبدر شاكر السيّاب، ومحمود درويش.

اللُّغْزُ في شِعْرِ الأميرِ الشّاعرِ أبي الرَّبيعِ المُوَحِّديِّ

شكّلتِ اللُّغةُ العربيَّةُ وعاءً وافيًا للفكرِ الإنسانيِّ منذ أقدمِ عُصورِه، ولئن كان الفِكرُ في مراحلِه الأولى قد حاولَ الإجابةَ عمّا اعترضَ سبيلَه من ظواهرَ مختلفةٍ فإنّه في مُقابلِ ذلك قد شكَّلَ أسئلةً مختلفةً صاغها بقوالبَ لغويّةٍ عدّةٍ حاولَ فيها تأطيرَ كثيرٍ منَ المُجرَّداتِ من حولِه، وتفنَّنَ بذلك تفنُّنًا جعلَه يخلقُ ما يُسمَّى باللُّغز، فما اللُّغزُ في اللّغةِ والاصطلاحِ؟ هل صيغَ اللُّغزُ أدبًا في عصورِ الأدبِ العربيِّ المُتطاولةِ؟ ولئنْ كان بَدهيًا أن تكونَ الإجابةُ بنعم فكيف كانت طبيعةُ هذه الألغاز، وسماتُها؟ ولئن كان ثمّةَ إجابةٌ في الذّهن عن ذلك غيرَ أنّها لا بُدَّ تغيبُ عنِ الذّهنِ في الأدبِ المغربيِّ الذي لَمّا يَلْقَ نصيبَه منَ الدَّرسِ بعدُ؛ على ما فيه من شُعَراءَ يَستحقونَ العنايةَ والدَّرسَ، كالأميرِ أبي الرَّبيعِ المُوحّديِّ الذي اشتُهِرَ بغيرِ غرَضٍ شِعريٍّ.



أ.د علي إبراهيم كردي
باحث أكاديمي

وازدهــرتِ الألغازُ في شعرِهِ ازْدِهارًا يجعلُها مادّةً للدِّراسةِ فلا يخفَى على دارسٍ لديوانِه أنَّه أفردَ للأَلْغازِ بابًا ينوفُ عددُ نصوصِهِ على ستٍّ وخمسينَ مقطوعةً، وقصيدةً، ومن هنا يسعَى هذا البحثُ إلى إبرازِ فنِّ الألغازِ لدَى هذا الأميرِ، وإماطةِ اللِّثامِ عنِ الطرائقِ الفنّيّةِ التي عبّرَ فيها عنِ اللُّغْزِ.

أوّلًا: اللّغزُ في اللُّغةِ والاصطلاحِ، وعصورِ الأدبِ:

تُومئُ المادّةُ اللُّغويةُ دائمًا إلى خصائصَ يكتنفُها الـكلامُ، ولا تبتعدُ كثيرًا في الاصطلاحِ عنها، "فاللُّغزُ جمعُه: ألغازٌ، وهو: جُحرُ الضَّبِّ والفأرِ واليربوعِ، واللُّغْزُ: ما يُعَمَّى به منَ الكلامِ، وهو: سؤالٌ أو عبارةٌ تتطلَّبُ إجابةً أو فهمًا، وفعلُه: لَغَزَ: (فعل) و: ألغزَ/ ألغز يُلغِز، إلغازًا، فهو مُلغِزٌ، والمفعول مُلغَزٌ، وألْغَزَ كلامَهُ، وألْغَزَ في كَلامِهِ: عمَّى مُرادَهُ بِهِ ولَمْ يُبَيِّنْهُ، أَيْ: أَضْمَرَهُ عَلى خِلافِ ما أَظْهَرَهُ، وأَلْغَزَ في يَمينِهِ: دَلَّسَ فيها على الـمَحْلوفِ لَهُ، وأَلْغَزَ اليَرْبوعُ جُحْرَهُ: لَغَزَهُ، أَيْ: حَفَرَهُ مُلْتَوِيًا مُشْكِلًا عَلى داخِلِهِ».

يُلحظُ الرّابطُ بين كلمةِ لُغز بمعناها الـمُعجميِّ الذي يشيرُ أوّلَ ما يشيرُ إلى الجُحرِ الذي هو موئلُ الاختباءِ، يختبئُ فيه الفأرُ واليربوعُ وهذا يُشبهُ إلى حدٍّ ما اختباءَ المعنى في اللُّغزِ، ولعَلَّ هذا من طَريفِ ما يربطُ المعنى اللُّغويَّ بالاصْطِلاحيِّ للكَلمةِ في العربيَّةِ.

يَسري اللُّغزُ مَسارَ الأُحجيةِ بين عامَّةِ النّاسِ، فهو في كُنْهِه سؤالٌ يتطلَّبُ الإجابةَ عنه، غيرَ أنَّه إذا ما طُرِحَ أَدبًا ولا سيمَا شِعرًا فإنَّه يأتي بلَبوسٍ ماتعٍ جاذبٍ للأسماعِ بفِعْلِ ما يَكتَنِفُهُ الشِّعــرُ من خَصائصَ لُغويَّةٍ في التَّركيبِ والتَّصْويرِ والـمُوسيقا والنَّغَمِ، وهذا ما كان للألغازِ في عصورِ الأدبِ العربيِّ المختلفةِ منَ العصرِ الجاهليِّ مع عُبيدِ بنِ الأبرص إلى الإسلاميِّ مع حسّان بن ثابت، نَعَمْ مع شاعرِ الرَّسول فقد لغَّزَ باسمِ الرّسولِ نفسهِ مدْحًا له، إلى العصرِ الأُمويِّ إلى العصرِ العبّاسيِّ الذي شَهِدَ ازْدِهارًا للألغازِ مع المعَريِّ،

واستمرَ ذلك في العصر المملوكيِّ حتى إنّكَ تشهدُ وجودَ مصنّفاتٍ في الألغازِ، ولك أن تنظرَ الطِّرازَ في الألغازِ للإمام السِّيوطي ت 1505م، وخطفًا إلى المغاربة وتحديدًا الـمُوحّدين نقفُ على أميرٍ شاعرٍ هو أبو الرَّبيع الـمُوحِّديُّ،" وهو: أبو الرّبيع سُليمان بنُ عبدِ الله بنِ عبد المؤمن الزّناتي الكومي، فهو أميرٌ وابنُ أميرٍ وحفيدُ خليفةٍ عظيمٍ منَ الخلفاء الذين زها بهم عالمُ الإسلام". لا شكَّ إذن أنّ شعرَه يزهُو بعددٍ منَ الأغراض، ويتفرّدُ بعددٍ منَ الأبواب سنختصُّ منها ببابِ الألغازِ.

ثانيًا: اللُّغزُ الشِّعريُّ عند أبي الرَّبيع المُوحِّديِّ:

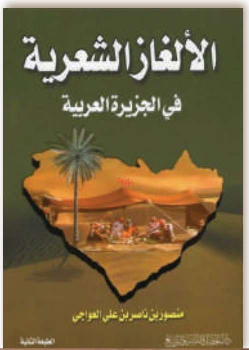
برعَ الـمُوحّديُّ في إعدادِ الألغازِ بمناحٍ مختلفةٍ منها الظَّواهرُ الكونيَّةُ؛ ولئن كانت هذه الظَّواهرُ في أصلِ وجودِها قد شكّلت علامةَ استفهامٍ بارزةً، ودَعَت إلى تفسيرها والبحثِ عن أسبابِ وجودِها، والطّاقاتِ الدّفينةِ بها، بل جعلتِ الإنسانَ يَعبدُها لشعورِه بالعجْزِ أمامَ قواها الخارقةِ في العصورِ السّحيقةِ غيرَ أنّها -ومع تقدّم الفكرِ الإنسانيِّ- بَقِيَت مَثارًا للتَّلْغيزِ وبؤرةً له بِكُلِّ ما تَحتويه من طاقاتٍ لفظيّةٍ، استمعْ قولَ الـمُوحّديِّ مُلغِّزًا في شعرِه إحدى تلك الظّواهرِ، وحاولِ الحلَّ من قوله:



أبو العلاء المعري

أُحاجيكَ ما اسمٌ ليسَ في الطَّيرِ غيرُهُ
يَطيرُ مدى الأيامِ دونَ جناحِ
قضَى بفسادٍ في قضايا كثيرةٍ
على أنَّهُ قاضٍ بكلِّ صلاحِ
فإن تتفهَّمْه، وتقلبْ حروفَهُ
فذاكَ ما يبقَى منَ النَّفْسِ يا صاحِ
وإن تَضعِ الحرفَ المُقدَّمَ آخرًا
فذلكَ اسمُ ما يَروي وليسَ براحِ
وإن تضعِ الحرفَ الأخيرَ مُقدَّمًا
فذلكَ اسمُ ما تُبديه كفُّ رداحِ
وإن تضعِ الحرفَ الموسَّطَ أوّلًا
فحيثُ يقرُّ المرءُ دونَ جُناحِ

انظرْ، لِنحاولَ فكَّ اللُّغزِ الذي يحملُ الأُحجيّةَ إلى المخاطَبِ بفعلٍ يدلُّ عليها (أُحاجيكَ) ثمّ يُمهِّدُ له أنّه يطيرُ من دون جناحٍ، ويبدأُ بطرحِ اللُّغزِ في قالَبِ الشّرط؛ فإن تتفهّمْه، وتقلبْ حروفَهُ فذلكَ ما يبقَى من النَّفْسِ يا صاحِ، وهنا تتساءلُ ما بقيّةُ النَّفس؟ أليس الرّمقُ ما يتبقّى منَ النَّفْس، اقلبْ حروفَه تجد أنَّك









أمامَ القمرِ، وما إن تصلْ إلى الحلّ حتى ينقلك إلى ألغازٍ أخرى مُستفيدًا من أحرُفِ الاسم نفسِه فإنّك إن تضعِ الحرفَ المقدَّم -القاف- آخرًا (ق م ر) تصبحُ (مرق)، والمرقُ يروِي وليس منَ الرّاحِ، ولا يتوقّفُ ما دام يَجدُ في حروفِ الاسم متّسَعًا للتّلغيز، فإنّك إن تضعِ الحرفَ الأخيرَ في المقدّمة (ق م ر) تصبحُ (رقم) وهو كما تعلمُ بقايا النَّقْشِ الذي يظهرُ في كفِّ المرأة، ولا ينفكُّ عن الاسم حتى يُحرزَ لُغزًا مع كلِّ تبديلٍ لمكانِ حروفِه، فإذا أتيتَ بالأوسطِ (ق م ر) ووضعتَه أوَّلاً تصبحُ (مقر) وهو حيثُ يَقرُّ الإنسانُ دونَ جُناحٍ، ولك أن تلحظَ ما بين جَناحٍ وجُناحٍ





في بداية الأبيات ونهايتِها من جناسٍ تامٍّ يُظهرُ حُسْنَ الاسْتِهْلالِ، والختامِ.

وإنِ اتَّسعَ المقامُ لمثالٍ آخرَ من تلغيزِه في غيرِ الظَّواهرِ الكونيَّةِ فإنَّنا نَتَمَثَّلُ تلغيزَهُ في المظاهرِ الصِّناعيَّةِ التي تُعطِي مجالاً واسعًا للتَّلْغيزِ فيها؛ لأنَّ صفاتِها تخلقُ مجالاً لخلْقِ اللُّغزِ حولها، لنرَ لُغزَه في قولِه:

ومَيْتٍ برمْسٍ طُعمُهُ عند رأسِه
فإنْ ذاقَ من ذاكَ الطَّعامِ تكلَّما
يَموتُ فيحيَا ثمَّ يُفرغُ زادَهُ
فيَرجعُ للقبرِ الذي منه قُيِّمَا
فلا هو حَيٌّ يَسْتَحِقُّ كرامةً
ولا هو ميْتٌ يستحقُّ ترحُّمَا

ينطلقُ في لُغزِه من واوِ رُبَّ في الكلامِ على ميتٍ طعمُه في رأسِه متى ذاقَ من ذاك الطُّعمِ يتكلَّمُ، فما الذي يكمنُ في رأسِه الطُّعمُ؟ رُبَّما كان القلمَ، بل هو القلمُ فعلاً، فما سِواهُ تَنْطَبِقُ عليهِ تلكَ الصِّفاتُ التي يُلغِّزُ بها، ولا يخفَى على مُتَلَقٍّ الاتّكاءُ على الأضْدادِ في طَرْحِ اللُّغزِ والتَّوسُّلِ بطباقِ الإيجابِ مُحسِّنًا مَعنويًّا؛ لنَقْلِ الـمُرادِ.

وإن كانت هذه الـمُحَسِّناتُ تُثْبِتُ براعةً لُغَويَّةً في طرْحِ اللُّغزِ الواحِدِ فإنَّ التّلغيزَ عنِ الشّيءِ الواحِدِ غيرَ مرّةٍ يُثبتُ تلك البراعةَ أيضًا فقد لغّزَ عنِ القلمِ بطرْحٍ مُختلفٍ؛ إذ قالَ :

ومُدنفٍ ما أقامت فيه علّتُهُ
إلّا فواقًا فلم يَبرأْ ولا انتعَشَا
لم يشتملْ غيرَ ثوبِ السّقمِ بعدَ حلًى
ممّا يشاكله فيها نَما ونشَا
يَظلُّ مَيْتًا طَريحًا لا حراكَ به
حتّى إذا ارتَشَفَ الثَّغرَ الكريهَ مَشى

توسّل كذلك بواوِ رُبَّ وطَرَحَ صفاتٍ مقاربَةً للتَّلْغيزِ الأوَّلِ غيرَ أنَّه وَصَلَ إلى انْزياحٍ مَعنويٍّ بَيِّنٍ في البيتِ الأخيرِ، فمنَ الـمَعروفِ أنَّ ارتشافَ الثَّغْرِ الطَّيّبِ يُحْيي إلّا أنَّه جعلَ في ارتشافِ القَلَمِ الثَّغرَ الكريهَ منَ الحِبْرِ سَبَبًا للمشْيِ، وهو انْزياحٌ ومُفارَقَةٌ في آنٍ تَدُلُّ على مَقدِرَةٍ في إحْداثِ الانْزياحِ في بِنيةِ اللُّغزِ لدى هذا الأميرِ، هذه القَضايا وسِواها تجدُها إذا ما عَمدتَ إلى ديوانِه، وطرقتَ بابَ الألغازِ الذي يَنْفَتِحُ أمامَكَ على مِثْلِ هذه الطَّرائفِ اللُّغويَّة، وأكثرَ، ومن ثَمّ فإنّنا نخلُصُ إلى الآتي:

* براعةُ الأميرِ الـمُوحّديِّ في بناءِ اللُّغزِ تتأتّى من ذِهنيَّةٍ صافيةٍ واسعةٍ قادرةٍ على استثمارِ طاقاتِ موضوعِ اللُّغْزِ، وصِفاتِه، وخَصائصِه.
* فنيَّةُ الألْغازِ لدى الأميرِ الـمُوحِّديِّ عاليةٌ يتوسَّلُ من أجْلِ إحْداثِها بفنونِ الصَّنْعةِ اللَّفظيَّةِ والمعنويَّةِ.
* مقدرةُ الـمُوحّديِّ على إحكامِ بِنيةِ اللُّغز، ونسْجِ أطرافِه نَسْجًا مُتَماسِكًا لُغَويًّا.
* مقدرةُ الـمُوحّديِّ على تَقْليبِ أوجُهِ الكَلامِ، والتَّعبيرِ عن موضوعِ اللُّغزِ بِغَيرِ طَرْحٍ شِعريٍّ.

بينَ أَشعب وأميرِ المُؤمِنين



دَخَلَ أَشعَب على أميرِ المؤمِنين أبي جعفر المنصور فَوَجَدَه يأكُلُ من طبَقٍ فيه لوزٌ وفُستُق، فأَلْقى أبو جَعفَر المنصور إلى أشعب بحبَّة لوز، فَقالَ أشعب: يا أميرَ المؤمنين ﴿ثانِيَ اثْنَينِ إِذْ هُما فى الغارِ﴾ فألْقى إليه أبو جعفر اللَّوزة الثّانية.

فقالَ أشعب: ﴿فَعَزَّزْنا بِثالثٍ فَقالوا إِنّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلون﴾ فأَلْقى إليه الثّالثة.

فقالَ أشعب: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ فأَلْقى إليه الرّابعة.

فقالَ أشعب: ﴿وَيقولون خَمْسَةٌ سادِسُهم كَلْبُهم﴾ فأَلْقى إليه الخامِسَة والسّادِسَة.

فقالَ أشعب: ﴿وَيَقولون سَبْعَةٌ وثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فأَلْقى إليه السّابعة والثّامنة.

فقالَ أشعب: ﴿وكانَ فى الـمَدينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ فأَلْقى إليه التّاسعة.

فقالَ أشعب: ﴿فَصِيامُ ثلاثَةِ أَيّامٍ فى الحَجّ وسَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُم تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَة﴾ فأَلْقى إليه العاشِرَة.

فقالَ أشعب: ﴿إِنّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا والشَّمْسَ والقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لى ساجِدين﴾ فأَلْقى الحادِيَة عَشَر.

فقالَ أشعب: واللهِ يا أميرَ الـمُؤمِنين إِنْ لَمْ تُعْطِني الطَّبَقَ كُلَّه لأَقولَنَّ لك: ﴿وأَرْسَلْناهُ إلى مِئَةِ أَلْفٍ يَزيدون﴾ فأَعْطاهُ الطَّبَقَ كُلَّه.

صورة الناقة

في شعر ذي الرّمّة: قراءة فنيّة

تحضُر الناقةُ في شعر ذي الرّمّة حُضورًا بارزًا إلى جانب الحمار الوحشيّ والأَتان والثور، ويُفسَّر هذا الحُضورُ بالعِناية بعالَم الصحراء وتفاصيله الدقيقة التي يلتقطها الشاعرُ بمِجْهَره البَيانيّ الدّقيق. يُسعف المِجْهَرُ البَيانيُّ للشاعر في التقاط صورٍ ذاتِ غرابة عُنوانُها الجِدّةُ، وُفّق في اصطيادها، ممّا يرفع درجةَ التصوير إلى مستوى خَرق أُفقَ الانتظار، ومن ذلك قولُه واصفًا تعبَ الناقةِ بعد طول مَسِيرٍ (1):

كأنّما عينُها منها وقد ضَمَرتْ
وضمَّها السّيرُ في بعض الأَضا مِيْمُ

يصوّر الشاعرُ تأثّر ناقتِه بكثرة السفر مركّزًا في عينها، ومشبّهًا إيّاها بحرف الميم في استدارته وصِغَره وتقلّص دائرته، والعينُ أكثر ما يُظهر التعبَ النفسيّ أو البدنيّ، فهي نافذة الداخلِ



د. سعيد بكور
أستاذ الأدب العربيّ القديم،
جامعة ابن طفيل، المغرب.

وتُفيد الصورةُ في وصفِ شِدّة دخول العين من شِدّة التعب، وقد أتى الشاعرُ بمشبَّه به غريبٍ عن السياقِ وعن المتعارَف عليه في مذهب التشبيه، وهذه الغَرابة استحالت إلى أُلْفة بعد إدراكِ اتفاقِ الطرفين في صِغَر الدائرة وتقلُّصِ الحجم.

لم يُطْلق الشاعرُ تشبيهَه لئلّا يقعَ في التعميم، بل قيّد العينَ بقيدين (وقد ضَمَرَتْ) مثبتًا الضُّمور ب(قد)، وبقوله (ضمَّها السيرُ في بعض الأَضا)، وهذان القيدانِ زادَا مِن حَصْرِ المشبَّه وعدم إطلاقِه، فالعينُ في حالتها المألوفةِ لا تُشبه الميم، لذا كان الشاعرُ مراعيًا للفَرْق الكائن بين العينِ وحرفِ الميم في ضِيْقِ دائرتِه، فأدخلَ قيدين اثنين يحدِّدان الموصوفَ.

إنّ الجمعَ بين الاستعارةِ والتشبيهِ والمَزْجَ العضويَّ بينهما لا يكفي لجَلْبِ الدَّهشة والأثرِ الجماليّ المخيِّب لأفق التلقّي، بل لا بدّ من إيجاد أُلْفة بين طرفينِ متباعدينِ، ونقلِ الصورة عبرَ تقنيةِ المقارَبة:

راحتْ يَشُجُّ بها الآكامَ منصَلِتًا
فالصُمَّ تُجرحُ والكِذّانُ محطومُ

يصوّر الشاعرُ بطولةَ الناقة التي تَظهر في سُرعتها وشَقِّها عُبابَ الصحراء، ويصوِّرُ صَلابتَها في اندفاعٍ وإصرارٍ لا يُداخلُهما خُمولٌ أو فُتورٌ أو تردُّد.

يتضافَر التشبيهُ والاستعارة والكِناية

في تصوير سُرعةِ الناقة وصلابتِها، ويُشبِّه الشاعر مُضِيَّها السريعَ غيرَ المتوقّف بمُضِيِّ السيف الماضي، وفي مُضِيّها هذا تَشُجّ الآكامَ وتَجرح الحجرَ الذي تُفتِّتُه، وقولُه "فالصُّمُّ تُجرح" استعارةٌ مكنيّة، وكأنّ الحجر من شِدّة قُوّةِ ما ينهال عليه أحسَّ بألمٍ وسال دمُه، وتحطيمُ الصُّلْبِ كنايةٌ عن شِدّة السرعةِ، فناقةُ الشاعرِ ناقةٌ من طِراز خاصٍّ تَجمع بين القوّةِ والسرعة.

إنّ ناقة الشاعرِ صُلْبة قويّة، وقد ساهمت قوّةُ الأصواتِ المتمثّلةِ في تَكرار التضعيفِ ثلاثَ مـرّاتٍ في تقوية دَلالـةِ التحطيمِ والضغْطِ، وزاد المَدُّ من زيادة دَلالةِ الضغْطِ الممارَسةِ على الصخرِ، وزكّى صَلابةَ النُّوقِ.

تُفصح الصورةُ ضِمْنيًّا عن إعجابٍ بالناقة ممزوجٍ بافتخارٍ، فهي ناقةٌ تجمع بين الصبرِ وقوّةِ التحمُّل، لا يُفتِّتُ عزمَها طولُ مَسيرٍ أو وُعورة طريقٍ، تخدم سيّدَها بتفانٍ منقطِعِ النظيرِ، وفي أسوأ حالاتِ تعبِها تكتفي بالأنين دونَ أن تبديَ احتجاجًا أو سخطًا.

تُظهر الصورة من ناحية أخرى وُعورةَ الصحراء التي ليست دائمًا رمالاً متّصلة، بل فيها من الأماكن ما هي أشدُّ وُعورةً وأكثرُ خُطورةً.

ويُنتج العُدولُ المدهشُ بَراعةَ الربطِ بين طرفيِ الصورةِ، وإيجادَ تقارُبٍ بين المتنافرات، ويقتضي ذلك البحثَ في



ماورائيّةِ الصورةِ وأبعادِها الخفيّةِ التي تُخوّل للدارس الوقوفَ على الدَّلالات المنفلِتة:

رَعَتْ في فَلاةِ الأرضِ حتّى كأنّها
من الضُّمْرِ خَطِّيٌّ مَنَ السُّمْرِ مُصلح

الرَّعْي هنا كِناية عن قطْع الفَلاة طُولاً وعَرْضًا دون توقُّفٍ أو راحة، ويمكن عدّه من ناحية ثانية كِنايةً عن خِبْرة الناقة بالفَلاة التي تحصَّلتْ بكثرة السَّفَر والتَّرْحال، وهذا السفرُ الدائم في الصحراء حوَّلها إلى شِبْه رُمْحٍ في الضُّمور، وإذا كان الشاعر يقصِد تِبيانَ ما لحِق بالناقة من ضُمور جَرّاءَ كثرةِ تَسْفارِها، فإنّه مع ذلك يُومِئ من طَرفٍ خَفِيٍّ إلى أنّها تلتقي مع الرمح في إصابة الهدف الذي هو الوصولُ الدقيق إلى المكان المرغوب فيه. وقد أثَّث الشاعر البيتَ بكناية نوعيّة زادتِ التشبيهَ وضوحًا والبيتَ تناسُبًا معنويًّا. وزادتِ الاستعارةُ العِناديّة (رعت) من قوّة التناسُبِ، فالرَّعْيُ إنّما يَنتج عنه شِبَعٌ وسُمْنة، لكنّه كان سببًا في ضُمور النُّوق، فيعني أنّ المقصود به مجرَّدُ قطعِ المسافات الطِّوال.

وفي التشبيه المشكِّلِ للبُؤْرة الجَماليّةِ للشطر الثاني إشارةٌ إلى أنّ الشاعر وهو يقطع الصحراء إنّما هو في حربٍ، سِلاحُه الناقة التي تتَّجِه صَوْبَ هدفِها منقِذةً إيّاه من الهلاك، ويعادل الرمحُ الناقةَ موضوعيًّا في إصابتهما الهدفَ وإنقاذِهما المقاتلَ في الحرب، وبهذا أحدث الشاعرُ نوعًا من التناسُب بين الطرفين رغم ما بينهما من تباعُدٍ، وهو ما يُزْكي قُدرةً على الإصابة في الوصف.

لقد استطاع الشاعر أن يوظّف التشبيهَ لنَقْل ما طرأ من تغيُّر على ناقته، وأضاف إليه الكِنايةَ والاستعارة، وهو ما قوّى فاعليّةَ البيت في التصوير والبيان.

إنّ إيجاد النِّسبة بين المتباعداتِ مُؤدٍّ إلى تحقُّق صفةِ الإدهاش، كما في تشبيه الشعراءِ المُضِيّ في الصحراء بالسيف القاطع، ومن ذلك قول ذي الرّمّة:

فأصبحتُ أَجْتابُ الفَلاةَ كأنّني
حُسامٌ جَلَتْ عنه المَداوِسُ مِخْفَقُ

الصورةُ في المستوى العميقِ تُحيل إلى العَلاقة بين الرحلة في الصحراء والحربِ التي يحتاج فيها الفارسُ إلى سيف صارمٍ يدافع به عن نفسه ويَقيه الموتَ، فهو في كلتا الحالتين يواجه موتًا، ولا مَفرَّ من أن يواجهَه بشجاعةٍ.

يقطع الشاعرُ الصحراءَ ماضيًا دون توقُّفٍ كالسيف القاطع الذي يمُرُّ مَرًّا سريعًا، لا يقرّر فيه عودةً إلى وراء، ويَقرِن هنا بين الرحلةِ في الصحراء والمعركةِ التي يحتاج الفارس فيها إلى شيء يَدرأ به عن نفسه الهلاكَ، وقد يبدو للناظر المتعجِّل أنّ الشاعر لم يناسِب بين الطرفين (قطعِ الشاعر الفلاةَ بناقته، والسيفِ القاطع)، لكنّ النَّفاذ إلى عُمْق الصورة وربطِها بالجانب النفسي يُظهر مِقدارَ التناسُبِ والالتئام الدالِّ؛ فالشاعر في اجتيابه الفَلاةَ وقطعِه المَهامِهَ في سُرعةٍ أَشْبهُ بالسيف الذي يمُرُّ باللحم مَرًّا سريعًا، وعلى المستوى العميق فالعَلاقةُ بين عالَم الصحراء وعالَم الحرب بارزةٌ، ذلك أنّ الرحلة في الصحراء أَشْبهُ بحرب ضَروسٍ، إذ يكون المرءُ في مواجَهة قُوى الطبيعةِ الخارقة من حيوانٍ وأمطار ورياح وقَيْظٍ ونُدْرة ماءٍ، وهي أشياءُ تحتاج إلى مناوَرة وشجاعة ورَباطةِ جَأْشٍ.

وممّا لا تُفصح عنه الصورةُ مباشرةً هو ذِكْرُ الناقة، التي تُعدُّ وسيلةَ الشاعر في قطْع مخاطرِ الصحراء، فهي سيفُه الذي يواجه به المَهالكَ ويَقِيه الحَتْفَ.



جلَّى الشاعر المشبَّهَ به بصفتين زادتاه وُضوحًا (جَلَتْ عنه المَداوسُ، مِخْفَقُ) إبرازًا للمعنى وإخراجًا له في معرِضٍ واضحٍ حسن، ذلك أنّ الأوصاف تجلِّي وتعرِض الأشياء في ثوب أنيقٍ مُعجِب.

لقد اضطلع التشبيهُ في هذا البيت بوظائفَ كثيرةٍ تنوَّعتْ بين التعبيرِ والتصوير، وهو ما ارتقى به في سلَّم العُدولِ ليصل إلى درجة الإدهاشِ، فنطق بالدَّلالة والجمال معًا.

وقد يأتي الشاعر إلى المعنى المألوفِ فينقُله إلى خانة الإدهاشِ من خِلال جعْلِ الطرف الثاني للصورة متّسمًا بالغَرابة، وهو ما يُكسب العُدولَ صِفةَ الخَرْقِ الجَماليِّ والدَّهشةِ الفنيّة، ويَظهر ذلك في تِيْمة وصفِ الصحراء وتشبيهِها بالبحر العُباب الذي تَمْخَره النُّوقُ في جِدٍّ، بسبب السَّراب الذي يرتفع كالماء مغطِّيًا الرَّكْبَ، في صورةٍ مدهشة تدُلُّ على ما يعتري عالَمَ الصحراء من خطورة:

والرَّكْبُ تعلو بهم صُهْبٌ يَمانِيَةٌ
فَيْفًا عليها لِذَيْلِ الرّيحِ نِمْنِيمُ

جعل الشاعر الفَيْفَ بحرًا والصُّهْبَ اليَمانِيَةَ سَفائنَ تعلو مقتحمةً أمواجَه في مغامرة غيرِ محمودةِ العواقب، ولعلّه يشير بخفاءٍ إلى عُلُوِّ السَّراب الذي جعل الصحراءَ المنبسطة بحرًا متلاطِمَ الأمواج.

إنّ الجامع بين البحر والفَيْفِ هو الامتدادُ والانبساط والخطورة والغدر، فكلاهما يَغدران براكبهما إنْ لم تُسعفه نَباهتُه وشجاعتُه وسُرعةُ تقديرِه وحسنُ حظِّه، والصُّهْبُ اليَمانِيَةُ التي تخترقُ الصحراءَ مغامرةً مخاطرةً تقع في مقابِل السَّفائنِ التي تنقُل الناس على ظهرها مخترقةً عُباب البحر وأمواجَه العالية، وبهذا ناسَب الشاعر بين مكوِّناتِ الصورةِ، وزاد بأن فصّل في عناصرها، وأخفى أشياء يدل عليها السياق وقرائن الأحوال، إذ إنه لم يذكر ارتفاع الآل الذي يُستنتج آليا من ذكر الصهب اليمانية التي تعلو، وأضمر البحر الذي هو مستعار منه يدل عليه الفعل (تعلو)، والذي يحسب للشاعر أنه ناسب بين أجزاء الصورة حتى غدت متفاعلة فيما بينها في خلق الوظيفة الجمالية والتصويرية والإيحائية.

ويزيد الشاعر المشهد الموصوف حركية تتناسب مع حركة السفائن وهي تقتحم عباب الصحراء جاعلا للريح صوتا وذيلًا تجره تاركةً علامة على الرمل، مما يفرز

نتوءات وتموجات تجعله أشبه بأمواج البحر، الأمر الذي جعل التناسب والتجانس السمة المميزة للبيت دلاليا وانفعاليا.

وفي مقام أخر، ينصرف مفهوم الدهشة إلى ابتكار الصورة وابتداعها في براعة، رغم طروق معنى شائعٍ يتعلق بصبر الناقة وقوة عزيمتها:

نَجاةٌ يُقاسي ليلُها من عروقِها
إلى حيثُ لا يسمو امرؤٌ متقاصِرُ

تظهر ناقة الشاعر في هذه الصورة المبتكرة متأهّبة على الدوام، لا يداخلها فتور أو شبه فتور، تزعج الليل بسواده وامتداده في الزمان والمكان، وكأن الليل يريد راحةً لا تمكنه منها بعزمها المتواصل على المسير.

تفصح هذه الصورة عن جهاد الناقة التي لا تستكين ولا تركن إلى الراحة، إذ تصل الليل بالنهار نزولا عند رغبة راكبها. وليس غريبا بعد هذا أن يختارها الشاعر مركبا مجاهدا يشق به عباب الصحراء المتلاطم.

إنّ مِيزة هذه الناقة أنّها تبلُغ بالشاعر مكانًا قَصيًّا لا يبلُغه امرُؤٌ عالي الهِمَّة، لذا فقولُه " إلى حيث لا يسمو امرؤٌ متقاصِر" كِنايةٌ عن الصبر والمجاهَدة والمقاوَمة، فلا هي يَنال منها التعبُ، ولا هي ترضى بالقريب الدَّنِيّ، وإذا كانت هذه حالُ الناقة وصفتُها، فإنّ صاحبها أجدرُ أنْ يحمل الصفاتِ نفسَها إنْ لم يكن هو زارعَها فيها عبرَ طولِ المعاشرة، وفي إسقاط فعلِ (تسير) من سياق الكلامِ في قوله (إلى حيث يسمو) إشارةٌ إلى عزيمتها وعدمِ توقّفِها.

تتحقَّق الدهشة في مَقام آخرَ باقتناص مشهدٍ واقعيٍّ وتحويلِه إلى مشهد تصويريٍّ قائم على استثمار طاقةِ الاستعارة، ويُبدع ذو الرّمّة في تصوير ارتفاعِ الآل على شكلِ بحرٍ تَغرَق فيه النُّوقُ:

ترى قُورَها يَغرَقْنَ في الآلِ مَرّةً
وآونةً يَخْرُجْنَ من غامرٍ ضَحْلِ

يصف الشاعر مشهدَ اقتحام النُّوقِ عُبابَ الصحراء في الهَجِير القائِظ، حيث يصير السَّرابُ عاليًا كأنّه بحرٌ متلاطمُ الأمواج، ويصوِّر بآلته البيانيّةِ الدقيقةِ غرقَ ظهورِ النُّوقِ في الآل في دَلالة صريحةٍ على عُلُوِّه وارتفاعِه، ويشبِّه ظهورَها بالجبال الصغيرة إمعانًا في وصف عُلُوِّ الآل، وتَستحيل الصحراءُ بارتفاع السَّرابِ لحظةَ اشتدادِ حرارة النهار بالهاجرة إلى بحر عالي الأمواج، يُغرق السفنَ ويُغطِّيها.

لقد مكّنتِ الاستعارةُ من تصوير مشهدِ ارتفاعِ الآلِ وتصوُّرِه كأنّه يَظهر للعين، راسمةً صــورةً مخيفةً لجَوّ الصحراء وقتَ الظهيرة، حيثُ يشتدّ الحرُّ ويموت النَّسيم، ويصير الهلاك أقربَ للسَّفْر، وعليه يمكن القول إنّ الصورة تُعبِّر على المستوى النفسيِّ عن خوفٍ من عالَم الصحراء المقترِنِ بالهلاك والموت والخوف.

لقد جاءت الصورةُ متحرّكةً عاكسةً مشهدًا متحرِّكًا يتأرجح بين عمليّةِ الانخفاضِ (الغرق) والارتفاعِ (الظهور)، وكأنّنا بالنُّوق تسبح في تيار عاتي الأمواج تُريد نجاةً.

---

1 – ديوان ذي الرّمّة ، شرح التِّبْريزيّ، تحقيق مجيد طراد، الكتاب العربي، ص: 251
2 – المصدر نفسه، ص 422.
3 –نفسه، ص: 146
4 –نفسه، ص: 358

عرائسُ الشّعر القديم وجدليّة تعليقِها على أستارِ الكعبة

هامشٌ على الطّرح العقليّ عند بعضِ المؤرّخين والنّقّاد

يتحدّد الطّرح العقليّ لقضية تعليق المعلقات -تلك الروائع الشعرية الجاهلية المطولة- على الكعبة في معالجات المؤرخين والنقاد التي أسست على الحجاج المنطقي، واتخذت قراع الأدلة سبيلًا إلى الاستدلال وإثبات ما تتبناه من مقولة. وبعض هذه المعالجات تعتمد في البرهان على عبارة النص القديم ذاتها. وهي العبارة التي يكون بشأنها الخلاف غالبًا. وتذهب مناقشاتٌ أخرى إلى الارتكاز حول قيام التعارض في المنقول أو المحكي من خلاصات الرأي وجوانبه المتعددة، وذلك بطريق الحجة العقلية أيضًا. تلك الحجة التي تَبرز طابعًا عامًا على مسائل هذا الطرح ومناقشاته، وتنأى به عن شبهة التكرار والتداخل مع طروح نظرية أخرى لدى هؤلاء المؤرخين أنفسهم أو لدى غيرهم. وقد ارتكزت محاور هذا الطرح على عدة عُمُدٍ، أعتدناها كُلًا جامعًا للفكر النقدي الدائر حول قضية التعليق، لدى النقاد المعاصرين الذين خاضوا في هذا الأمر: المؤيدين والرافضين، وحتى المحايدين، على السواء.



أ.د./ فرحان المطيري

خبير بمجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة

وتمثلت أبرز هذه المحاور في العدول عن الاحتجاج، حيث دفع بعضُ النقاد بهذا العدول حجةً لإبطال خبر التعليق أو الشك في صحته. كما يمثل واقعُ العربي القديم في جانبه الثقافي مستندًا مهمًّا للنقاش المنطقي في هذه المسألة. وقد كان التعويل على صحة الخبر أساسًا راسخًا من أسس معالجة قضية التعليق في منحاها العقلي، وهاكم التفاصيل:

1 - ترك الاحتجاج رغم الاقتضاء

تركُ الدليل والعدول عن الاحتجاج به عند الاقتضاء، أي عند شدة الحاجة إليه، هو مناط الاستدلال في هذا العنصر من عناصر الطرح العقلي لقضية التعليق.



د.سليمان الشطي

إن هذا الأمر ليشير -وفق منطق الأشياء- إلى انعدام ذلك الدليل المتروك؛ إما لعدم وجوده أساسًا، أو لوجوده مع الثقة بزيفه واختلاقه، أو لوجوده مع الجهالة به. فإذا كان خبر التعليق الذي نحن بصدده هو هذا الدليل المشار إليه، فالاستنباط المباشر يقضي بأن الحادث الذي تضمنه الخبر لم يقع، وأن هذه القصائد لم تعلق على الكعبة. أو أن القصة موضوعة فلا تصلح للاحتجاج. أو أنه وقع والقصائد عُلِّقَت ولكن الخبر لم يكتب له الانتشار فلم يصل لبعض العلماء. وهذا الاحتمال واهٍ ويفتقر إلى المنطق. ويَقْوَى الاستدلالُ المنطقيُّ على وجه الخصوص إذا كان العالِمُ الذي أعرض عن تلك الحجة فلم يستعن بها ثقةً معدودًا في مجاله وأعماله، مما نستبعد معه عدم وصول خبر كهذا إليه. فالاحتمال الآخر هو الباقي في المسألة، وهو أن التعليق أمرٌ مُحدَثٌ لا صلة له بالواقع.

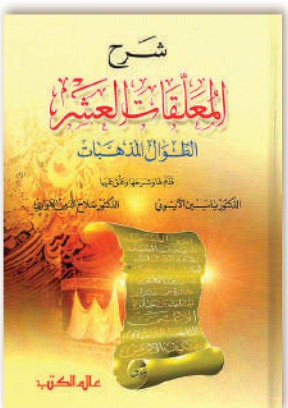
وتتمثل طروحات هذا العنصر في

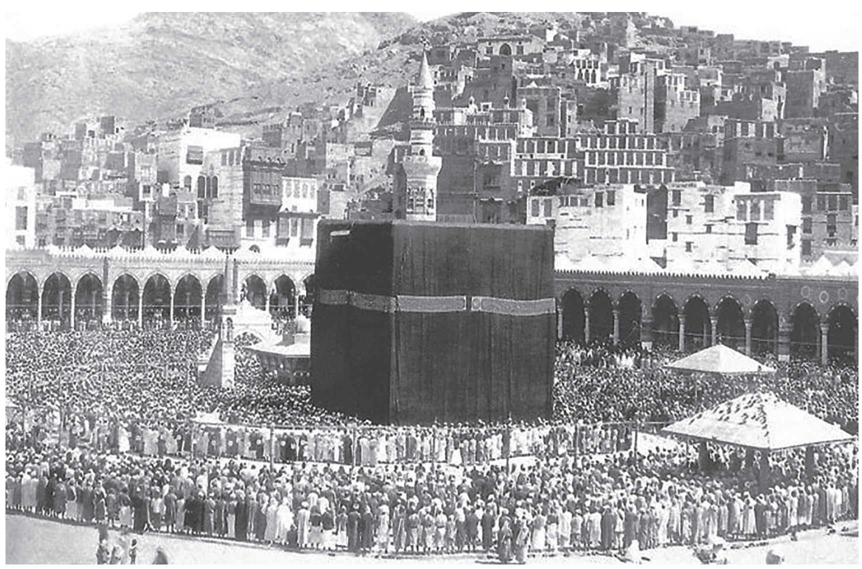
موقفين اثنين. جاء أحدهما خلال مناقشة الأديب المؤرخ مصطفى صادق الرافعي قضية التعليق. وورد الثاني في معالجة الدكتور سليمان الشطي للأمر نفسه. يذكر الرافعي أن الباقلاني (ت: 403هـ) في كتابه "إعجاز القرآن" يجتهد في سعيه لإثبات الأسلوب المعجز للقرآن الكريم، ويعقد ما يشبه الموازنات الأسلوبية واللغوية بين القرآن وروائع الشعر الجاهلي. وحتى يثبت تفوق التنزيل العزيز على ما سواه، يحتاج الرجلُ إلى موازنته بأفضل نصوص الشعر فصاحةً وبلاغة، وبعد ذلك يعود فيوضح معايب هذا الشعر التي تنزل بقدره عن قدر التنزيل درجات. وعندما يظهر تفوق القرآن -في ضوء ما سبق- يكون الاستدلال أوقع والإعجاز أسمى. ولقد تكلَّمَ الباقلاني -كما أورد الرافعيُّ نصًّا- عن شعر امرئ القيس، وبخاصة قصيدته المطولة المشهورة، لكنه وهو يمتدح القصيدة ويثني عليها -خدمةً لغرضه- لم يصرح قط أنها كانت معلقة في الكعبة، مع أن التصريح هنا كان سيخدم غرضَه؛ لأنه كان سيمثل دعمًا قويًّا للاستدلال على جودتها الفنية واحتفاء العرب بحسنها. ويستنبط الرافعيُّ من هذا السلوك العلمي للباقلاني أن خبر التعليق مختلق ولا أساس له! يقول عن الباقلاني في تناوله لمطولة امرئ القيس: «... بالغَ في مدح القصيدة، ثم بيَّنَ عوارَها وزَيَّفَ كثيرًا من جيدها ؛ ليُظهر الفرق بين أجود الشعر وبين القرآن في أسباب الإعجاز، ويبرهن على أن القرآن جنسٌ مميَّز وأسلوب متخصص . فلو صح عنده خبر التعليق وأن العرب هي التي اختارتها وقدمتها على سائر الشعر لكان في ذلك دليلٌ يشدُّ عليه يدَهُ شدَّ الحريص»(1).

> **يستنبط الرافعيُّ من هذا السلوك العلمي للباقلاني أن خبر التعليق مختلق ولا أساس له!**









وفي تتبع خبر التعليق عبر العصور يعثر الدكتور سليمان الشطيّ على لفظة (معلقة) في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري (ت 449هـ)، ويصف ورودها عنده بأنه شيءٌ عابرٌ. وتقع هذه الكلمة في سياق حديث أحدهم مع لبيد بن ربيعة العامري الشاعر المعروف. يقول المعري ساردًا حوارًا متخيلا - كما هي بنية الرسالة - دار مع لبيد: «... فأنشدْنا ميميتك المعلقة. فيقول هيهات! إني تركت الشعر في الدار الخادعة، ولن أعود إليه في الدار الآخرة»(2). ويعود الشطيّ عند بسط رأيه في القضية ليناقش ما جاء في رسالة الغفران من الكلمة المذكورة فيصفها بالكلمة العابرة -كما سبق القول- وأنها غير كافية لإثبات التعليق؛ لأنها جاءت (يتيمة مفردة) وفقًا لتعبيره. وتبرز في نقاش الشطيّ فكرة ترك الدليل مع اقتضاء الاستشهاد والاحتجاج إياه. وينفذ من ذلك إلى أن المنطق يحكم بعدم وجوده؛ إذ لو كان حقيقةً لتكرَّرَ ذكرُه... يقول: «فمع أن أبا العلاء أفرد صفحاتٍ طويلةً لأصحاب المعلقات، لم يرد هذا اللفظ إلا مرة واحدة، مع أن سياق بعض العبارات كان يقتضي وُرُودَهُ، فكيف نقتنع بهذه الإشارة اليتيمة»(3).

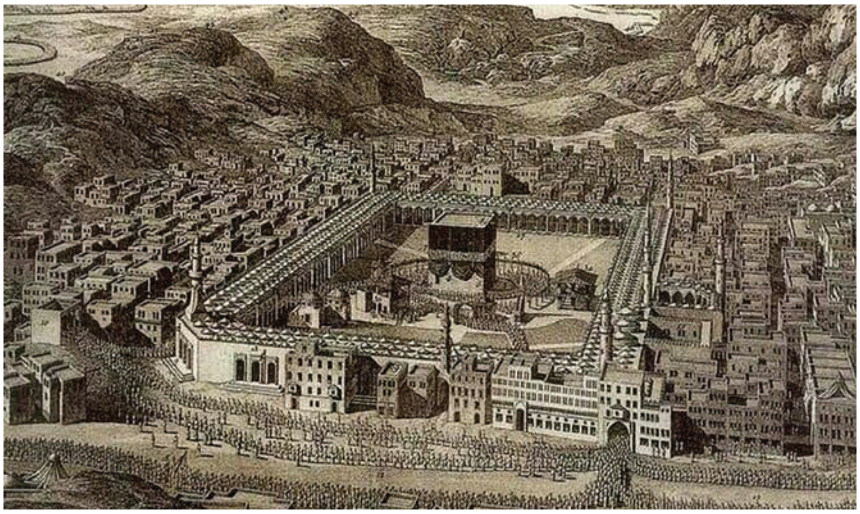
2 - **واقع العربي القديم**

يمثل الواقع الثقافي للعرب الجاهليين من حيث تقديرهم الكبير للشعر حجةً من حجج الاستدلال العقلي في هذه القضية. لقد اتخذ بعضُ النقاد هذا الواقع مستندًا لترجيح رأيه في مسألة التعليق رفضًا أو تأييدًا أو مجردَ تعليل. ولا يخفى أن الواقع الثقافي للجاهليّ من جهة الشعر -كما أسلفنا- هو الاحتفال الشديد به، والاحتفاء بقالته وناظميه، وتعظيم شأنه وإدراك خطورته في مجتمعهم القبلي إدراكًا حقيقيًّا(4).



> **يَعُدُّ الرافعيُّ المكانةَ السامية للشعر الجاهلي وللبيان الأدبي بشكل عام في نفوس العرب القدماء باعثًا على ما وقع فيه بعض المؤرخين من الوهم إزاء حكاية التعليق.**

يَعُدُّ الرافعيُّ المكانةَ السامية للشعر الجاهلي وللبيان الأدبي بشكل عام في نفوس العرب القدماء باعثًا على ما وقع فيه بعض المؤرخين من الوهم إزاء حكاية التعليق. فهو يتخذ من هذه المكانة دليلاً منطقيًّا يفسر به اطمئنان بعض المتأخرين من علماء الأدب إلى خبر التعليق وتصديقهم إياه، بحسبانه حقيقة واقعة تدعم رأيهم في تفسير تسمية تلك الطائفة من القصائد الجاهلية بالمعلقات. والرافعيّ نفسه يرفض الخبر ويعده في الموضوعات من الأخبار التي لا أصل لها. لكنه هنا يجادل عن غيره. أو لنقل: يستعذر لمخالفيه! وكأنهم خُدِعُوا في الخبر فصدَّقُوه؛ لأن ما فيه من تعظيم هذه القصائد برفعها على الكعبة يأتي موافقًا لمكانة هذه الأشعار عند العرب بجودتها الفنية ورقيها البياني. وكل ذلك ينسجم والأهمية المعروفة للفصاحة والبلاغة لدى هؤلاء القوم. ولهذا السبب بدا خبر التعليق لأولئك المتأخرين من أئمة الأدب طبيعيًّا غيرَ منكور في الظاهر على الأقل. يقول الرافعيُّ عن الخبر ومؤيديه من متأخري القدماء: "وهو عندي من الأخبار الموضوعة التي خفِيَ أصلها حتى وثق بها المتأخرون. وإنما استدرجهم إلى ذلك أن هذه القصائد تكاد تكون الصفحة المذهبة من ديوان الجاهلية، وأن العرب قومٌ لم يصح من أديانهم إلا دين الفصاحة، وهو الذي دانوا به أجمعين. فلو أنهم فعلوا ذلك لكانوا قد أَتَوْا بشيءٍ غيرِ نكير»(5).



وهكذا توحي جملتُهُ الأخيرة بمدى نجاح السمعة الطيبة للمعلقات والمكانة المهمة للبيان العربي بين العرب في القيام بدورهما حجةً معقولةً فسَّرتْ سلوك هؤلاء النفر من العلماء. فإن حادث التعليق -في بيئة تقدر الشعر هذا التقدير وبخاصة هذه القصائد- يكون غير مستغربٍ و"غير نكير"، بل إنه -كما أسلفنا- يأتي منسجمًا مع معالم الواقع الثقافيّ العربي آنذاك. وقد لا يفوت المتابعَ أن يتوقف قليلاً عند تعبير الرافعيّ بكلمة (استدرجهم) ليفطن إلى ما يرمي إليه من وصف هؤلاء المتأخرين -بصورة غير مباشرة- بالغفلة والانخداع أو عدم التثبت.

ويمضي جرجي زيدان في ركاب هؤلاء العلماء القائلين بالتعليق، ويؤيد مقالتهم فيه، ولا يستبعد حدوث هذا الأمر؛ استنادًا إلى الحجة السابقة ذاتها. فالشيءُ من معدِنِهِ لا يُسْتغرَب. وكأني بالرافعي وهو يوجه السلوك النقدي السابق إنما يردّ على جرجي زيدان نفسه مع مَن يُناقش رأيهم من القدماء. فإن زيدان من جهته يكاد يلوم مَنْ يستغرب حدوث التعليق. ويوحي كلامُهُ بأن هذا الاستغراب والاستنكار لا ينسجم مع التفكير العقلي ولا مع المنطق الذي يرى الحادثَ متوافقًا مع واقع حياة العرب الأدبية التي يشغلها الشعرُ في حلّها وترحالها، ويملأ آفاق وعيهم وأقطار نفوسهم. يقول زيدان متسائلاً: "وأيُّ غرابةٍ في تعليقها وتعظيمها بعدما علمنا من تأثير الشعر في نفوس العرب وتعظيمهم لأصحابه؟»(6).

ومع انقطاع الأدلة الثابتة الذي يُجمع عليه نفرٌ غيرُ قليل من الباحثين في هذه المسألة، واختفاء الخبر من مصادر الشعر الكبرى التي صنَّفَها ثقاتُ العلماء(7)، فإن الاستدلال العقلي لدى زيدان قد يصبح في مواجهة عاصفة مع ردود وجيهة وواقعية أخرى. ففكرة «ذكاء اللِّصّ» غالبًا ما يوصف بها الوضاعون في التراث العربي. فهؤلاء -عند وضعهم الأشعارَ والأخبار- يُناسِبون بين المواقف بعضها والبعض، وبين الأشعار بعضها والبعض؛ ليأتي وضعُهم ما يضعونه بين الصحيح السليم متوافقًا معه وغيرَ نابٍ عنه(8). ولهذا نجد بعض المستشرقين يتأولون خبر التعليق مشيرين إلى أسباب وضعه، في طرح يتوافق مع هذا الذي نقول. يقول نولدكه: «على أن الأدباء أوجدوا قصة تعليق المعلقات في الكعبة، نظرًا إلى ما يقال من تفاخر الشعراء بعكاظ، وتحكيم المحكمين فيما بينهم، فرأى رواة الشعر أن يجعلوا المختار من الشعر -وهو القصائد السبع الطوال- سيِّدَ الشعر الجاهلي. ولمَّا كانت مكةُ ذات قدسية، وجدوا أنها أصلح مكان لأن يربط بينها وبين هذا المختار من عيون الشعر، فأوجدوا حكاية التعليق»(9).

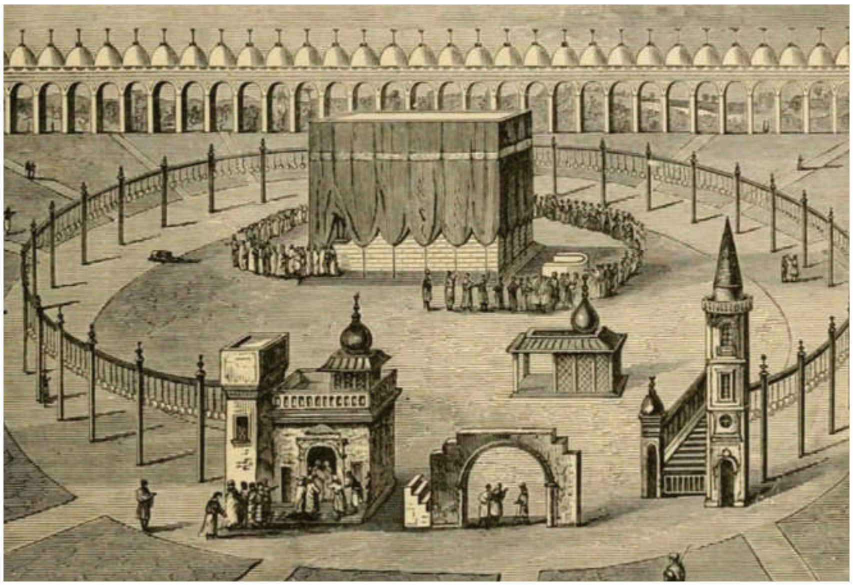
> **يقول نولدكه: «رأى رواة الشعر أن يجعلوا المختار من الشعر -وهو القصائد السبع الطوال- سيِّدَ الشعر الجاهلي. ولمَّا كانت مكةُ ذات قدسية، وجدوا أنها أصلح مكان لأن يربط بينها وبين هذا المختار من عيون الشعر، فأوجدوا حكاية التعليق»**

التعويل على صحة الدليل

لتأكيد صحة الخبر الأساس -تعليق القصائد بالكعبة- يربط بعضُ الباحثين هذه الصحةَ بصحةِ الأدلة النقلية الداعمة له، أخبارًا كانت أو مقولات. وكلما كانت هذه الأدلة صريحة في نصِّها على التعليق من جهة، وصحيحة النسبة إلى قائليها

من الجهة الثانية، تَحقَّقَ القبولُ لحادثة التعليق المثارة. ويعتمد الطرحُ العقليُّ في هذا العنصر على بديهيةٍ لا يخطئها المنطق، مؤداها: لو صح الدليل لصحَّ المستدَلُّ عليه. وهذه ليست مسلَّمَةً جديدة أو مبتكرة، بل إنها من أبجديات التفكير في أيسر سبله. لكن الجديد في النقاش هو أن الباحث الذي يطرح هذا الطرح - وهو الدكتور ناصر الدين الأسد - يحاول وضعَ نفسهِ في المعسكر المحايد، بين المؤيدين والمنكرين. والحقيقة أنه أميلُ إلى التأييد. وهو حينما يعوِّلُ على صحة الدليل في إثبات التعليق تغيب عنه بعضُ الملاحظات القريبة التي قد تنسف ذلك الدليل من أساسه، أو على الأقل تضعفه إلى درجة يصبح الاستدلال به ضربًا من المجازفة. وموجز القول هو أن البغدادي أورد في خزانته خبرًا، أو بالأحرى مقولةً لمعاوية بن أبي سفيان في أمر التعليق. ويلتقط الدكتور الأسد هذا الخبر وغيرَه(10)، ويستدل به -في حال صحَّ- على ثبوت التعليق والكتابة.

يقول: «وقد ورد أن عبدالملك بن مروان عُنِيَ أيضًا بجمع هذه القصائد



المعلقات»فطرح شعر أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة»، فإذا صحَّ ذلك وصحَّ ما رُوِيَ عن معاوية بن أبي سفيان قال: «قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة الحارث بن حِلِّزَة من مفاخر العرب ، كانتا معلقتين بالكعبة دهرًا» - كان هذان دليلين على معرفة القوم بأمر المعلقات وكتابتها وتعليقها قبل حمّادٍ بدهر»(11) . وتعليق الأمر بصحة الخبر هكذا بصيغة شرطية قد يُعْفِي الباحثَ من مظنة التجديف وترك التثبت. فإن هناك ملاحظات على الخبر الخاص بمقولة معاوية، منها أنه وحيد المصدر لم يُؤثر عن غير البغدادي، وهو من علماء القرن الحادي عشر، وإنَّ «روح النقد والفكر المُدقِّق المُمَحِّص للأخبار بدأت جذوتها تخف»(12) في هذه الفترة التي كانت فترةَ انهيارٍ حضاريٍّ. ويصف الدكتور سليمان الشطي هذا الخبرَ بالغرابة وعدم التواتر والندرة. فهو عنده موضعُ شكٍّ بالنظر إلى أمرين، الأول: مكانة معاوية المرموقة. والثاني: انفراد مصدره به. وينقب عن نصّ هذا الخبر

---

1 – تاريخ آداب العرب – مصطفى صادق للرافعي– عناية وتقديم / محمد سعيد العريان – دار الكتب العلمية – بيروت– ط1 ، 1421هـ/2000م3–/142،141.

2 – رسالة الغفران – تصحيح : إبراهيم اليازجي – مطبعة أمين هندية بالموسكي – القاهرة – الطبعة الأولى 1325هـ/1907م – ص38. ويُراجَع : المعلقات وعيون العصور– د.سليمان الشطي – س عالم المعرفة برقم –380 الكويت 2011–م – ص14.

3 – المعلقات وعيون العصور – سابق ص29.

4 – حول مكانة الشعر والشعراء في الجاهلية ، يُراجَع على المثال : د. ناصر الدين الأسد – مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخي – دار المعارف – القاهرة – ط7 / 1988م – ص 109–110–111.

5 – تاريخ آداب العرب – سابق 3/139.

6 – جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية – مراجعة وتعليق د/شوقي ضيف – دار الهلال(د.ت)– 1/92.

7 – ذكر الرافعيُّ في تاريخ آداب العرب 3/140 أن مسألة التعليق هذه أغفلها ابنُ قتيبة (ت 276هـ)، ثم قال : "ولم نر أحدًا ممن يُوثَق بِرُوايتهم وعلمهم أشار إلى هذا التعليق ولا سَمَّى تلك القصائد بهذا الاسم ، كالجاحظ والمبرد وصاحب الجمهرة ، وصاحب الأغاني ، مع

فيهتدي إلى مصدره الذي يحتمل أن يكون صاحبُ الخزانة قد استقاه منه. يقول عن هذا النّصِّ: «نَصٌّ غريبٌ نقله المحدثون كلهم عن الخزانة من دون أن يشيروا إلى مرجعٍ آخر يسنده؛ مما يدل على انفراده به. وهذا يؤكد خفاء هذا النص وندرته. وقد عثرتُ على هذا النص في مخطوطة لشرح مجهول المؤلف وغير موثَّق، تحت عنوان (شرح القصائد السبع) . وقد ورد هذا النصُّ في مقدمة قصيدة عمرو بن كلثوم ضمن حديث طويل »(13) .

ويرجح الشطي أن صاحب الخزانة قد اعتمد في خبره المذكور على هذا النص في تلك المخطوطة. ثم يكشف عن رأيه في مدى حجية هذا الخبر في الاستدلال، ويجعله - على الرغم من إدراكه أهميتَه في حال صحته - مَحطَّ اتِّهامٍ كما ذكرنا. وبهذا يبدو من الصعب الاعتماد عليه وحده ... يقول: "إن هذا النص، وإن دفع قضية التعليق إلى الأمام، فإنه يظلُّ مُحاطًا بالشكوك لمكانة قائله المرموقة، وتَفرُّد هذه النسخة المتأخرة بإيراده من دون غيرها من الشروح، مع ملاحظة شيوع قصة التعليق في هذا العصر المتأخر»(14).



وإذا تأملنا كلمات الشطي، نفسر دلالاتها، نجد أن مقولة معاوية لو ثبتت لكانت حاسمة؛ لأن هذا الصحابي قد عاش في الجاهلية والإسلام، كما أنه شخصيةٌ ذاتُ وعيٍ وثقافة مشهودة، وذات خطرٍ في تاريخ الإسلام أيضًا. ولهذا فإن أقواله تعدُّ من أقوى الأدلة، كما أنها تكون كالنار في رأس الجبل اشتهارًا. فإذا مررنا بالمصادر الأدبية الكبرى وسيرة معاوية وتاريخ الشعر فلم نعثر على هذه المقولة؛ فإن المرءَ ليهجس بالارتياب في أصل الخبر. أما الأمرُ الثاني فهو الحقبة الزمنية -القرن الحادي عشر الهجري- التي كتبت فيها تلك النسخة غير الموثقة التي يعتقد أن البغدادي نقل عنها. تلك الحقبة سحيقةٌ في البُعد عن عصر معاوية، وعن عصر المعلقات نفسها بطبيعة الحال. فضلاً عن كونها - كما يرى الشطي بحق - حقبةَ ضعف التدقيق النقدي والعلمي للأخبار، بالنظر لما أصاب الحضارةَ العربيةَ فيها من انهيار. ومن جهة أخرى كانت حكاية التعليق في هذه الفترة قد استقرت واشتهرت واتسع القولُ فيها.

أنهم جميعًا أوردوا في كتبهم نتفًا وأبياتًا منها».

08 - يمكن التذكير في هذا المقام بمقولة المفضل عن حماد الراوية ووضعه، حيث قال عنه : "... ولكنه رجلٌ عالِمٌ بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجلٍ ويدخله في شعره، ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقدة، وأين ذلك" . خزانة الأدب للبغدادي – ت/عبدالسلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة - 1997م- 9/451.

09 - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام- د. جواد علي – دار الساقي – بيروت - ط 4، 1422هـ/2001م - 18/81 .

10 - خبر معاوية في : خزانة الأدب ...- سابق 3/183، وخبر عبدالملك في المرجع ذاته 1/127 .

11 - مصادر الشعر الجاهلي – سابق ص 170-171.

12 - المعلقات وعيون العصور - د.سليمان الشطي - سابق ص17.

13 - السابق ص31.

14 - نفسه والصفحة .



العَرَبِيّةُ عِنْدَ الإمامِ الشّافعيُّ

الحمدُ لله واهب النّعم، وواسع الكرم، والصّلاةُ والسّلامُ على سيّد العُرب والعجم الذي آتاهُ ربّه الجليلُ جوامعَ الكلِم، وأغدق عليه من سوابغ الآلاء وفيوضات النّعم، وبعد، فاللغة لدى كلّ قوم، وفي كل مجتمع إنسانيّ وسيلة التّواصل، وأداة التّفاهم، وهي محلّ عناية الدّارسين وموضعُ تأمُّل الباحثين على تعاقب العصور وتتابع الدّهور.

وفي شأن اللغة العربيّة، فإنّ تعليمها لأبنائها وللنّاطقين بغيرها يمُرُّ بظروف صعبة شديدة، ومُشجّعة مُحفّزة في الوقت نفسه؛ إذ يشهدُ العالمُ المعاصرُ تنافسا كبيرا بين اللغات العالميّة، ونهضةً قويّةً في ميدان تعليمها والتّمكين لها انتشارا وانحسارًا. والواقعُ المُعقّدُ الذي نحياهُ يكشفُ عن ضَعفٍ لغويّ شديد لدى كثيرٍ من المتكلّمين باللسان العربيّ.



الدكتور غسان الشيخ
أكاديمي وأستاذ جامعيّ

قالَ إمامُ البيانِ الجاحظُ: «نظرتُ في كُتبِ هؤلاءِ النّبَغةِ الذين نبَغُوا في العلْمِ، فلم أرَ أحسنَ تأليفًا منَ المطّلبيِّ، كأنَّ لسانَه ينظمُ الدُّرَّ» هذه شهادةُ الجاحظِ أميرِ البيانِ والأدبِ العربيِّ، نعم، فكُتبُ الشَّافعيِّ رحمه الله كلُّها مُثُلٌ رائعةٌ منَ الأدبِ العربيِّ النّقيِّ، في الذّروةِ العُليا منَ البلاغة، يكتبُ على سجيّتِه، ويُملي بفِطْرتِه، لا يتكلّفُ ولا يتصنّعُ، أفصحُ نثرٍ تقرؤه بعدَ القرآنِ والحديث، لا يُساميه قائلٌ، ولا يُدانيه كاتبٌ.

وُلد سنة (150هـ) وهو العقدُ الخامسُ منَ القرن الهجريِّ الثّاني، وهو العقدُ الذي وُلد فيه إمامان من أئمّةِ اللّغةِ، الأوّلُ سيبَويْه (ت:185هــ) وهو إمامُ النّحو، والثّاني الجاحظُ (ت:255هـ) إمامُ البيانِ والأدبِ. في مكّةَ حفظَ القرآنَ لتمامِ سبعِ سنين، وأخذ عن كبارِ علمائِها،وحفظَ موطّأَ مالك وعمرُه عشرُ سنين،وحفظَ أكثرَ من عشرةِ آلافِ بيتٍ من شعْرِ قبيلةِ هذيلٍ أفصحِ العرب، يقول ابنُ عبدِ الحَكم: وُلدتُ في ذي القعدة لأربع عشرة بقيت من سنة ست وثمانين ومئة. ولو أدركتُ الشّافعيَّ وأنا رجلٌ لاستخرجتُ من بين جنبَيْه علومًا جمّةً، ما كان أتمَّه في كلِّفنٍّ ! لقد قرأتُ عليه من أشعارِ هُذيلٍ، فما أذكرُ له قصيدةً إلا أنشدَها من أوّلِها إلى آخرِها، على أنّه مات وله أربعٌ وخمسون سنة ». وعن محمّدِ بنِ عبد الله بنِ إسحاق قال: سمعتُ المُبَرِّدَ يقول: «رحم اللهِ الشّافعيَّ، كان من أشعرِ النّاس، وآدبِ النّاسِ، وأعْرَفِهم بالقراءات».

كان حُجّةً في اللّغةِ ومصدرًا لَها بشهادةِ أئمّةِ اللّغةِ ودهاقنتِها، شهدَ له الفرّاءُ، وأبو عُبيد القاسمُ بنُ سلام، وابنُ هشام، والمبرّدُ، والمازنيُّ، وثعلبُ، والزّمخشريُّ، والأزهريُّ، حتى قال الشَّافعيُّ رحمه الله تعالى مُعتزًّا بنفسِه: «ما بلغني أنَّ أحدًا أفهمُ لهذا الشَّأنِ منّي، وقد كنتُ أحبُّ أن أرى الخليلَ بنَ أحمدَ»، ويقولُ الأصمعيُّ: «صحّحتُ أشعارَ الهُذليّين على شابٍّ من قريشٍ يقال له محمّدُ بنُ إدريسَ»، وعندَ ابنِ عساكرَ بسندِه أنّه أُخذَ عنه


جار الله الزمخشري


أحمد بن حنبل


سيبويه

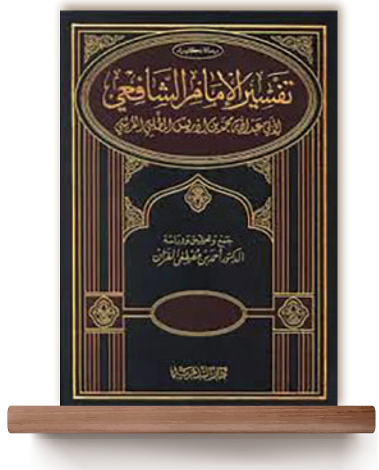

ابن عساكر


الجاحظ


المبرّد

شعرُ هذَيلٍ، وأنّه قُرئَ عليه شعرُ الشّنفرَى وأنّه أنشدَ لثلاثينَ شاعرًا أسامِيهم عمرُو.

قال أحمدُ بنُ حنبل رحمه الله: «كلامُ الشّافعيِّ في اللّغةِ حُجّةٌ"، و«الشّافعيُّ فيلسوفٌ في أربعةٍ: في اللّغةِ واختلافِ النّاسِ والمعانِي والفقهِ"، و«ما رأيتُ أفصحَ منه ولا أفْهمَ للعلومِ منه»، و "ما كان أصحابُ الحديثِ يَعرفون معانيَ حديثِ رسولِ الله حتّى جاء الشّافعيُّ فبيّنَها لهم". قال أبو الوليد بنُ أبي الجارود (ت:231هـ): «ما رأيتُ أحدًا إلاّ وكُتبُه أكبرُ من مُشاهدتِه إلاّ الشّافعيَّ فإنَّ لسانَه كان أكبرَ من كُتبِه»، ويقول أبو ثورٍ (ت: 240هـ): «من زعم أنّه رأى مثْلَ محمّدِ بنِ إدريس في علمِه وفصاحتِه ومعرفتِه وثباتِه وتمكُّنه فقد كذبَ، كان محمّدُ بنُ إدريسَ الشّافعيُّ مُنقطعَ القرين في حياتِه، فلمّا مضَى لم يُعتضْ منه". وقال الزّعفرانيُّ: "ما رأيتُه لحنَ قطّ، وما رأيتُ أفصحَ ولا أعلمَ منَ الشّافعيِّ، كان أعلَمَ النّاسِ وأفصحَ النّاسِ وكان يُقرأُ عليه من كلِّ الشّعرِ فيعرفُه"، وكان رحمه الله يتأذّى منَ اللّحنِ، قرأ رجلٌ عليه فلحَنَ، فقال الشّافعيُّ: أضْرستَنِي، وذكر البيهقيُّ بسندِه إلى الرّبيعِ بنِ سليمانَ، قال: "سمعتُ أيّوبَ بنَ سُويد يقول: خُذوا عنِ الشّافعيِّ اللّغةَ، ويُصوّر لنا الرّبيع شيئًا من فصاحتِه فيقولُ رحمه الله: «لو أنَّ الشّافعيَّ ألّفَ هذه الكُتبَ على عربيّتِه التي كان يتكلّمُ بها لم يُقدرْ على قراءةِ كُتبِه».



وللمَرءِ أن يسألَ لماذا تبوّأتِ العربيّةُ هذه المكانةَ السّاميةَ في فكرِ الإمامِ الشّافعيّ؟ الإجابةُ هو الدّينُ؛ وذلك أنَّ مصادرَ هذا الدِّينِ هي القُرآنُ والسّنّةُ وكلاهُما بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ، قال رحمَه الله في رسالتِه "من جماع – أي من أصولِ- علْمِ كتابِ الله العلْمُ بأنَّ جميعَ كتابِ الله إنّما نزلَ بلسانِ العربِ"، وكذلك السّنّةُ كما يُقرّرُه هو رحمَه الله حيث يقولُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: "عربيُّ الدّارُ واللِّسانِ"، ومن هنا قرّرَ رحمَه الله أنَّ المتصدّرَ للاجتهادِ يَنبغِي أن يكونَ عالمًا باللّغةِ، يقولُ رحمَه الله "لا يكونُ لأحدٍ أن يقيسَ حتّى يكونَ عالمًا بما قبْلَه منَ السُّننِ وأقاويلِ السّلفِ وإجماعِ النّاسِ واختلافِهم ولسانِ العربِ».

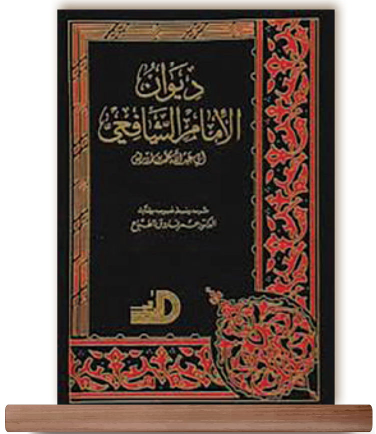
وللمَرءِ أن يسألَ لماذا تبوّأتِ العربيّةُ هذه المكانةَ السّاميةَ في فكرِ الإمامِ الشّافعيّ؟ الإجابةُ هو الدِّينُ؛ وذلك أنَّ مصادرَ هذا الدِّينِ هي القُرآنُ والسّنّةُ وكلاهُما بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ

لقد كانتِ العربيّةُ حاضرةً في فكرِه واجتهادِه واستنباطاتِه الفقهيّةِ ـ رحمه الله رحمة واسعة – فمِن مظاهرِ ذلك اعتمادُه عليها في الكشْفِ عن معاني ألفاظِ النّصوصِ الشّرعيّةِ سواءٌ في القرآن الكريم، أوِ السّنّةِ النّبويّةِ المطهّرة، وعندَ النَّظرِ في الطّريقةِ التي عوّلَ عليها في ذلك، نُدركُ تمكُّنَه وقوّةَ عارضِه وعلوِّ كعْبِه في العربيّةِ وعلومِها، فقد قرّرَ قواعدَ لُغويّةً أصوليّةً عظيمةً في تفسير النُّصوصِ، يقول رحمَه الله تعالى: «فإنّما خاطبَ الله بكتابه العربَ بِلسانِها على ما

تَعْرِفُ مِن معانِيها، وكان ممّا تعرفُ من معانِيها اتّساعُ لسانِها، وأنَّ فطرتَه أن يخاطبَ بالشّيء منه عامًّا ظاهِرًا يُرادُ به العامُّ الظّاهرُ، ويُسْتغنَى بأوّلِ هذا منه عن آخِرِه، وعامًّا ظاهِرًا يُرادُ به العامُّ ويَدْخُلُه الخاصُّ فيُسْتَدَلُّ على هذا ببَعْضِ ما خُوطِبَ به فيه وعامًّا ظاهِرًا يُرادُ به الخاصُّ».

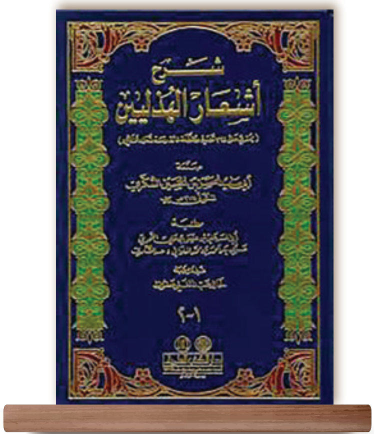
ويُوضّحُ ذلك بالأدلّةِ والأمثلةِ فيقولُ: «قال الله تباركَ وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: 173]، فإذْ كان مَن مع رسولِ الله ناسًا غيرَ مَن جمَعَ لهم منَ النّاس، وكان المُخبرون لهم ناسًا غيرَ مَن جُمع لهم وغيرَ من معه ممّن جُمع عليه معه، وكان الجامعون لهم ناسًا فالدّلالةُ بيِّنةٌ ممّا وصفتُ من أنّه إنّما جمعَ لهم بعضُ النّاس دونَ بعضٍ، والعلْمُ يحيطُ أنَّ من لم يَجمعْ لهمُ النّاسُ كلُّهم ولم يُخبرهم النّاسُ كلُّهم ولم يكونوا همُ النّاسَ كلَّهم، ولكنّه لمّا كان اسمُ النّاسِ يقعُ على ثلاثةِ نفرٍ، وعلى جميعِ النّاسِ من بين جمْعِهم، وثلاثةٍ منهم كان صحيحًا في لسانِ العربِ أن يقالَ (الّذِينَ قَالَ لهمُ النّاسُ) وإنّما الذين قال لهم ذلك أربعةُ نفرٍ (إنَّ النّاسَ قد جمعوا لكم) يَعنُون المُنصرفين عن أُحُدٍ وإنّما هم جماعةٌ غيرُ كثرٍ منَ النّاس الجامعون منهم غيرُ المجموعِ لهم والمخبرون للمجموع لهم غيرُ الطّائفتَين والأكثرُ منَ النّاسِ في بلدانِهم غيرُ الجامعين ولا المجموعُ لهم ولا المُخبرين».

ثمّ يأتي بمثالٍ آخرَ للتّوضيحِ فيقولُ - رحمَه الله تعالى- : «وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ٧٣﴾ [الحج: 73] قال: "فمَخْرَجُ اللّفظِ عامٌّ على النّاس كلِّهم وبيّن عند أهلِ العلمِ منهم أنّه إنّما يُرادُ بهذا اللّفظِ العامِّ المخرج بعضُ النّاس دون بعضٍ؛ لأنه لا يُخاطَبُ بهذا إلّا من يدعُو مِن دون الله إلَهًا تعالى عمّا يقولون عُلُوًّا كبيرًا لأنّ فيهم منَ المؤمنين ....إلخ ".



ويخلُصُ من هذه الأمثلةِ والعرضِ إلى قواعدَ لُغويّةٍ أصوليّةٍ عظيمةٍ ومهمّةٍ مُفادُها؛ أنَّ اللّفظَ يأتي عامًّا - يُقصدُ باللّفظ العامِّ اللّفظُ المستغرقُ لجميعِ ما يصلحُ له بحسبِ وضعٍ واحدٍ دفعةً واحدةً - ويأتي خاصًّا، وأنَّ العامَّ في دلالتِه أنواعٌ : عامٌّ يُراد به العُمومُ، وعامٌّ يُراد به الخصوصُ، وعامٌّ مخصوصٌ، وعامٌّ مطلقٌ.

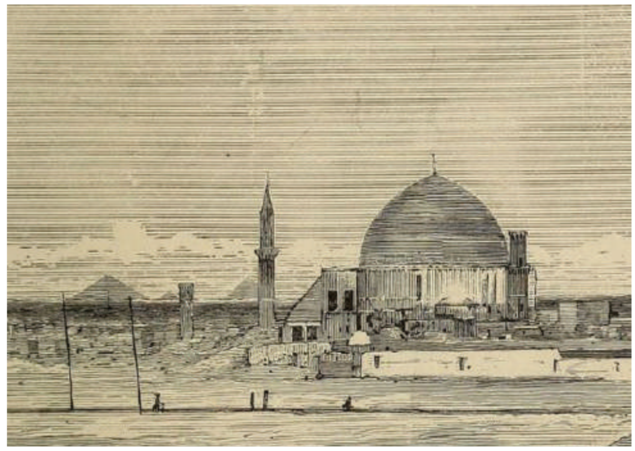
لقدِ اعتمدَ الشّافعيُّ على العربيّةِ في الاستدلالِ والتّرجيحِ، من ذلك قولُه تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٨﴾ [البقرة: 228] "يرجّحُ بأنّ القرءَ هو الطُّهرُ وليس



الحيضَ مُعتمدًا على اللّغةِ العربيّةِ؛ لأنّ لفظَ ثلاثةٍ مؤنّثٌ ويجبُ أن يخالفَ المعدودَ، يقول رحمَه الله تعالى: «الأقراءُ الأطهارُ أشبهُ بمعنَى كتابِ الله واللّسانُ واضٌ على هذه المعاني».

كان أيضًا للإمامِ الشّافعيِّ رحمَه الله تعالى آراؤه في اللّغةِ العربيّةِ، فقد رجّحَ بأنّ العربيّةَ لسانٌ لا سُلالةٌ، فمَن أحسنَها ونطقَها هو من أهلِها، ومن آرائه بأنَّ اللّغةَ العربيّةَ وعلومَها واسعةٌ لا يحيطُ بها إلّا نبيٌّ مرسلٌ، ويُبيّنُ بوضوحٍ وجلاءٍ بأنّها أوسعُ الألسنةِ وأكثرُها ألفاظًا، نصَّ على ذلك في الرّسالةِ وغيرِها من كُتبِه، و فصّلَ ذلك إذْ يقولُ متحدّثًا عنِ العربِ وأنّها «تسمّي الشّيءَ الواحدَ بالأسماءِ الكثيرةِ، وتُسمّي بالاسمِ الواحدِ المعانيَ الكثيرةَ" وذلك نصٌّ على ظاهرتَيْن من أهمِّ ظواهرِ الثّراءِ اللّغويِّ وهما ظاهرتا التّرادُفِ والمشتركِ اللّفظيِّ، و قرّر أيضًا بأنَّ كلَّ ما وردَ في القرآن الكريم هو عربيٌّ، مُستدلًّا بآياتٍ قرآنيّةٍ صريحةٍ في الدّلالةِ منها:

قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء: 192-195]





مسجد الإمام الشافعي في مصر بين الماضي والحاضر

وقولُه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۝٣٧﴾ [الرعد: 37]

وقولُه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى: 7]

وممّا تجدرُ الإشارةُ إليه بأنَّ الشّافعيَّ رحمَه الله كان منَ السّبّاقين في الحديثِ عنِ السّياقِ، سياقِ النّصِّ ودورِه في تفسيرِ النّصِّ وألفاظِه، فقد عقدَ بابًا مُستقلًّا في رسالتِه سمّاه « بابُ الصِّنْفِ الذي يُبَيِّنُ سِياقُه معناه» سردَ فيه جملةً منَ النّصوصِ القرآنيّةِ من نحوِ: قولِه تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝١٦٣﴾ [الأعراف: 163]

يقول رحمَه الله: «فابتدأ جلَّ ثناؤه ذِكرَ الأمرِ بمسألتِهم عنِ القريةِ الحاضرةِ البحرِ، فلمّا قال إذ يعدون في السبتِ الآية، دلَّ على أنّه إنّما أراد أهلَ القريةِ؛ لأنَّ القريةَ لا تكونُ عاديةً ولا فاسقةً بالعُدوان في السّبت ولا غيرِه، وأنّه إنّما أرادَ بالعُدوان أهلَ القريةِ الذين بَلَاهم بما كانوا يَفسُقون».

وقولُه تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝١١ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝١٢ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: 11-13]

يقولُ رحمَه الله : «وهذه الآيةُ في مثل معنى الآية قبْلَها، فذكَرَ قَصْمَ القريةِ، فلمّا ذكرَ أنّها ظالمةٌ بَانَ للسّامعِ أنَّ الظّالمَ إنّما هم أهلُها، دون منازلِها التي لا تَظلمُ، ولمّا ذكرَ القومَ المُنشَئِين بعدَها، وذكرَ إحساسَهم البأسَ عندَ القَصْمِ،أحاطَ العلمُ أنّه إنّما أحسَّ البأسَ من يعرفُ البأسَ منَ الآدميّين.

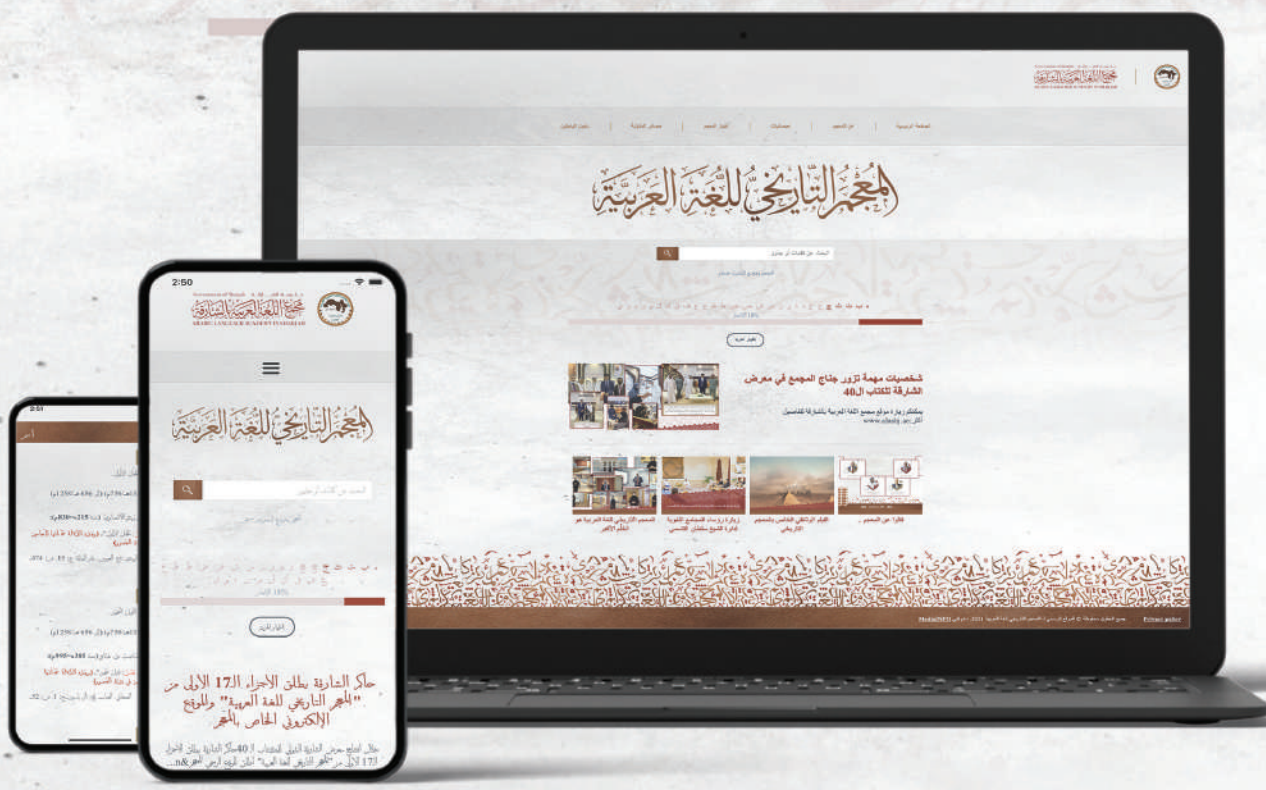
رحمَ الله الإمامَ رحمةً واسعةً، ورحمَ الله الشّيخَ أحمدَ شاكرٍ حيث يقولُ عنه: «فإنّي أعتقدُ – غيرَ غالٍ ولا مُسرفٍ – أنَّ هذا الرّجلَ لم يظهرْ مثلُه في علماءِ الإسلامِ، في فقهِ الكتاب والسّنّةِ، ونفوذِ النّظرِ فيهما ودقّةِ الاستنباطِ. مع قوّةِ العارضةِ، ونورِ البصيرةِ، والإبداعِ في إقامةِ الحُجّةِ وإفحامِ مُناظرِه. فصيحُ اللّسانِ، ناصعُ البيانِ، في الذّروةِ العُليا منَ البلاغةِ، تأدّبَ بأدبِ الباديةِ، وأخذ العلومَ والمعارفَ عن أهلِ الحضرِ، حتّى سمَا عن كلِّ عالمٍ قبلَه وبعدَه. نبغَ في الحجازِ، وكان إلى علمائِه مرجعُ الرّوايةِ والسّنّةِ، وكانوا أساطينَ العلْمِ في فقهِ القرآنِ، ولم يكنِ الكثيرُ منهم أهلَ لَسَنٍ وجدلٍ، وكادوا يَعجزون عن مناظرةِ أهلِ الرّأيِ، فجاء هذا الشّابُّ يناظرُ وينافحُ، ويعرفُ كيف يقومُ بحُجّتِه، وكيف يُلزمُ أهلَ الرّأيِ وجوبَ اتّباعِ السّنّةِ، وكيف يُثبتُ لهم الحُجّةَ في خبرِ الواحدِ، وكيف يفصّلُ للنّاسِ طُرقَ فهمِ الكتابِ على ما عُرفَ من بيانِ العربِ وفصاحتِهم، وكيف يَدلُّهم على النّاسخِ والمنسوخِ منَ الكتابِ والسّنّةِ، وعلى الجمْعِ بين ما ظاهرُه التّعارضُ فيهما أو في أحدِهما. حتى سمّاه أهلُ مكّةَ ناصرَ الحديثِ». مات الإمامُ ودُفن بمصرَ، وقبرُه معروفٌ مشهورٌ، عاش 54 سنة ملأ طباقَ الأرض علمًا وفقهًا وورعًا، وممّا لا شكَّ فيه أنَّ الشّافعيَّ لا يُترجمُ له في مقالةٍ، وقد ألّفَ العلماءُ الأئمّةُ في سيرتِه مُصنّفاتٍ كثيرةً وافيةً، لكنْ هذه ومضةٌ من حياتِه المباركةِ رحمَه الله تعالى، وأسألُ الله تعالى القَبولَ.

Government of Sharjah حكومة الشارقة

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

المعجم التاريخي للغة العربية



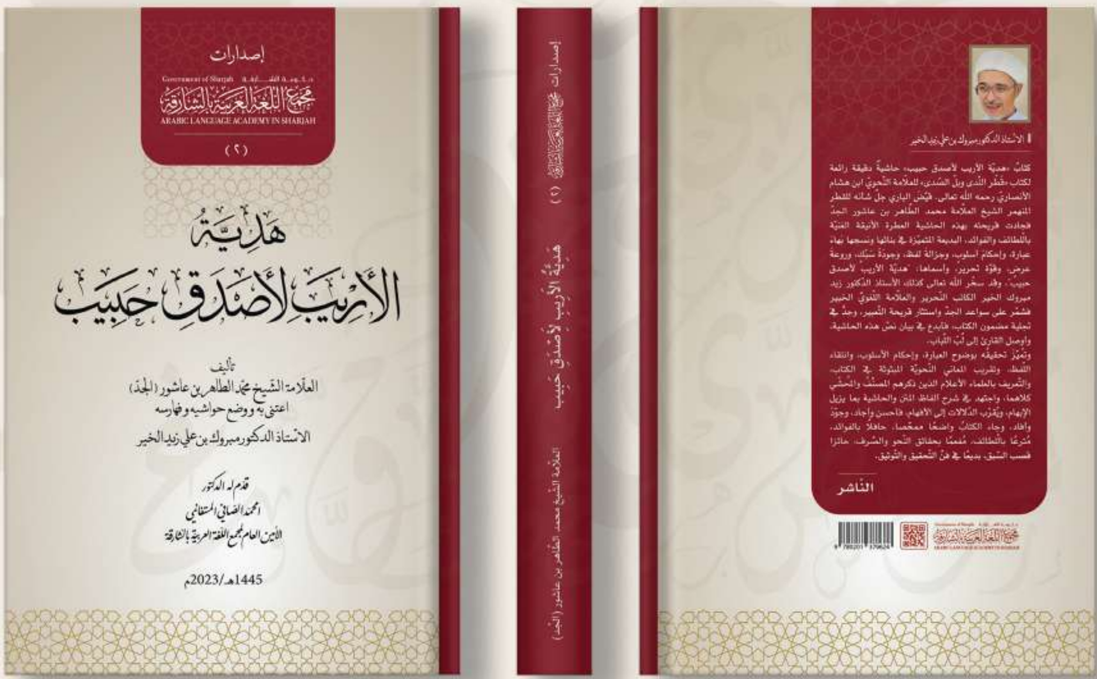
Download on App Store

GET IT ON Google Play

EXPLORE IT ON AppGallery

الإصـــدار الثّـــانـي للمجـــمـــع:

كتاب هديّة الأريب لأصدق حبيب



كتابُ "**هديّة الأريب لأصدق حبيب**" حاشيةٌ دقيقة رائعة لكتاب "قَطْر النّدى وبلّ الصّدى" للعلاّمة النّحويّ ابن هشام الأنصاريّ رحمه الله تعالى. قيّضَ الباري جلّ شأنه للقطر المنهمر الشيخ العلاّمة محمد الطّاهر بن عاشور الجدّ فجادت قريحته بهذه الحاشية العطرة الأنيقة الغنيّة باللّطائف والفوائد، البديعة المتميّزة في بنائها ونسجها بَهاءَ عبارة، وإحكامَ أسلوبٍ، وجزالةَ لفظ، وجودةَ سَبْكٍ، وروعةَ عرضٍ، وقوّة تحرير، وأسماها: "هديّة الأريب لأصدق حبيب"، وقد سخّر الله تعالى كذلك الأستاذ الدّكتور زيد مبروك الخير الكاتب النّحرير والعلاّمة اللّغويّ الخبير فشمّر على سواعد الجدّ واستثار قريحة التّعبير، وجدَّ في تجلية مضمون الكتاب، فأبدع في بيان نصّ هذه الحاشية، وأوصل القارئ إلى لُبّ اللّباب.

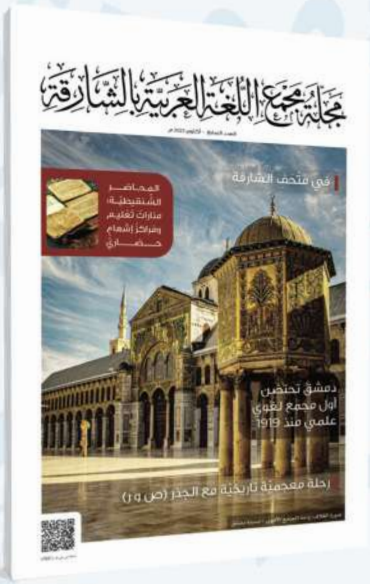
وتَميّزَ تحقيقُه بوضوح العبارة، وإحكام الأسلوب، وانتقاء اللّفظ، وتقريب المعاني النّحويّة المبثوثة في الكتاب، والتّعريف بالعلماء الأعلام الذين ذكرهم المصنّفُ والمُحشّي كلاهما، واجتهد في شرح ألفاظ المتن والحاشية بما يزيل الإبهام، ويُقرّب الدّلالات إلى الأفهام، فأحسن وأجاد، وجوّدَ وأفاد، وجاء الكتابُ واضحًا ممحّصا، حافلاً بالفوائد، مُترعًا باللّطائف، مُفعمًا بحقائق النّحو والصّرف، حائزا قصب السّبق، بديعًا في فنّ التّحقيق والتّوثيق.

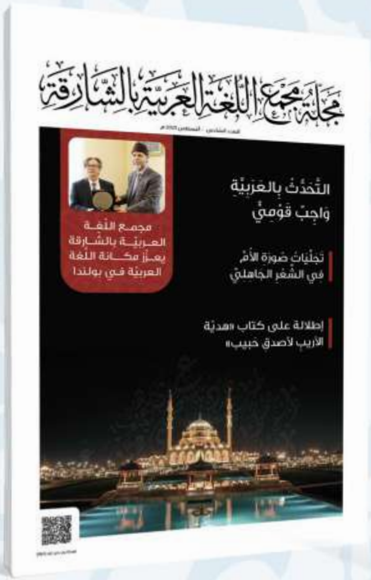
إصدارات مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة













المدينة الجامعية - الشارقة -الإمارات العربية المتحدة | مبنى مجمع اللغة العربية | الدور الأول
هاتف: 400 60 51 6 971+ | فاكس: 410 60 51 6 971+ | ص.ب: الشارقة: 1973
البريد الإلكتروني: info@alashj.ae | الموقع الإلكتروني: www.alashj.ae